

جامع النواريج

رشيد الدين فضل الله الهمداني

تاريخ المغول

المجلد الثاني - الجزء الأول

الإيلخانيون

تاريخ هولاكو

مع مقدمة رشيد الدين

محمّد صادق نشأت
نقله إلى العربية
محمّد موسى هنداوي
فؤاد عبد المعطي الضيّاد

راجعه وقّده له
بجني الخشتاب

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإقليم الجنوبي
إدارة العامة للثقافة

جامع التواريخ

رشيد الدين فضل الله الهمداني

تاريخ المغول

المجلد الثاني — الجزء الأول

الإيلخانيون

تاريخ هولاكو

مع مقدمة رشيد الدين

نقله إلى العربية

فؤاد عبد المعطي الصياد

محمد موسى همداني

محمد صادق نشأت

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية
محيي الحسن

مكتبة تاريخ
(إهداء)

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإقليم الجنوبي

الإدارة العامة للثقافة

رقم التسجيل ٩٨٧٩

ترجمة عن الفارسية

لمقدمة رشيد الدين لجامع التواريخ

وتاريخ هولاندا

عن الطبعة التي نشرها «كاترمير»

ترجمة

محمد صادق نشأت : الأستاذ المنتدب بكلية الآداب ، جامعة القاهرة

محمد موسى هندأوى : الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة

فؤاد عبد المعطى الصياد : المدرس بكلية الآداب ، جامعة عين شمس

مراجعة

يحيى الخشاب : رئيس قسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب

جامعة القاهرة . عميد كلية الآداب السابق

دار الخفاء الكتب العربية
ميسى البابى الجبلى وشركاه

(١)

مقدمة

يحي الخشاب

(١)

قدم هذا الكتاب المستشرق الفرنسي كاترمير بمقدمة قيمة جامعة ،
تحدث فيها عن المؤلف رشيد الدين فضل الله ، حياته واشتغاله بالطب ثم
بالوزارة ثم كتابته « لجامع التواريخ » ثم كتبه الأخرى . كما تحدث طويلاً
عن موضوعات أخرى من الحضارة الإسلامية تجعل من مقدمته سفراً جديراً
بأن يطبع على حدة .

وهي هنا من صفحة ١ إلى ١٧٩ .

ولكن كاترمير نشر كتابه عام ١٨٣٦ ، فحديثه عن « جامع التواريخ »
قديم ، وقد جد الكثير عنه سواء من ناحية اكتشاف أجزاء منه لم تكن
قد عثر عليها أيام كاترمير أو من ناحية النشر ، فكثير من أجزاء الكتاب
قد أصبح متداولاً بين الناس منشوراً . وكذلك ينبغي التحدث عن الطريقة
التي تتبع في نشر ترجمة مانشر من هذا الكتاب الضخم أو في نشر القسم
المخطوط منه .

(٢)

وفي الصفحات ٢٠٣ إلى ٢٠٨ من كتابنا هذا يجد القارئ بياناً كتبه

(ب)

رشيد الدين عن كتابه الذي يقع في ثلاثة مجلدات وقد بين فيه موضوعات كل واحد منها .

وحين فكر كاترمير في كتاب رشيد الدين لم يكن أمامه منه سوى المجلد الأول ، المسمى تاريخ غازان ، والذي يشتمل على :

قواعد وديباجة وفصول في شرح أحوال الأوغوز والمغول وأقوام الأتراك ، ثم بيان تاريخ آباء چنگيز خان وأجداده ، وهم عشرة أمراء (صفحة ٢٠٤ - ٢٠٥) ، ثم تاريخ چنگيز خان وأبنائه وأحفاده المشهورين ، مع ذكر مجمل لتاريخ ملوك العالم الذين كانوا يعاصرونهم حتى ذلك الوقت .

وفي آخر هذه المخطوطة ذيل كتبه حافظ آبرو عن السلطانين أوجايتو وأبي سعيد ومن خلفوها من الإيلخانيين .

وقد فكر كاترمير في أن ينشر من هذا المجلد موضوعين رأها جديرين بأن يعرف بهما وهما تاريخ چنگيز خان وتاريخ غازان خان . فهو يرى أن الموضوع الأول متفق تماماً مع روايات مؤرخي الصين ^(١) . ولما كان هدفه هو التعرف بكتاب رشيد الدين عن طريق نشر فصول مطولة منه فقد عزم على

(١) أول من حاول الترجمة عن رشيد الدين هو هامر پورجستال Hammer Purgastahl الذي ترجم الجزء الخاص بالصين . ولكن كلا پروث Klaproth وجد في هذه الترجمة أخطاء كثيرة فنشر ترجمة أخرى عام ١٨٣٣ في JA. (مجلد ١١ ، ١٨٣٣) . انظر مقدمة الزميل الدكتور أحمد السعيد للترجمة العربية التي نشرها لكتاب « تاريخ الترك في آسيا الوسطى » لبارتولد .

(ج)

نشر حياة چنگيز خان كلها كما وردت في جامع التواريخ مع مقارنتها بما جاء عن هذا الأمير في الروايات الأخرى . أما عن الموضوع الثاني تاريخ غازان خان فإن رشيد الدين ذيله بفصل طويل عن أعماله ومنشأته وهو فصل طويل وهام عزم كاترمير على نشره . وقد نقل هذا الذيل إلى الإنجليزية في كلكتا مستركيرك پاتريك Kirck Patrick تحت عنوان : Institutes of Ghazan-Khan وذلك في مجموعة للنصوص الآسيوية^(١) . ولم يكن عمل پاتريك يحول دون مضي كاترمير في عزمه لأن هذه المجموعة لم تدع في فرنسا ولأن المترجم لم ينقل عن نص رشيد الدين بل نقل عن رواية مختصرة جاءت في « حبيب السير » ، في حين أن ما اعتزمه هو نشر نص جامع التواريخ كاملا .

كانت هذه نية كاترمير ولكن عوامل أخرى جذبت حالت دون الاستمرار فيها . ذلك أن مورادجا دوسون^(٢) أخرج عام ١٨٢٤ تاريخ المغول الذي تباع فيه بدقة رواية رشيد الدين ، الأمر الذي جعل ترجمة حياة چنگيزخان غير لازمة فقد حلت رواية دوسون المحقة محل الروايات المحرفة في بيتي دي لاكروا^(٣) - الذي كان قد ترجم إلى الفرنسية عن النسخة الثانية لرشيد الدين وهي على جانب كبير من النقص (١٤٢ هنا) - وفي التصنيفات الأخرى .

(١) New Asiatic Miscellany

(٢) Mouradjea d' Ohsson

(٣) Pétis de le Croix

وفي الوقت نفسه كانت المطبعة الملكية في باريس تزعم القيام بنشر
نصوص لكتاب شرقيين على أن تكون النصوص مشفوعة بترجمة فرنسية
وتعليقات . فعزم كاترمير على أن ينشر المجلد الأول لرشيد الدين كله مع
الترجمة الفرنسية . فلما شرع في تحقيق ما عزم عليه أحس بثقل المهمة حين
فكر في الحياة القصيرة وفي الخطى البطيئة التي يسير فيها الطبع ، وأدرك أن
المهمة أشق من أن تتحملها طاقته ، وعلى هذا حدد القسم الذي ينشره من
كتاب رشيد الدين بالإيخانيين أي مغول فارس فإذا ما تم له ذلك فإنه ينشر
كذلك الذيل الملحق بهذا المجلد والمتعلق بالسلطانين أوجايتو وأبي سعيد
وخلفائهما . .

ولكن كاترمير لم يحقق سوى نشر القسم الخاص بهولا گومع المقدمة
التي وضعها رشيد الدين لكتابه ، فإن تصحيح النص الفارسي والتعليقات
القيمة التي نجدها على الترجمة الفرنسية ثم هذه المقدمة النفيسة التي تعد بذاتها
سفراقيا كل هذا الجهد حال دون إتمام كل ما كان قد عزم عليه . وحسبه
أنه كان أول من قام بمثل هذا النشر العلمي الرائع لكتاب رشيد الدين كما
كان أول من نشر الألفاظ المغولية على هذا النحو الذي فاد منه ولا يزال يفيد
كل من يعنى من المؤرخين بتاريخ المغول .

بعد ظهور الطبعة الأنيقة القيمة التي أعدها كاترمير باثنتين وعشرين
سنة ظهر الجزء الأول من طبعة برزين Berezine ، سنة ١٨٥٨ . وقد نشر
برزين من المجلد الأول لرشيد الدين الأجزاء المتعلقة بالقبائل التركية وأجداد

(٥)

چنگيز وتاريخ چنگيز نفسه . وقد أخرج برزين طبعته عن المخطوطة الفارسية في ثلاثة أجزاء مع كل جزء الترجمة الروسية لما ورد به . وكان إخراج الجزء الثالث سنة ١٨٨٨ .

(٣)

هذا ما كان في القرن التاسع عشر . أما في القرن العشرين فقد بدأ النظر في رسم الخطة الواجبة لإخراج كتاب رشيد الدين ، سواء نشر أو نشر وترجمة معا . كما بدأت الدراسات المغولية الفارسية تتخذ طابع العناية بالمصطلحات والنظم الإدارية والسياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد التي حكمها المغول .

وفي عام ١٩٠٦ قررت لجنة أوصياء مجموعة جب التذكارية GMS. نشر المجلد الأول من جامع التواريخ ، تاريخ مبارك غازاني ، على أن يكون في ثلاثة أجزاء :

١ - الجزء الأول ، في القبائل التركية وچنگيزخان ، أجداده وسيرته .

٢ - الجزء الثاني في خلفاء چنگيزخان الذين حكموا في غير إيران .

٣ - الجزء الثالث في خلفاء چنگيزخان الذين حكموا في إيران ، الإيلخانية .

(مضافا إليه الذيل الذي كتبه حافظ آبرو)

وكان من الطبيعي أن يبدأ المستشرق الفرنسي ، بلوشيه Blochet ، الذي عهد إليه القيام بهذا النشر بالجزء الثاني . لأن الجزء الأول سبق أن

(و)

نشره مع الترجمة الروسية المستشرق الروسي برزين Berezine ، ولو أن طبعته هذه نادرة إلا أنها خرجت للناس على أية حال .

والجزء الثانى الذى نشره بلوشيه فى مجموعة جب يحتوى على تاريخ كل من : أوكتاى، جوجى ، چغتای ، تولوى ، كويوك ، منگو ، قويايى، تيمور . وقد تم النشر فى مجموعة جب عام ١٩١١ .

ولم يخرج بلوشيه غير هذا الجزء ، المجلد ١٨ (٢) من المجموعة . ثم أخذ المؤرخون يعنون بنشر أقسام أخرى :

فى إيران نشر بيانى (خان بابا) سنة ١٩٣٧ الذيل الذى كتبه حافظ آبرو لجامع التواريخ مع ترجمة فرنسية وتعليقات .

وفى تشكسلاوفا كيا عنى المستشرق كارل يان Karl Jahn بنشر قسم من الجزء الثالث من الخطة السابقة ، فنشر فى GMS عام ١٩٤٠ تاريخ غازان خان . وفى العام التالى نشر من هذا الجزء القسم الخاص بتاريخ كل من : آباخان ، أحمد تكودار ، أرغون ، گيخاتون .

فإذا أضيف مانشره كل من بيانى و كارل يان إلى مانشره كاترمير فإن تاريخ مغول إيران يكون قد تم نشره ، بما فيه الذيل الذى وضعه حافظ آبرو الخاص بأولجايتو وأبى سعيد .

وإذا أضيف هذا كله إلى مانشره كل من برزين و بلوشيه فإن المجلد الأول من تاريخ رشيد الدين يكون قد نشر بتمامه .

(ز)

(٤)

خطة برون Browne

وبرون ، كأحد الأوصياء على مجموعة جب التذكارية ، كان معنيا بالموضوع عناية خاصة . فكتب في يناير من عام ١٩٠٨ مقالا في J.R.A.S. يقترح فيه خطة لنشر كتاب جامع التواريخ .

وخطة برون تقوم على الواقع التاريخي للمخطوط . فرشيد الدين كتب بتكليف من غازان خان مجلدا يشمل تاريخ القبائل التركية والمغولية وأجداد چنگيز خان ثم چنگيز خان نفسه ومن بعده خلفائه حتى غازان . وهذا هو المجلد الذي يخص المغول .

فإذا أضيف إليه ذيل حافظ آبرو المتعلق بأولجايتو وأبي سعيد فإن تاريخ المغول يكمل .

وهذا المجلد ، في تاريخ المغول ، يمثل المجموعة الأولى من خطة برون . وقد رأينا أنه قد تم نشره .

أما المجموعة الثانية من خطة برون فتتعلق بالتاريخ العام وقد اقترح نشرها في أربعة أجزاء :

- ١ - تاريخ ملوك القرس قبل الإسلام ثم العصر النبوي .
- ٢ - تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين والعباسيين إلى المستعصم .
- ٣ - الدويلات التي انقسم إليها العالم الإسلامي ، ومنها الغزنويون .

(ح)

والسلاجقة والخوارز مشاهيون والأتابكة والإسماعيلية .

٤ - تاريخ الأقسام الذين اتصل بهم المغول . الترك والصين واليهود
والفرنجة والهنود .

وقد نشر كارل يان بعض القسم المتعلق بالفرنجة « كتاب تاريخ إفرنج »
في لندن سنة ١٩٥١ .

(٥)

وفي السنوات الأخيرة ، أى في النصف الثاني من القرن العشرين ،
نشطت المدرسة الروسية في تكملة نشر كتاب رشيد الدين وظهر مجلد ضخيم
يحتوي تاريخ مغول إيران من هولاكو إلى آخر غازان خان ، نشره عام ١٩٥٧
عبد الكريم علي أوغلو علي زاده بإشراف برتلس وروماسكويج ومع النص
الفارسي ترجمة روسية قام بها أرنيس . وتعاون في نشر هذا المجلد المجمع العلمي
الروسي في آذربيجان ، باكو .

وبهذا تكون المدرسة الروسية قد قامت بنشر جزء كبير من المجلد الأول
لكتاب جامع التواريخ :

١ - القبائل التركية وأجداد چنگيز ثم تاريخ چنگيز وهو القسم الذي
نشره في القرن التاسع عشر برزين Berezine .

(ط)

٢ - مغول إيران (الإيلخانيون) . وهو القسم الذى نشره فى القرن العشرين عبد الكريم على أوغلو على زاده .

(٦)

وفى تركيا تنشر الجمعية التاريخية بأقره أقساما من جامع التواريخ وقد ظهر جزء منها فى السنوات الأخيرة ، ويقوم بهذا العمل الجليل أحمد آتش .

(٧)

كان من الطبيعى أن ينصرف اهتمام العلماء إلى المجلد الأول من تاريخ رشيد الدين ، لتعلقه بتاريخ أقوام المغول ، قبائهم وملوكهم الذين حكموا فى إيران وفى غير إيران ، لأن هذا القسم من التاريخ يعد فيه رشيد الدين مؤرخاً جديراً بأن ينقل عنه . فقد عمل غازان خان على توفير مواد البحث لرشيد الدين ، الذى استطاع ، لعلمه باللغة المغولية ، أن يفيد من قراءة هذه المواد أن يستخلص منها ما يهيم التاريخ . وقد أخذ تاريخ المغول عن :

١ - حوليات المغول (آلتين دفتر) التى تروى الحوادث التاريخية الرئيسية ، وهذه الحوليات كان يحتفظ بها فى سجلات الإمبراطورية .

٢ - الوثائق التاريخية وقوائم الأنساب المتصلة التى تحتفظ بها الأسر المغولية الكبيرة .

(ى)

٣ - الروايات التى يختلط بها التاريخ العام مع التاريخ الخاص لبعض
الأسر أو الأفراد .

وقد تناول كاترمير كتب المؤرخين السابقين على رشيد الدين والذين
تناولوا تاريخ المغول وخلص من نقده لكتبهم إلى أن « جامع التواريخ »
يعد بحق المرجع الأفضل فى تاريخ المغول .

ثم إن رشيد الدين كتب المجلد الأول من تاريخه لغازان خان وهو يعرف
مدى حرص هذا الخان على تدوين تاريخ أجداده ومدى حرص حاسديه
على الإيقاع به لإسقاط الخان عليه ، فكان اجتهاده لإرضاء السلطان
وسعيه لإفساد خطة حاسديه يدفعانه دائماً إلى التدقيق فى كتابة
تاريخ المغول .

(٨)

وأما المجلد الثانى فىمكن تقسيمه إلى قسمين : قسم يتناول تاريخ الفرس
قبل الإسلام ، ثم التاريخ الإسلامى إلى سقوط بغداد ؛ وقسم يتناول الشعوب
والأمم التى اتصل بها المغول فى تاريخهم وفى فتوحاتهم .

وقد كتب رشيد الدين هذا المجلد ، والمجلد الثالث المفقود ، بأمر أولجايتو .
ويحدثنا رشيد الدين عن سبب تأليف التاريخ العام الذى يحتويه المجلد
الثانى من كتابه . فإن أولجايتو حين اطلع على « تاريخ غازانى » وكله يدور
حول تاريخ المغول ، رأى أن يكتب كتاب عن تاريخ الأمم والشعوب التى

(ك)

اتصل بها المغول - وقد دخلت أقاليم الربع المسكون تحت سيطرتهم - وبناء على هذا التوجيه شرع رشيد الدين في سطر مأسره به الخان .

(٩)

أما طريقة التأليف أو بالأحرى التصنيف التي جرى عليها في هذا المجلد الثاني ، فإن رشيد الدين يحدثنا بأنه نقل عن العلماء وعن الكتب .

أما العلماء فكانوا كثيرين في بلاط أوجايتو ، من الخطا والماجين والهند وكشمير والتبت والأو يغور وغيرهم من أقوام الترك والأعراب والإفرنج . ومن هؤلاء العلماء فلاسفة ومنجمون ومؤرخو أديان وغيرهم . فاتصل بهم رشيد الدين واستطلع آراءهم وأخذ عنهم .

وأما الكتب - وكان كل واحد من العلماء في بلاط الخان مزودا بكتب تشتمل على تواريخ أمته وحكاياتها ومعتقداتها - فقد أخذ عنها رشيد الدين ما رآه يتفق مع خطته في الكتاب .

وهو يقرر أن المؤرخ لا يشهد بعينه القضايا والحكايات التي يكتبها ويقررها في مؤلفه ، كما أنه لا يستقي معلوماته من طريق المشافهة عن أفراد الطائفة التي كان التاريخ سجلا لسرد تاريخها . إنما يكتب المؤرخ ما يتناقله الرواة وما يذيعونه .

وكما ذهب أهل الحديث في تقسيم النقل إلى متواتر وآحاد ، فكذلك النقل في روايات التاريخ ، عند رشيد الدين ، نوعان :

(ل)

متواتر .

وغير متواتر .

وعنده أن المتواتر يؤدي إلى العلم وليست فيه شبهة . ومن هذا نقل ما يتعلق بالرسل والملوك والعظماء الذين عاشوا في القرون الخالية . وكذلك منه تاريخ البلاد البعيدة مثل مكة ومصر .

وأما غير المتواتر فإنه يحتمل الصدق والكذب . ويجب أن يجتهد المؤرخ في درسه حتى إذا اطمأن إلى صحة رواية ما أخذ بها ، وإذا شك في رواية ما طرحها أو ذكر أنه يشك في صحتها . ومن هذا النوع أكثر روايات التاريخ ، الأمر الذي يجعل من الصعب معرفة تاريخ بعض الأمم والأقوام في مختلف العهود معرفة يقينية . ولا مفر من النظر في هذا النوع الثاني من الروايات لأنه الأكثر .

ولو ذهب المؤرخ إلى وجوب أن يكون كل ما يكتبه مقطوعاً بصحته فإنه قد لا يستطيع أن يكتب تاريخ أية أمة لأن أكثر ما ينقل إليه إنما يكون لغير المتواتر من الأخبار ، ويحذر رشيد الدين من هذا التشدد في اشتراط يقينية روايات التاريخ ، فإن هذا يؤدي إلى حرمان الناس من مزايا معرفة التاريخ .

ولهذا يرى أن وظيفة المؤرخ ، بالنسبة لغير المتواتر ، أن ينقل ويكتب أخبار كل قوم وكل طائفة على نحو ماوردت في كتبهم وبالطريقة التي رويت

(م)

بها من الكتب المشهورة المتداولة بين هؤلاء القوم ، ومن أقوال مشاهيرهم
والبارزين فيهم ، تاركاً العهدة على الراوى .

(١٠)

ولا يريد رشيد الدين أن يوهم من يقرأ هذا المجلد من تاريخه (التاريخ
العام) بأنه مؤرخ اتسع وقته وأتيح له الفراغ الكافى ليقوم بمهمته ، ولكنه
يقرر ، بحق ، أنه وزير ألقى على عاتقه عبء ثقيل ، ثم هو فى آخر سن
الكهولة ، فليس لديه الشروط الواجبة للمؤرخ ، ولكن كان عليه أن يمثل
لأمر مولاه وأن يكتب التاريخ الذى أمر بكتابته وأن يحاول أن يحسن فيه .
ببذل غاية الجهد .

ولهذا فهو يأمل من القارئ أمرين :

أولهما أن يتجاوز عما يجد من خطأ أو خلل أو سهو أو زلل .

والثانى أن يعذر المؤلف الضعيف الذى صدع بما أمر به .

وهو فى ثقة العالم بنفسه واعتزازه بمعنى العلم الرفيع يرجو العالم الذى
يقرأ الكتاب فىرى فيه نقصاً أو عيباً أن يكمل النقص وأن يصلح العيب وأن
يتم ما بدأ على خير وجه .

(١١)

بيّننا أن المجلد الثانى من جامع التواريخ ينقسم إلى قسمين : قسم خاص .

(ن)

بتاريخ الأنبياء والعظماء ثم تاريخ إيران قبل الإسلام ، ثم التاريخ الإسلامي حتى غزو المغول ، والقسم الثاني خاص بالشعوب التي عرفها المغول ، كالهنود والإفرنج . ونستطيع بعد أن ذكرنا في البند السابق خطة رشيد الدين أن نقرر ، نقلاً عن المؤرخين المختصين ، أن مبدأ النقل أو بعبارة أدق مبدأ التصنيف ينطبق على أجزاء كثيرة من القسم الأول ، من ذلك :

١ - حديثه عن الدولة الغزنوية مأخوذ عن كتاب تاريخ اليميني .

٢ - حديثه عن السلاجقة مأخوذ عن كتاب « راحة الصدور »

لرأوندى . وحين قام محمد إقبال بنشر « راحة الصدور » اتخذ من نص رشيد الدين نسخة ثانية يصلح منها ويقارن بها . كما أنه نقل عن « تواريخ آل سلجوق » لأبي حامد محمد بن إبراهيم .

٣ - حديثه عن الدولة الخوارزمية مأخوذ عن كتابي : « مشارب

التجارب » لأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي المشهور بابن فندق

وعن « تاريخ جهانگشای » للجويني . وقد ذكر العلامة القزويني

أن رشيد الدين استوعب « تاريخ جهانگشای » كله في

كتابه نقلاً وتلخيصاً . (مقدمة الجزء الثالث ص ٦١ ، وانظر رسالة

الدكتوراه التي قدمها الزميل الدكتور فؤاد الصياد عن رشيد الدين

فضل الله مؤرخ المغول ص ٢٠١ - ٢٠٣) .

(س)

ومن هذا نتبين أن نقل تواريخ هذه الدول من مصادرها الأولى أولى
من نشرها مترجمة عن تصنيف رشيد الدين لها .
ولذلك تعد العناية بنشر هذا القسم أو ترجمته في المرتبة الثانية .

(١٢)

أما القسم الثاني من هذا المجلد وهو الخاص بالشعوب التي عرفها المغول فقد
بذل فيه رشيد الدين جهداً كبيراً . فهو يحدثنا أنه حين أراد كتابة تاريخ
الخطا استقدم عالمين صينيين هما : ليتاجى ويكسون وكانا عالمين بالطب
والفلك والتاريخ وقد أخبرا رشيد الدين أن خير كتاب في تاريخ الخطا كتبه
ثلاثة لامات متخصصون هم :

فوهين من مدينة نان جان چيو

وفنجو من مدينة كن چيو

وشيخون من مدينة لأووكين

وأن علماء المملكة راجعوا هذا الكتاب وشهدوا بأصالته .

فأحضر رشيد الدين هذا الكتاب ونقل عنه .

ويذكر شمس الدين الكاشاني في تاريخه المنظوم للمغول « تاريخ

غازان خان » أن الأمير پولاد چينگك سئگك ، سفير قوياي خان في بلاط

(٢)

(ع)

غازان ، كان يجلس مع رشيد الدين ، جلوس الشيخ مع المريد ، فكان
الأمير يحكي ورشيد الدين يدون :

وهذا يعطى فكرة واضحة عن دقة المصدر الذى يأخذ عنه رشيد الدين .
ولم ينشر من هذا القسم إلا جزءان من تاريخ الفرنج هما :

الباب الثالث من القسم الثانى من تاريخ الفرنج : « فى معرفة ولاية
الفرنج وبخارها وجزرها » ؛ والباب الرابع : « فى ولادة المسيح وقصته وذكر
البابوات والقيصرة » . قام بهذا النشر كارل يان فى براغ عام ١٩٥١ .

(١٣)

أستاذنا الجليل عبد الوهاب عزام أول من دعا عندنا لنشر وترجمة « نجام
التواريخ » . ألقى عام ١٩٤٧ محاضرة فى الجمعية الجغرافية عن رشيد الدين
وتحدث فيها عن كتابه وضرورة القيام بنشر القسم العربى منه وبترجمة بقية
الأجزاء إلى اللغة العربية لتسبب الفراغ عن فترة المغول فى العالم الإسلامى .
وأشار الأستاذ رحمه الله إلى مخطوطة دار السكيب (١٨٨٩ تاريخ ٤) التى
تختص بتاريخ القبائل وچنگيز خان ، آباءه وسيرته . وهى مصورة عن
مخطوطة مكتبة آياصوفيا باستنبول (تاريخ چنگيز) ومنها صورة بمعهد
المخطوطات التابع للجامعة العربية . وكان مقصد الأستاذ أن نبدأ بنشر هذا

(ف)

القسم العربي من تاريخ المغول ، فهو سهل نسبياً لكونه عربياً وهو من ناحية الترتيب الزمني أول أقسام « جامع التواريخ » .

ثم إن تحقيقه يسير إذا ما قورن بالنص الفارسي المقابل له والذي توجد منه مخطوطة في مكتبة روان كوشكي (طوب قاپوسراي) .

وحينذاك لم يكن لدينا من منشورات « جامع التواريخ » سوى القسمين اللذين نشرهما كاترمير وبلوشيه ، والذيل الذي كتبه حافظ آبرو للكتاب ، وكان من العسير وضع خطة شاملة لنقل الكتاب كله إلى اللغة العربية .

وفي عام ١٩٤٨ التقينا بالأستاذ مينورسكي بكلية الآداب ، وكان أستاذاً زائراً بها ، وتحدثنا في شأن جامع التواريخ ، واتفقنا على أن ننشر أولاً مخطوطة دار الكتب على أن نقرنها بالنص الفارسي لها الذي نشره بعد مقارنات بالمخطوطات الكثيرة برزين ، فإن المقارنة قد تثبت بعض التفاوت بين النصين العربي والفارسي كما أنها تفيد في تصحيح بعض الألفاظ الغامضة في كل من النصين .

وفي مايو من عام ١٩٤٩ التقيت بطهران بالعلامة القزويني وتحدثنا عن نشر جامع التواريخ ، وعن المخطوطة العربية التي لدينا وصلتها بنسخة برزين . وقد أراني الأستاذ هذه النسخة وقال إنها نادرة وحدثني عن كيفية اقتنائه لها .

(ص)

ولاشك أن الاطلاع على نسخة برزين له أهمية في نشر تاريخ
چنگيزخان .

(١٤)

وكثرت الأقسام المنشورة من الكتاب ، وقد اقتنينا بعد الحرب العالمية
الثانية ، الأجزاء التي نشرها كارل يان ، ثم المجلد الضخم الذي نشرته جامعة
باكو للإيلخانيين ، ورويدا رويدا تظهر الأجزاء التي تنشرها الجمعية التاريخية
بأنقرة بتحقيق الأستاذ أحمد آتش . بعد هذا أصبح من اليسير أن نضع خطة
كاملة لنشر تاريخ المغول .

ثم إن لجنة الترجمة والتبادل الثقافي بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية اقترحت ترجمة ونشر « تاريخ المغول » من كتاب
« جامع التواريخ » . وقررت وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، إدارة الثقافة ، أن
تقوم بنشر هذا التاريخ الذي نرجو الله أن يعين على إتمامه .

وسيكون الكتاب مجلدين :

المجلد الأول ويخرج في جزأين :

١ - الجزء الأول - تاريخ چنگيزخان . وهو نشر المخطوطة العربية التي

لدينا بدار الكتب ، مع مقارنتها بنسخة طوپ قاپو

سرای الفارسية ونسخة برزين إذا أمكن الحصول

عليها .

(ق)

٢ - الجزء الثاني - أبناء چنگيز من أوگتاي خان حتى تيمور خان .

عن طبعة بلوشيه .

والمجلد الثاني ويخرج في ثلاثة أجزاء ، تحوى تاريخ الإيلخانيين حتى

آخر عهد غازان خان :

١ - الجزء الأول : تاريخ هولاكو خان .

٢ - الجزء الثانى : تاريخ الخانات من آباقا خان إلى كيخاتو خان .

٣ - الجزء الثالث : تاريخ غازان خان .

ثم يأتى بعد ذلك « الملحق » وهو ذيل جامع التواريخ لحافظ آبرو

لتم به سلسلة الإيلخانيين .

(١٥)

والجزء الذى نشره اليوم يتعلق بتاريخ هولاكو ، وسيرى فيه المؤرخون

رواية جديدة عن الملاحدة ؛ وسقوط بغداد ؛ ثم هزيمة جيش هولاكو على

يد المصريين فى عين جالوت .

فحديث رشيد الدين عن الملاحدة وكيف أوعز قاضى القضاة شمس الدين

القزوينى إلى منگوقاآن بهدم قلاعهم أكثر تفصيلا ووضوحا من

الروايات العربية .

وأما حديثه عن سقوط بغداد وزوال الخلافة العباسية بقتل المستعصم

فبخالف فى كثير من النقاط ماورد فى كتب المؤرخين المسلمين من أهل السنة ؛

(د)

عرباً كانوا أو تركاً . فهو يتحدث عن الدور الذي قام به ابن العلقمي مبيناً إلى أي حد كان هذا الوزير مخلصاً في نصحه للخليفة وإلى أي حد تعرض للتسائس الدوا تدار وابن الخليفة ، وكيف اتهم الوزير بأنه يحابي هولاء كوا أنه يبغض العباسيين ويتمنى زوال خلافتهم لأنه شيعي وكيف نجح أعداؤه في إذاعة هذا عنه . فالصورة التي نراها هنا لابن العلقمي غير هذه الصورة التي نجدها في كتاب عربي كالبدء والنهية لابن كثير أو في كتاب تركي كقصص أنبيا وتاريخ خلفاء لحدوت باشا .

وكذلك الحديث عن الخواجه نصير الدين الطوسي الذي لم يسلم بدوره من اتهام بعض المؤرخين نراه مصوراً هنا صورة لا يرقى إليها الشك فهو يعمل بكل الوسائل لحث هولاء كوا على العناية بشئون المسلمين .

ولم يذكر رشيد الدين الطريقة التي قتل بها الخليفة ، وللمؤرخين الإسلاميين روايات كثيرة في هذا . وذكر رشيد أن الخليفة بعث بالجائليق ليستدر عطف هولاء كوا الذي كان يميل للنصارى أرضاء لزوج دوقوز .

وأما حديثه عن انتصار المصريين على جيش هولاء كوا فحديث المؤرخ المنصف فهو يثنى على خطة قطز ، وهو في الوقت نفسه يصور قائد المغول ، كيتوبوقا ، قائداً شجاعاً يؤثر القتال حتى الموت « فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان » ، ويهون على هولاء كوا فناء جيشه « ولينتصروا الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاماً واحداً » .

(ش)

وسوف ننشر ماينجز من الكتاب أولاً بأول وفق الخطة التي ذكرناها .
ولا نشك في أن العزم الصادق في تحقيق الأهداف العليا للثقافة الذي تسير عليه
وزارة الثقافة والإرشاد القومي خليق بأن يمكن لنا ، أولمن بعدنا ، تحقيق
نشر تاريخ المغول عملاً على استكمال حلقات التاريخ الإسلامى فى المكتبة
العربية .

والله المستعان ؟

يحيى الخشاب

مايو ١٩٦٠

مقدمة كاترمير

ترجمة

محمد القصاص

أستاذ الدراسات السامية
كلية الآداب ، جامعة عين شمس

مراجعة

يحيى الخشاب

تقديم

عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته

حرصت الأمم المتحضرة في جميع العصور على أن يترك كل جيل منها للأجيال التي تعقبه صورة من حياة رجاله العظماء الذين امتازوا في ميدان العلوم أو الآداب ؛ إذ قد شعر الناس أن أبسط علامات الوفاء نحو عالم كرّس لئاليه لتثقيف جيله والأجيال المقبلة أن يحيطوا اسمه بسياج يرد عنه غوائل النسيان ، ولكن إذا كان الرجل الذي جعلناه موضوعاً لبحثنا هذا لم يكتف بالكتابة والتأليف لسداد الدين الذي يدين به كل إنسان نحو المجتمع الذي هو عضو من أعضائه ، بل قام أيضاً بوظائف هامة ، وحقق الثقة التي وضعها مليكه في عنقه ، وإذا كان قد جمع إلى الثقافة والآداب مهام الإدارة الشاقة وتفاصيلها الشائكة ، وإذا كانت مؤلفاته الفائقة التي قد لا يشك القارئ في أنها استغرقت منه كل حياته ، لم تكن إلا ثمرة لأوقات فراغه الحافلة ؛ فإنه يستحق أن يحيا حياة مضاعفة في ذاكرة بني الإنسان ، وأن يحصل على ذلك النوع من الشهرة الذي يؤهله له التاريخ الصادق النزيه لأعماله ومؤلفاته . فكل هذه النواحي من الفضل تجتمع في شخص رشيد الدين .

عهد إليه برياسة الحكومة في مملكة كبيرة ، وتولى الوزارة لثلاثة أمراء

متتابعين ، فعرف كيف يجمع بين الصفات التي تميز رجل السياسة ، وبين التبحر في العلم والمعارف الذي يتميز به رجال الأدب . هذا إلى أنه قد أصابه حادث رفع من قدره في نظرنا ؛ ففي اللحظة التي أوشك فيها على الوصول إلى خاتمة حياته العملية ، والتي كان يبدو فيها أن خدماته الطويلة ومؤلفاته العلمية قد ضمنت له شيخوخة كريمة ، واحتراماً من قبل الامبراطورية بأسرها ، حيكت حوله مؤامرة من مؤامرات القصور ؛ فهوت به من قمة عظمته ، وطاحت برأسه تحت آلة كان ينبغي ألا تصيب غير الجناة .

أليس إذن من العدل أن يصدق عليه من آيات التقدير ما يعوضه بطريقة ما عن جحود معاصريه ؟ لذلك رأيت من واجبي أن أخصص بعض الصفحات لجمع الظروف الرئيسية التي أحاطت بحياته السياسية والأدبية ، وأردت أن أعبر بهذا القدر الضئيل من التقدير عن عرفاني بالجميل لذكرى كاتب لا يعرفه إلا القليلون ؛ وقد اغترفت من كتبه معلومات كثيرة أفادتني في غالب الأحيان . ولما كان هذا الفصل على جانب من الطول فقد قسمته إلى قسمين ، سأعمل في القسم الأول على رسم صورة لرشيد الدين باعتباره من رجال السياسة ، وعلى أن أتبع أطوار حياته السياسية ، وسأتبع ذلك بملحق يحتوي على كل ما أمكنني جمعه عن حياة أولاده . أما القسم الثاني فينطوي على بعض التفاصيل المسهبة عن إنتاجه الأدبي .

القسم الأول

ولد فضل الله رشيد أو رشيد الدين بن عماد الدولة أبي الخير وحفيد موفق الدولة على في مدينة همدان التي كانت في القديم تعرف باسم « إكباتان » . وأعرف أن حاجي خليفة^(١) ، وهو يستعرض مشاهير الرجال الذين كانت « تبريز » موطناً لهم قد جعل من بينهم رشيد الدين وابنه غياث الدين ، فلم يفتن الجغرافي التركي إلى هذه الحقيقة التي نقلها عن كاتب أقدم منه بكثير ، ولكن تكفي كلمة واحدة لتنفيذ هذه الدعوى ، وذلك أن مؤلفنا يذكر على رأس كل كتاب من كتبه نسبة « الهمداني »^(٢) على أنها لقب له ، ولا ينسب لنفسه لقب التبريزي في أي مكان . وأنا أعرف جيداً أن هذه الحجة قد لا تكون وحدها دليلاً قاطعاً ؛ إذ كثيراً ما يحدث لدى الشرقيين ، ألا تدل الصفة المنتهية بـ « الهمداني » والتي تضاف إلى اسم أحد الأشخاص ، على أنه من مواليد المدينة التي اشتقت هذه النسبة منها . ومن هذا القبيل أن المؤرخ الشهير عبد الرزاق يحمل لقب السمرقندي في كل مكان ، مع أنه لم يولد في سمرقند ، كما أخبرنا هو نفسه بذلك ، ولكنه قضى فيها شطراً من حياته . غير أن هذه

(١) جهان نما ، طبع القسطنطينية ، ص ٣٨٢ .

(٢) ينص دولت شاه « تذكرة الشعراء » مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٢ وجه ، على أن أصل مؤلفنا من همدان « در أصل همدانست » ، ويضيف إلى ذلك قوله : إنه لا يوجد أي شيء يدل على أن هذا الكاتب قد وُلد في مدينة أخرى من مدن فارس . (طبعت تذكرة الشعراء بعد ذلك) .

الحالة و بعض الحالات الأخرى التى نستطيع ذكر الكثير من أمثلتها لا يمكن فيما يبدو لى ، أن تكون مقياساً للحالة الخاصة بكاتبنا . كما أننا لا نراه ، يدعى فى أى موضع من كتبه ، أنه أقام فى همدان التى كانت من مدن الدرجة الثانية ، والواقع أنه لو كان قد أقام فعلاً فى تبريز لكان من العسير ألا يفخر بنسبته إليها ، ولا سيما أنها كانت تعتبر فى عهد قازان خان عاصمة الامبراطورية المغولية فى فارس ، وأن منصب الوزارة قد قضى عليه أن يعيش فيها سنين طويلة . فلو كانت هناك أسباب خاصة دفعته إلى الانتساب إلى همدان أصلاً لكان فى وسعه — كما يفعل الكثير من كتاب الشرق — أن يضيف إلى اسمه لقبين يدل بأحدهما على المدينة التى ولد فيها وبالثانى على المدينة التى جعلها مقره المعتاد . هذا إلى أنه من السهل أن نستشف السبب الذى أدى إلى ذلك الخلط الذى نشير إليه : ذلك أنه لما كان رشيد الدين قد قضى جزءاً من حياته فى مدينة تبريز ، وكان يبدى نحوها عطفًا ملحوظًا ، كما زين أرجاءها بكثير من العماثر الفخمة ، فقد جرى الجغرافى التركى ذلك المصدر القديم الذى اعتمد عليه دون تمحيص ، واستنبط خطأ أن ذلك التفضيل لم يكن إلا نتيجة للتعلق الذى يشعر به كل إنسان نحو المكان الذى شهد ميلاده . ولكن إذا اعتبرنا أن تبريز كانت فى هذه الفترة ، كما قلنا ، عاصمة الامبراطورية المغولية فى فارس وأن قازان خان ، ولى نعمته كاتبنا ، كان شديد الحرص على تجميلها بالعماثر الفخمة والضواحي الرحبة ، وأنه شيد فيها الضريح الذى أعده لاستقبال رفاة بعد مماته ، فإننا ندرك بسهولة أن رشيد الدين المقم بالإجلال لذكرى مليكه

اللامع الذى أغدق عليه كل آيات العطف والتقدير ، أراد أن يحتذى مثال سيده فى تجميل هذه العاصمة وأقام فيها ، هو الآخر ، ذلك الضريح الفخم الذى أعده ليكون مقراً لجثمانه بعد موته .

ويزعم أبو الغازى بهادر^(١) أن رشيد الدين ولد فى قزوين ، ولكنه زعم لا يستحق المناقشة .

ويرد ذكر رشيد الدين^(٢) فى كتاب تاريخ « خطاي » المنسوب للبيضاوى ، والذى نشره أندريه ملر Anpré Muller ، حيث نرى مترجمه إلى اللاتينية يترجم إحدى الفقرات الفارسية^(٣) على نحو لو تناولناه بشيء من التصحيح الطفيف ، أمكننا ترجمتها هكذا : « يذكر رشيد الدين ، رواية عن بولاد تشنج سانج Poulap Tohing-sang وهذا الأخير ، كما سنرى فيما بعد ، كان شخصية عظيمة الأهمية ، وقد استقى منه مؤلفنا أقوم التفسيرات التى استغلها فى تأليف كتبه » .

لم أجد لدى أحد من المؤلفين الذين رجعت إليهم أية إشارة عن السنة التى ولد فيها رشيد الدين . ولكن يمكننا أن نحدد هذه الفترة بشيء من الدقة . فإن الصقاعى الذى أكل « وفيات الأعيان لابن خلكان^(٤) »

(١) تاريخ التتار العام ص ٧٧

(٢) تاريخ « خطاي » Hist. Chataica ، النص الفارسي ، ص ٩

(٣) الترجمة اللاتينية ص ١٢

(٤) المخطوطة العربية رقم ٧٣٢ ، ورقة ٨٤ ظهر . (وهو فضل الله بن أبي الفخر الصقاعى النصرانى الكاتب المتوفى سنة ١٣٢٥/٧٢٦ - ٢٦ . والمخطوطة هى « تالى الوفيات » انظر : « المؤرخون الدمشقيون » للدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة . ١٩٥٦ .

يذكر أن رشيد الدين قدماء في سن الثمانين . ونحن نعرف على وجه التحقيق أنه مات سنة ٧١٨ هجرية (١٣١٨ ميلادية) . فإذا صح ما ذكره الصقاعي ، استطعنا أن نجعل ميلاده في سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) غير أن دعوى الصقاعي لا أساس لها من الدقة رغم استناده على أبي المحاسن^(١) ؛ إذ أن رشيد الدين نفسه^(٢) يحدثنا أنه كان سنة ٧٠٥ في حوالى الستين من عمره . وهذه شهادة وثيقة ، إذ من العسير أن يتصدى شئ لتجريحها . وإذن فيمكننا أن نستنبط منها أنه ولد سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) .

يقرر الصقاعي^(٣) أن رشيد الدين كان يهودى الأصل والدين . ولو لم يكن لهذه الدعوى من شاهد غير الصقاعي ، وهو جامع سطحى غير محقق . لما احتاجت منا إلى اهتمام يذكر ، ولكن رشيد الدين نفسه يصرح بأن أعداءه قد وجهوا إليه هذه التهمة بقصد تسوى سمعته في نظر المسلمين^(٤) ، وأنهم راحوا ينشرونها ويحيطونها بكل ضروب الزخرف التى من شأنها أن تبهر الجماهير . ولو لم يكن من العبث التماذى فى البحث عن الأسباب التى أدت إلى هذه الوشاية ، لرجحنا أن من بين الحجج التى انتحلها حاسدو رشيد الدين ، دراسته الخاصة لعادات اليهود وتقاليدهم التى تدل على معرفته التامة بها . هذا إلى أنه يبدو لى من المستحيل القول بأن

(١) النهل الصافى ، مجلد ٤ ورقة ٨٤ ظهر ، مخطوطة عربية رقم ٧٥٠

(٢) مجموعة رشيد ، مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٦٢ وجه .

(٣) مخطوطة عربية رقم ٧٣٢ ، ورقة ٨٣ وجه .

(٤) مخطوطة رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٢٠ .

رشيد الدين كان يدين باليهودية أو حتى بأنه كان يهوديا اعتنق دين الإسلام .
ويمكننا أن نقول نفس الشيء عن أبيه وعن جده ، لأنه يحرص على إعطائهما
اللقاب لا تليق إلا بأشخاص مسلمين ^(١) . كما أنه ، هو نفسه ، يشهد شهادة
قاطعة على شدة تمسك أبيه بالدين ، حين يتكلم عنه في هذه العبارات ^(٢) « من
الحقق المعروف لجميع ذوى المقام الذين يعتبرون في أيامنا هذه من عمد الدين
والدولة أن شهرة أبي ترجع أولا وقبل كل شيء إلى طهارة أخلاقه وشدة
تمسكه بإسلامه . فقد ظل السنين الطوال يتردد على مجالس العلماء ويختلط
بالشيوخ والنسك وأشد الناس تمسكا بدينهم ، وقد استمد منهم كثيرا من
المعارف المفيدة » .

كذلك لا يمكن لتهمة اليهودية أن تصدق بالنسبة لجد مؤرخنا ، تشهد
بذلك هذه الفقرة التي نجدها في تاريخ ميرخوند ^(٣) حينما استولى هولاكو
على قلعة الموت ، حصن الإسماعيلين الرئيسى ، ورأى هناك ثلاثة من عظماء
الرجال ، وهم ناصر الدين محمد الطوسي ورئيس الدولة وموفق الدولة الهمداني ،
الذين كانوا يقيمون في هذا المكان بطبيعة الحال ؛ ولما اقتنع الأمير أن هؤلاء
الرجال الأجلاء لا ينفكون عن إظهار توأياهم السلمية ، أمر بإخراجهم من
القلعة هم وجميع الأشخاص المتصلين بهم ، ثم ألحقهم بخدمته « . وليس موفق

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١ .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ١١٩ وجه

(٣) مخطوطة أتر Otter رقم ١١٥ ، الجزء الرابع ، ورقة ٥٩ وجه .

(يشير إلى كتاب روضة الصفا ، وهو مطبوع الآن) .

الدولة هذا إلا جد مؤرخنا لأبيه . وأعتقد أننا لا نخطئ حين نستنبط أن صديق ناصر الدين الطوسي ، والشخص الذي شاطره ثقة هو لا كو وتقديره ، لم يكن يهوديا ، بل كان مسلما صادقا في إسلامه متحمسا له .

ولكن هل كان أسلاف رشيد الدين من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ؟ هذا ما يبدو لنا من المستحيل أن نقطع فيه برأى : ولكنه لا يبدو لنا بعيدا عن الاحتمال كل البعد . هذا إلى أن ذلك الأصل اليهودي قد يفسر لنا تفسيراً مقبولا عناية مؤلفنا البارزة بتقصي عادات اليهود ومعرفتها ؛ لأن هذا النوع من الاستطلاع نادر الوجود لدى كتاب المسلمين الذين كانوا يظهرون دائما نحو الأجانب بوجه عام ، واليهود بوجه خاص ، نوعا من ازدراء المتعالى ، ويضنون بوقتهم الثمين على إنفاقه دراسة الأخلاق والطقوس الخاصة بشعوب يعتبرونها من أهل الكفر^(١) . ومهما يكن من شيء ، فإننا نعلم من رشيد الدين نفسه^(٢) أنه كان شديد التأثر بفضائل أبيه ، فأظهر منذ طفولته تمسكا شديداً بالدين ، وعكف على التفكير في قواعد الدين الإسلامي وتطبيق قوانينه في حياته العملية . وكان شديد التطلع إلى كشف غوامض القرآن^(٣)

(١) لا ينبغي أن يؤخذ هذا الذي أقوله على إطلاقه ، فقد كان بعض الكتاب المسلمين كالمسعودي وابن خلدون على علم تام بكل ما يتعلق باليهود « وهناك مؤلف مشهور له أيضا بالدقة والنزاهة ، وهو البيروني الذي نراه يتكلم عن اليهود في مؤلفه المسمى « كتاب الآثار » (مخطوطة عربية في مكتبة الأرسنال رقم ١٧ ، ورقة ١٧ ظهر) ليس فقط باعتباره رجلا درس النظم العبرية ، بل كان كثيرا ما يذكر بعض النصوص العبرية مرسومة بالأحرف العبرية . (يقصد كتاب الآثار الباقية من القرون الحالية ، وهو مطبوع)

(٢) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ وجه

(٣) المرجع السابق ورقة ٥٤ وجه و ١١٩ ظهر .

والنفاذ إلى ماتكنه آياته من الأسرار والمعاني العميقة ، فراح يتردد على مجامع العلماء وينصت إلى تعاليمهم بشغف منقطع النظيرة ويضيف ما يغترفه من أنوارهم إلى ما يصل إليه بتأملاته الشخصية . وفي ذلك يقول : على هذا النحو كنت أستغل أوقات فراغي ، وذلك لأنني ألحقت بقصر السلاطين منذ شبابي الغض وشغلت بدقائق الإدارة ، وما فتئت الأعمال والرحلات تجرفني في غمرتها ، فلم يتوفر لي من الوقت ما يسمح لي بقراءة الكتب التي كان من شأنها أن تزودني بتعليم متين ، وتمدني بمعارف شتى في مختلف فروع العلوم والآداب . وهكذا كان على أن أقنع بالبقاء غارقا في جهلي الأول » . وينبغي لنا ألا نفهم هذا اللوم الذي يوجهه مؤلفنا إلى نفسه فهما حرفيا ، لأننا سنرى فيما بعد أنه لم يكن جاهلا بأية حال ، بل وسنلاحظ أنه كان يتحلى بالكثير من المعارف العميقة المتنوعة على السواء . ولعل هذا الحكم القاسي الذي يصدره على نفسه ليس ، في حقيقة الأمر ، إلا طريقة مستورة للإعلاء من قدر نفسه ، ومما يرجح صدق هذا الظن أن مؤرخنا كثيرا ما يكرر ، في نوع من التظاهر ، أنه لما لم يستطع قراءة المؤلفات التي كتبها المؤلفون من قبله في تفسير القرآن ، فإنه لم يأخذ منها شيئا ، وأن كل ما قاله في هذا الموضوع من ثمرات تفكيره الشخصي ^(١) .

كان رشيد الدين يحترف الطب . ولعل مهارته في هذا العلم هي التي مهدت له السبيل إلى قصر سلاطين فارس المغوليين ، وكسبت له ودهم . ونحن نعلم

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ ، ١٦٧ الخ .

منه أنه قضى جزءاً من حياته في خدمة خان أياقا وخلفائه ، وأنهم كانوا جميعاً يعاملونه بإجلال ^(١) ملحوظ . ولكن لا يبدو أنه شغل وظائف هامة قبل عهد غازان خان الذى جلس على العرش سنة ٦٩٤ من الهجرة (١٢٩٥ م) . فهذا الأمير الذى كان يعرف كيف يقدر ذوى الكفاءة ويجمع إلى الصفات العالية التى تميز العاهل كثيراً من المعارف الواسعة فى العلوم والآداب ، لم يلبث أن قدر رشيد الدين ، فجعله موضع ثقته ، وكثيراً ما كان يتناقش معه ، وبوجه خاص حول الدين الإسلامى والتفسير الصوفى لآيات القرآن ^(٢) . وبعد قليل أراد أن يقدم له دليلاً قاطعاً على الثقة التى شرفه بها ، وأن يكافئه على خدماته بأجلى الصور ، فرفعه إلى المنصب الأول فى الامبراطورية ، واختاره وزيراً له . وقد ولى رشيد الدين هذا المنصب بعد نكبة الوزير صدر الدين الزنجانى المسمى صدرجهان . وتكفى هذه القصة التى سأقصها ، رواية عن مؤلفنا نفسه ، للدلالة على عظيم التقدير الذى كان يتمتع به لدى غازان ^(٣) .

ظل رشيد الدين زمناً طويلاً ، على صداقة متينة بصدر الدين ، فعمل بعض أعضاء المجلس الذين أثارت هذه الصلة حسدهم ، على فضمها بكل جهدهم .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٢١٠ وجه .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٢٥ ظهر ، ومخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٨٥ ظهر ووجه .

(٣) جامع التواريخ ، مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٦٩ ظهر ووجه ، ميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٠٣ ظهر ، خوندميز (حبيب السير وهو مطبوع الآن) ، مجلد ٣ ورقة ٤٩ ظهر .

فبدءوا بالسعاية لدى رشيد الدين بكل أنواع النعمة ، لكي يوغروا صدره على صديقه . ولما تيقنوا أنهم لن ينجحوا في مسعاهم ، حولوا جهودهم شطر صدر الدين ، واستطاعوا بفضل أكاذيبهم أن يوحوا إليه بما أرادوا . ويبدو أن رشيد الدين لم يلاحظ التغير الذي طرأ على صدر الدين بالنسبة إليه ، حتى كان شهر جمادى من سنة ٦٩٧ حيث ذهب الوزير إلى غازان وقدم إليه اتهاهما رسميا عند رشيد الدين . وحاول هذا الأخير أن يتكلم مدافعا عن نفسه ، ولكن غازان بين لصدر الدين مبلغ الجرم الذي ارتكبه باتهام رجل لم يستعمل إزاءه مثل هذه الوسيلة قط ؛ ثم قال لرشيد الدين « لاتدنس لسانك بالرد على هذه المفتريات ، وداوم على اتباع نفس المسلك الذى سلكته حتى هذه الساعة » . وحينئذ اعترف صدر الدين ببراءة صديقه القديم ، واشتد غضبه على أولئك الذين رموه بالأكاذيب . ولكن اتفق أن قام قطب الدين ومعين الدين وبعض الأمراء الآخرين باتهام صدر الدين لدى السلطان بالاختلاس . فاعتقد صدر الدين أن هؤلاء لم يقوموا باتهامه إلا بأمر رشيد الدين وإغرائه ، وتحين الفرصة للانتقام منه . وفى شهر رجب من السنة نفسها ، كان السلطان قد نقل قصره إلى المكان المسمى « دLAN ناؤر » على الضفة الأخرى من نهر كور (قورش) . وحدث أن كان الأمير كتلكشاه عائدا من جرجستان (جورجيا) ، فاشتبك مع صدر الدين فى نقاش حاد حول هذا الإقليم . فأحرق الوزير من هذا التأنيب وسعى فى الإساءة إلى الأمير لدى السلطان ،

إذ أخبره أن سوء سلوك الضباط الذين تحت إمرة كتلكشاه قد جر الخراب على جرجستان . فأثار هذا الأمر غضب السلطان إلى حد أنه لم يدع فرصة تمر دون أن يظهر فيها للأمر سخطه عليه ورأى كتلكشاه أن يقابل صدر الدين ويسأله عن وشى به لدى السلطان ، وأوغر صدره عليه إلى هذا الحد وأجابه صدر الدين بأن الطبيب رشيد الدين هو الذى فعل ذلك . وكان كتلكشاه خارجا من لدى السلطان يوم النوروز (أى رأس السنة) ، والتقى برشيد الدين مصادفة ، فاستوقفه وقال له : « لقد عشنا دائما معا على أحسن حال من المودة ، ولم يحدث بيننا ما يمكن أن يغضب أحدا منا ضد الآخر ؛ فلماذا ، إذن ، سعيت إلى هلاكى لدى السلطان ؟ » وأجابه رشيد الدين بأنه لم ير منه قط ما يمكن أن يكون موصفا للشكوى ، وأنه لذلك لم يفكر مطلقا فى اتهامه أمام السلطان ؛ ثم أضاف قائلا : « لأبدا أن تقول لى من الذى أبلغك هذا الخبر . وإلا أبلغت السلطان » . ولما لم يرد كتلكشاه أن يعترف له بشيء ذهب إلى غازان خان وأبلغه بما حدث . فاستدعى السلطان الأمير ، وألزمه صراحة أن يكشف له عن سمع منه ذلك النبأ . واعترف كتلكشاه بأنه لم يقل إلا ما سمعه من صدر الدين . وحينئذ احتدم غضب السلطان وصاح قائلا : « لقد عملت كل ما فى وسعى لأعلم هذا الرجل التزام السكينة والكف عن السعاية ، ولكنه غير قابل للإصلاح . وكان من جراء هذا الحادث أن ثارت ثائرة السلطان على صدر الدين ، وكان غير مستريح له من قبل . فأحاله

إلى المحاكمة أمام مجلس قضا عليه بالإعدام. وقسمت أعمال الوزير بين رشيد الدين وسعد الدين^(١). وقد تم هذا الاختيار في غضون سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧-٩٨) كما ورد في « تاريخ كزیده » (التاريخ المختار^(٢)). ولكن يبدو أن « تاريخ وصاف^(٣) » يجعل وقوع هذا الحادث في سنة ٦٩٩، وتبع ميرخوند هذا الرأي؛ ولكن سلسلة الحوادث التي يوردها المؤلف، لاتدع مجالاً للشك في أن ذلك يرجع إلى خطأ في النسخ، وأنه يتحتم علينا قراءة ٦٩٧ بدلا من ٦٩٩.

في سنة ٦٩٩^(٤) (١٢٩٩ - ١٣٠٠) سار غازان خان على رأس حملة حربية إلى الشام، واستولى على دمشق، مما أدى إلى انتشار المغول حولها ومهاجمتهم الأماكن المجاورة لها وارتكابهم شتى الفظائع، جريا على عادتهم. فحاول الشيخ تقى الدين بن تيسية أن يصل إلى السلطان ويتوسط لديه في أن يأمر بالكف عن هذه الكبائر. ولما لم يستطع المشول أمام السلطان بسبب انحراف صحته في ذلك الحين، توجه بطلبه إلى الوزيرين سعد الدين ورشيد الدين اللذين صرفاه بالحنسنى دون أن يعطياه جوابا شافيا. وكان بعض الأمراء الآخرين الذين بدأ بتوجيه طلبه إليهم قد أخبروه أنه إذا أحاط علم السلطان

(١) تاريخ الهون Histoire des Huns، مجلد ٤، ص ٢٧١.

(٢) مخطوطة بروي رقم ٩، ورقة ١٩٨ ظهر. (وهو مطبوع الآن، مؤلفه حمد الله مستوفى القزوينى)

(٣) المخطوطة فارسية بالمشكبة، ورقة ٢٦٠ ظهر.

(٤) تاريخ مصر Histoire d' Egypte، مخطوطة الأستاذ مارسيل، ورقة

بالفظائع التي يرتكبها المغول ، عاقبتهم السلطان بكل صرامة ، وأن هذا العقاب لابد أن يجر على سكان دمشق أبشع أنواع الانتقام . وفي السنة التالية^(١) ٧٠٠هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١) دبرت دسيسة من دسائس القصر ضد الوزيرين . وذلك أن بعض الأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب هامة ، زعموا أنه أسوأ إليهم ، أو سؤلت لهم أوهامهم وغرورهم أن في استطاعتهم الوصول إلى مناصب أشهى من مناصبهم فحشدوا أحقادهم وخيلهم للإيقاع بالشخصيتين اللامعتين اللتين رأوا في وجودهما عقبة في سبيل تحقيق أمالهم . واستطاع أحدهم ، واسمه قطب الدين ، أن ينجح في المثل أمام السلطان ، وأبدى له من مظاهر الحماص والبراهة أسماها . وأشدّها تأثيراً في النفوس ، ثم عرض عليه أن يكشف له باسمه واسم زملائه عن اختلاسات الوزيرين وسوء استغلالهم لأموال الدولة . ولكن غارات بخان ذا الذهن المستنير لم تكن ليخدع بسهولة بتلك الخطب المصطنعة ، فلم يلبث أن فطن إلى أن الحسد والطمع هما الباعثان الخبيثان اللذان أمليا هذا الاتهام . وبذلك لا من أن يغير تلك الأكاذيب أذن مضغية ، أسلم الخبايا لانتقام القانون ، فحكم على اثنين منهم بالإعدام ، ولم يستطع محمود الذي يشغل منصب شيخ المشايخ ، أن ينجو بحياته إلا بفضل شفاعته بولوجان زوجة غازان المفضلة ، وإن كان السلطان لم يستجب لهذه الشفاعة إلا بذلك الشرط الصريح ، وهو ألا يعود محمود إلى الظهور في القصر بأية حال .

(١) تاريخ وصاف ، ورقة ٣٢٤ ظهر ووجه ، ورقة ٣٢٥ (مطبوع الآن)

وفي سنة ٧٠٢ / ١٣٠٢ - ١٣٠٣^(١) لما قدم قازان خان لحصار مدينة
الرحبة الواقعة على شاطئ الفرات ، صحبه رشيد الدين في هذه الحملة لكي يترجم
أوامره ورسائله إلى اللغة العربية . ولم يكتف السلطان بأن يمدّه بجميع المال
اللازم لنفقات رحلته من جيبه الخاص ، بل أيضاً منحه بغلة من بغال
اصطبلاته . كما أنه لم يترك مناسبة من المناسبات إلا أبدى له فيها آيات تقديره
وإجلاله على رموس الأشهاد . هذا إلى أنه أمر رشيد الدين أن يكتب باسمه
خطاباً بالعربية ينذر فيه المحاصرين بالتسليم ، وألا يعرضوا أمتهم للخطر
بدفاع غير مجد . فأحدث الخطاب أثره ، واستولى غازات خان على المكان
دون قتال .

وفي أثناء وجود القصر المغولي في مدينة عانة ، على شاطئ الفرات ،
سنحت لرشيد الدين الفرصة لكي يعرف ويقدر أحد منافسيه في الميدان
الأدبي . فقد ألف كاتب فارسي اسمه عبد الله بن فضل الله كتاباً في تاريخ
الامبراطورية المغولية أسماه « تاريخ وصاف » ويحظى هذا الكتاب
في الشرق بأسمى مكان لأن المؤلف حشاه بوهج براق من الاستعارات الجرئية
والمتنافرة في بعض الأحيان ، ومن ضروب الجنس الغريبة وجميع أنواع
المحسنات اللفظية المميزة لذلك الأسلوب الطنان الذي يعتبر مثال البلاغة العليا

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٧٨ ، ظهر ، وقد طبع في بمباي .

فى نظر القراء الآسيويين^(١). ولما أتم المؤلف جزءاً من كتابه ، أراد أن يهديه إلى غازان خان . فاستقبله العاهل فى يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب سنة ٧٠٢ ، حيث قدم له كتابه . وقابله الوزيران رشيد الدين وسعد الدين بحفاوة بالغة ، وأغدقا عليه آيات الثناء ، وأكدا له أنه يحظى منهما بأسمى إجلال وتقدير . وأخذ السلطان ، بدوره ، يتصفح الكتاب ويوجه إلى المؤلف أسئلة عديدة عن شتى الحوادث التى انطوى عايبها هذا التاريخ . وأمر أن يكسى بغطاء من نسيج الذهب .

ولما كان السلطان قد شيد فى مدينة تبريز بعض العمار الفاخرة ، ووقف على صياتها حبوساً عقارية هائلة ، فقد عهد إلى رشيد الدين فى حجة صحيحة بإدارة هذه المؤسسة الفخمة والتصرف فى غلاتها^(٢) .

وبعد موت غازان خان ، جلس أخوه ألبايتو على عرشه ، فأبقى رشيد الدين فى منصب الوزارة بالاشتراك مع سعد الدين^(٣) . واحتفظ رشيد الدين لدى السلطان الجديد بنفس المكانة التى كانت له لدى سالفه . وقد تلقى برهاناً قاطعاً على ذلك ، لأنه لما اتخذ ألبايتو^(٤) كتلكشاه زوجة له ، اختار رشيد الدين لحضور حفلة الزواج باعتباره وكيلًا للأمية .

(١) مخطوطة المكتبة الملكية ، ورقة ٣١١ ظهر :

(٢) تاريخ وصاف ، المخطوطة الفارسية بالمكتبة الملكية ، ورقة ٢٩٣ وجه .

(٣) ذيل جامع التواريخ مخطوطة فارسية رقم ١١٦٨ ورقة ٤٥٢ ظهر . (يقصد ذيل

جامع التواريخ لحافظ ابرو ، وهو مطبوع)

(٤) المرجع السابق ، وجه .

ويجدر بي هنا ألا أغفل ذكر حادثة خاصة أوردها مؤلفنا^(١) . فقد كان السلطان ، حتى جلوسه على العرش ، يحمل اسم « خدا بنده » أى عبد الله . وحين تتويجه ، اقترح عليه الأمراء أن يتخذ لقب ألبايتو ، ومعناه فى اللغة المغولية « مبارك » . وكان رشيد الدين الذى كان قد انتهى من تحرير مديح للسلطان ، قد خطرت له نفس هذه الفكرة بخصوص اسم ألبايتو دون أن يكون قد اتصل بالأمراء . فلم ير بأسا من إعلان هذه الملاحظة . ولكيلا يظن أنه قد ادعى لنفسه هذا الأمر بعد وقوعه ، أمر بإحضار مسودة المديح التى كانت تحت يده أخذ كتابه ، وبين بطريقة لا تقبل الجدل حقيقة هذه المصادفة الفريدة .

وكذلك كان قد عهد إلى مؤلفنا بتربية إحدى بنات السلطان ، ولكن هذه الطفلة ماتت فى سن مبكرة^(٢) .

ولما أنشأ ألبايتو مدينة السلطانية^(٣) ، أقام فيها رشيد الدين ضاحية تضم حوالى ألف بيت . وكان من بين عمائرها مسجد فخم ، تحليه منارتان عظيمتان ، وينتهى بمقصورة تشرف عليه . وكان فيها أيضا مدرسة ومستشفى وزاوية . وقد خصصت مبالغ ضخمة لدفع رواتب المدرسين والتلاميذ والأطباء . ونرى المؤلف الذى أكمل تاريخ رشيد الدين والذى عاش فى عهد شاه رخ يذكر

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢٠٨ وجه .

(٢) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ / ورقة ٤٥٠ ظهر .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٤٥٣ / ظهر ، وانظر أيضا ميرخوند ، جزء ٥ ، مخطوطة أوتر الفارسية

صراحة أن جزءاً من هذه العائز كان لا يزال قائماً في الوقت الذي كتب فيه كتابه .

وفي شهر رمضان^(١) من سنة ٧٠٥ / ١٣٠٦ رغب نجيب الدولة وبعض الأطباء اليهود في اعتناق الدين الإسلامي . فاقترح رشيد الدين على السلطان وسيلة أكيدة للتحقق مما إذا كان هؤلاء اليهود الذين يطلبون اعتناق الدين الإسلامي يفعلون ذلك عن عقيدة أم نفاقا . وكان هذا الاختبار ينحصر في أن يقدم لهم شيء من لحم الإبل المغلي في لبن رائب . وعلى ذلك بأن القانون الموسوي يحرم طبخ اللبن مع اللحم ، وأن اليهود يعتبرون لحم الإبل نجساً يحرم عليهم استعماله تحريماً باتاً . فأمر السلطان بإجراء هذا الاختبار على اليهود .

وفي هذا العام نفسه^(٢) وفد على ألبايتو عاهل جيلان ليلتمس منه الرحمة ، فتوسط رشيد الدين في مصلحته بكل قوة ، وحازت وساطته النجاح المأمول منها .

وفي السنة التالية^(٣) ، صمم ألبايتو على محاربة إقليم جيلان . وبعد أن أصدر الأوامر الخاصة بمسير الجنود ، ذهب إلى المكان المسمى قنقر أولنج^(٤) حيث ترك زوجاته وحاشيته . واتفق أن كانت السلطانة المفضلة للدمش

(١) مخطوطة فارسية ، رقم ١٦٨ ورقة ٤٥٣ وجه .

(٢) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ورقة ٤٥٦ وجه .

(٣) المجموعة الرشيدية ، مخطوطة عربية ، رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢١٠ وجه ، ومخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٨٤ ظهر .

(٤) اسم «قنقر أولنجك» معناه لدى المغول الأرض التي بنيت عليها السلطانية ، ميرخوند ، جزء ٥ ورقة ٦٨ ظهر و ٨٩ وجه ، مخطوطة فارسية ١٦٨ ، ورقة ٤٥٣ وجه

مريضة في ذلك الحين ، فأصدر السلطان أمره إلى رشيد الدين أن يبقى بجانبها حتى يتم لها الشفاء ، وأن يعمل كل ما في وسعه ، بعد ذلك ، لكي يلحق بالجيش . وفي هذه الأثناء حدث حادث غير متوقع أوشك أن يغير الأسرة المالكة في الحزن ، وذلك أن طيفور بن الجايو الذي كان لا يزال حدثا ، كاد يلقي حتفه بصورة أليمة . وهذه هي قصة الحادثة كما رواها لأجايتو بعض الأشخاص الملحقين بخدمته في حضور النويان الأكبر ، بولاد أغا ، ورشيد الدين وبعض الأمراء الآخرين : في الليلة السابقة وضعت شمعة موقدة في المكان الذي كان يعسكر فيه طيفور بجانب خيمته . ومن الراجح أن يكون أحد النائمين في هذا المكان قد دفع الشعلة بقدمه فسقطت على الخيمة التي شبت فيها النار فوراً . وحدث أن استيقظ أحد الحراس بطريق المصادفة ، ولمح النار ، فألقى بنفسه في وسطها . ولكن النار كانت قد سدت باب الخيمة ، وحالت شدة اللهب دون الوصول إلى داخلها لا تنشال المهد الذي ينام فيه الأمير الصغير . ومن جهة أخرى لم يكن في الوقت فسحة لاستدعاء أي أحد . فاجتذب الحارس الخيمة المشتعلة نحوه وضغطها بين ذراعيه ضغطاً أدى إلى احتراق جزء كبير من جسمه . وفي هذه الأثناء استيقظ أحد زملائه ، وهرع إلى مساعدته ، ونجحا بمجهودهما مجتمعين في إطفاء الحريق . ولو كان الأمر قد تأخر لحظة واحدة لأصبحت الخيمة كومة من الرماد بكل ما تحتوي عليه ، وبجميع الأشخاص الذين حبستهم فيها النار . وأمر رشيد الدين والأمراء الآخرون إلى السلطانة الدزمش يبلغونها

الخبر فابتهجت لنجاة الأمير الصغير من خطر محقق ، وحمدت الله كثيرا وأمرت بتوزيع صدقات جزيلة على الفقراء .

وفي أثناء الحملة على جيلان حدث في نفس الوزير رشيد الدين شيء من الأمير مظفر الدين سعيد ، ولكن مندوب الوزير توسط في الأمر ونجح في إصلاح ما بينهما ^(١) .

وفي شهر جمادى الثانية من سنة ٧٠٧ ^(٢) / ١٣٠٧ - ١٣٠٨ وصل إلى بغداد رسول يحمل أمرا بأن يرسل إلى القصر كل من الشيخ شهاب الدين السهروردي وجمال الدين العاقولي الذي اشتهر في المدينة كلها بفقهه ، كما كان أستاذا لفقه الشافعية في مدرسة المستنصر . وكان كلا الرجلين قد وشى بهما لدى السلطان ، حيث اتهمتا بالتواطؤ مع المصريين وإخبارهم بكل ما يحدث في الإمبراطورية المغولية . فلما وصلا إلى القصر ، أعلن رشيد الدين أنه حاميهما ، وبذل كل ما في وسعه لإظهار براءتهما . وبفضله رجع المتهمان إلى موطنهما بعد أن قضى لهما بالبراءة . وليس من الغريب أن يكون رشيد الدين قد بذل أقصى مجهود للنجاح في هذه القصة . فإنه فضلا عن رغبته في منع حكم جائر، وانتشال مسلمين شهيرين من براثن أعدائهما ، كان مدفوعا إلى الدفاع عنهما بعامل خاص آخر: فقد رأينا أن أحد هذين المتهمين كان أستاذا لفقه الشافعية . وكان رشيد الدين من أنصار هذا المذهب ^(٣) ، فلم يكن في وسعه إلا أن يظهر أشد

(١) تاريخ كزیده ، مخطوطة بروی Bruix ، رقم ٩ ، ورقة ٢٠٧ ظهر ، وقد طبع هذا الكتاب

(٢) مخطوطة فارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٤٦٧ وجه .

(٣) مخطوطة فارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٤٦٨ وجه .

العطف على أولئك الذين يشاركونه في طريقة تفكيره. ولذلك كان يبذل كل جهده في حماية أئمة الشافعية ورؤسائهم ، ويسعى بكل قلبه لصحبتهم والحديث معهم . ولكنه بالرغم من استهجانهم لمزاعم أنصار أبي حنيفة المسرفة ، وبعدهم عن التسامح ، لم يكن يجرؤ على التصريح بازوراره منهم ، إذ أن ألقائهم كان قد اعتنق هذا المذهب منذ اعتناقه الإسلام ، فلم يكن من المعقول أن ينظر بعين الرضا إلى من ينقد مذهبه في العلانية .

كانت تبريز ، في عهد ملوك المغول في فارس ، من الأماكن التي تقيم فيها الحاشية أغلب الأحيان ^(١) . ولذلك كانت في نماء مستمر ، فقد أحاطها غازان بسور عظيم ، وبنى خارجها مدينة صغيرة ، وأقام فيها عمارة فخمة خصصها لضريحه . وحذا رشيد الدين حذوه ، فاختر مكانا يسمى « وليان كوه » يقع شرق تبريز ، وشيد فيه ضاحية تشبه أن تكون مدينة صغيرة وسماها باسمه « الربع الرشیدی » . وكانت هذه المدينة تضم طائفة من العائز التي تمتاز باتساق وجمال عجيبين حقا ، حتى أن كتاب الشرق لم يترددوا في القول بأن العالم أجمع لا يحتوى على أفخم منها ^(٢) . ومهما يكن في هذا القول من مبالغة ، فإنه ، على الأقل ، يدل بصورة قاطعة على أن رشيد الدين لم يدخر جهدا ولا مالا

(١) جهان نما ، ص ٣٨٠ ، ورشيد الدين ، مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ورقة ٣٦٩ ظهر ، هفت إقليم مخطوطة بروي Bruix ، رقم ١٧ ، ورقة ٣٦٥ ظهر ، ونزهة القلوب ، مخطوطة فارسية رقم ١٢٨ ص ١٠٥ .

(٢) جهان نما ، وانظر أيضا ذيل تاريخ رشيد الدين ، مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ورقة ٤٧٠ وجه ، ودوات شاه ، تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٤٩ ، ورقة ١٠٥ ظهر .

لكي يترك للخلف أثرا يليق بمقامه . وقد نقشت على بابها هذه العبارة « إن
هدم مثل هذا البناء أشق من إقامة بناء آخر أيا كان » . ولم يكتب رشيد
الدين بهذا العمل ذى النفقات الباهظة ، فحرص على توفير الراحة لسكان
الحى الجديد ، بأن أمدّه بالماء من نهر يسمى « بَرْدَرُود » كان قبل هذه الفترة
يجرى بجوار تبريز دون جدوى^(١) . ومن أجل هذا الغرض قام فى سنة ٧١٠ /
١٣١٠-١٣١١ بإنفاق الأموال الطائلة فى إنشاء قناة منقورة فى الصخر تجتاز
جبل « سرخاب » ثم تعبر السفوح والوديان حتى تصل إلى الضاحية التى
تكلمنا عنها .

إن مثل هذه الأعمال التى لو صدرت عن ملك لكانت من آيات فخره ،
لا يكاد يصدقها المرء حين يعرف أنها تمت بأمر فرد من الأفراد وبأمواله .
ولكن رشيد الدين قضى خمسين عاماً فى حاشية سلاطين المغول ، واحتل
المكان الأول فى الامبراطورية لفترة طويلة ، وحاز رضا سادته الذين راحوا
يغدقون عليه النعم ، كما لو كانوا يتنافسون فى ذلك فيما بينهم ، ولذلك استطاع
أن يكون ثروة شاسعة كان يحاول أن ينفقها بلا حساب على مشروعات نافعة
ومؤسسات دينية . ويكفى أن نذكر هذه الحادثة العابرة لكي يدرك القارئ
مقدار الجود الذى اتصف به الأمراء الذين عمل فى خدمتهم . يحكى مؤلف
مسالك الأبصار^(٢) رواية عن الشيخ محمود الإصفهاني أنه لما قدم رشيد الدين

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٧٠ ، ظهر ووجه .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٥٨٣ ، ورقة ٩٣ وجه ، وقد طبع هذا الكتاب .

أجد كتبه إلى خدا بنده أو أجايتو ، قال له : « لما قدم أرسطو كتاباً من تأليفه إلى الإسكندر ، تلقى منه عطية مقدارها ألف ألف قطعة من الذهب . وإن أميراً في عظمتك ليرى أنه لا يليق بمقامه ألا يضارع الإسكندر في كرمه » . وأراد السلطان أن يجيب على هذا النوع من التجدي ، وأن يكافئ الوزير بصورة تليق بكليهما ، فأقطعه ضياعاً تبلغ قيمتها ثلاثة أمثال المبلغ المشار إليه ، وكانت كل هذه الضياع في الفترة التي كتب فيها المؤرخ المذكور كتابه ، أي حوالي سنة ١٣٢٩/٧٣٠ - ١٣٣٠ لا تزال في حوزة أولاد رشيد الدين .

هذا وإذا كنت قد ذكرت هنا تلك القصة التي تتعلق بأرسطو والإسكندر ، فإنني لم أرد بأية حال أن أدعى صدقها ، بل إنني أعتقد أنها مزيفة من أساسها ، ولكنني اضطررت إلى ترجمة النص الذي أمامي ترجمة صحيحة .

والذي لا شك فيه أن رشيد الدين تلقى من أجايتو مبالغ لا تحصى ، بعضها أرض وبعضها غطايا أخرى ، ويشهد هو نفسه بأنه لم يحدث قط أن أظهر ملك نحو أحد رعاياه مثل هذا السخاء الشاسع^(١) . وإذا كان رشيد الدين قد كرس مبالغ طائلة للعماير التي تتسم بسمة الدين والإحسان ، فإنه لم يبد أي تقصير بالنسبة للأعمال الأخرى ذات المنفعة العامة أيضاً ، مادامت تضمن له مجداً خالداً . والواقع أن رشيد الدين قد أنفق ، كما نخبرنا مؤلف « تاريخ

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢١٣ ظهر .

وصاف» والمؤرخ^(١) ميرخوند ستين ألف دينار على نسخ كتبه وتجليدها وتزويدها بالصور والخرايط .

وإذا كان مؤلفنا قد عرف كيف يستغل ثروته الطائلة في أنبل الوجوه ، فإنه أيضاً كان شديد العناية بتحقيق الالتزامات التي يفرضها عليه منصبه ، ولم يحاول قط أن يسيء استغلال المكانة التي كان يتمتع بها لدى ملوكه . وهو نفسه يشهد لنفسه بأنه دأب طوال الوقت الذي قضاؤه في القصر على حماية ذوي الفضل ، ومنع الظلم ، والدفاع عن الضعفاء والمضطهدين^(٢) . لذلك نرى الكتاب الشرقيين الذين سنحت لهم فرصة الكلام عن رشيد الدين يكيلون له أطيب الثناء ، ويجمعون على أنه كان وزيراً كفواً يجمع بين معارف أرسطو وحكمة أفلاطون^(٣) . وقد أضفوا عليه كل صفات المديح والتفخيم التي لا بد أن يكون مبعثها إما الملق وإما الرغبة في إنصاف أسمي كفاءة رأوها . ولا شك أن هذه العبارات كانت تصبح ، بحق ، موضعاً للريبة لو لم توجد إلا في « تاريخ وصاف» وغيره من كتب المؤلفين المعاصرين الذين قد تضطربهم حياتهم في قصر ملوك المغول إلى تملق الوزير واجتذاب عطفه . ولكننا نجد مثل تلك العبارات أيضاً لدى مؤرخين آخرين ، أمثال ميرخوند وخوند مير ودولت شاه ، الذين

(١) مخطوطة أوتر الفارسية ، رقم ١١٥ ، ورقة ١١٣ .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ وجه .

(٣) ميرخوند ، مخطوطة أوتر الفارسية رقم ١١٥ ، ورقة ١١٣ ، وخوند مير ، حبيب السير مجلد ٣ ورقة ٤٥ وجه ، ورقة ٦١ ظهر ، وقد طبع هذا الكتاب ، ودولت شاه ، وتاريخ وصاف ، مخطوطة برووكس الفارسية ، ورقم ٩ ، ورقة ٢ ظهر .

عاشوا بعد رشيد الدين بقرنين من الزمان ؛ ولذلك لم يكن لهم ما يدفعهم إلى تزيف الحقيقة وإغداق ضروب الثناء على شخص لا يستطيعون أن ينتظروا منه مصلحة شخصية ؛ فلا بد ، إذن ، من افتراض أن كلامهم لم يكن إلا صورة صادقة للفكرة التي كونها المعاصرون عن مواهب مؤلفنا وكفاءته ؛ وأن ذكرى صفاته الجيدة استمرت تنتقل من جيل إلى جيل ، بالرغم من كل الجهود التي بذلها حساد هذا الوزير لتبغيضه إلى نفوس المسلمين .

ومع ذلك فإن رشيد الدين لم يكن يتمتع بسعادة صافية ، بالرغم من بلوغه قمة المجد والجاه والثروة ، وذلك أن بعض الأعداء المستترين المدفوعين بعامل الحسد الذي تثيره عادة الكفاءة النادرة إذا انضم إليها سمو المكانة ، دأبوا يعملون في الخفاء على الإيقاع به ، وعبأوا ، لهذا الغرض ، قوى الكذب والنميمة ، وقد تشكى هو نفسه في كتبه من شخص مغولى اسمه «هر كوداك»^(١) ومن آخرين كانوا يعملون للإضرار به ، بالرغم من أنه لم يصبهم قط إلا بالخير^(٢) . وفي نفس الوقت أخذ شخص لم يذكر اسمه يهاجمه في نقطة حساسة ، ويسعى إلى الغض منه في أذهان المسلمين ، ويتهمه أمامهم بالإلحاد ؛ ولكن من الخير أن نؤجل الكلام في هذه القصة وما يحيط بها من ظروف حتى تحتل مكانها في الجزء الثاني من هذه المذكرة .

(١) لعب هذا الأمير دورا لا مغا في بلاط الأمراء المغول في فارس ، وبعد ذلك أعدم بأمر السلطان ألبايتو (ميرخوند ، ج ٥ ، ورقة ١٠٩ ظهر) .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٦٣ وجه .

وفي سنة ٧١١^(١) / ١٣١١-١٣١٢ بدأ سعد الدين الساوجي ، نسبة إلى مدينة ساوه ، وكان يحتل منصب الوزير بالاشتراك مع رشيد الدين ، بدأ يفقد المركز الذي كان يتمتع به في القصر . وكان أول خطأ له أنه أثار ضده منافساً موفقاً حادقاً ، فلم يلبث أن استولى على مكانه وجنى ثمار سقوطه . وكان هذا الرجل الخاتل ، الذي أودت دسائسه برشيد الدين أيضاً فيما بعد ، يسمى على شاه جيلان . وقد كان في شبابه يمتحن تجارة الأحجار الكريمة والنسيج وبعض السلع الأخرى ، مما ساعده على معرفة كثير من الشخصيات الهامة واكتساب مودتها . وقدم إلى السلطان ألبايتو الذي لم يلبث أن أعجب بنشاطه ومضياء روحه وكفاءته وشمائله الجذابة . فأنزعج الوزير من ذلك النجم الصاعد ، وأراد أن يبعد هذا المنافس الخطير من القصر بأي ثمن ، فعمل على تعيينه مديراً للكارخانة^(٢) ، (دار الصناعة) ، التي كان مقرها مدينة بغداد . وانطلق على شاه إلى هذه المدينة ، حيث أظهر في عمله الجديد ذكاء نادراً ، وأدخل فيه كثيراً من ضروب التحسين النافعة ، ونجح في إنتاج أنواع من النسيج ذات جمال أخاذ . ولما وصل السلطان إلى العراق ، قدم له على شاه سفينة تلفت الأنظار بزخرفتها وضخامتها ، وعدداً من الثياب الفاخرة ، وبعض الأشياء الثمينة الأخرى ، فسر السلطان لهذه العناية ، ومنذ ذلك الحين زاد من

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٧١ ظهر ووجه .

(٢) نستطيع أن نرى بصدد هذه الكلمة رحلات بيترو دلافاليه Pietro della valle مجلد ٣ ، ص ١٤٢ ؛ وكذلك رحلات في الشرق الأوسط ، Voyages au Levant الرحالة تيفنو Thévenot .

عطفه على على شاه ؛ فلم يعد هذا الأخير يغادر القصر ، حيث أخذت مكانته في الارتفاع يوماً بعد يوم ، وصار كل ما يعمل موضعاً لرضاء السلطان . ولم يكد على شاه يصل إلى السلطانية حتى أنشأ فيها عمائر أجمل وأمتن من كل ما شيد فيها حتى ذلك الحين ، ومنها سوق فخمة خصصت منذ هذه اللحظة لإقامة تجار النسيج . ولما كان أجايتو هو الذي أنشأ مدينة السلطانية ، فإنه كان يهتم بتوسيعها وتجميلها ، ولذلك نظر بعين الرضاء التام إلى النفقات التي بذلها على شاه من أجل هذا الغرض ، وراح يظهر له هذا الرضاء في آيات بينات من التقدير والتكريم . ورأى سعد الدين أن نجمه يأفل بسرعة ، فلم يستطع إلا النظر إلى صعود النجم الجديد في غل صامت . وأخذ يظهر لعل شاه الاحتقار العميق ، ويمتنع عن القيام له عند دخوله ، ويتحين كل فرصة ليبدى له فيها أنه لا يكن له أى احترام أو اهتمام .

وعلى العكس من ذلك كان رشيد الدين ، فإنه لما رأى عطف السلطان على هذا الرجل ، أخذ يعامله بكل إجلال ويتحين جميع الفرص لإطرائه وكيل المدح له . وكان هذا المسلك يروق السلطان إلى أقصى حد ، ولكنه أدى إلى الفرقة بين الوزيرين اللذين صاروا منذ هذه اللحظة ، عدوين لدودين . وحدث في هذه الأثناء أن دعا على شاه أجايتو لتناول العشاء ، وقدم له مأدبة لم يتأت لوزير من قبل أن يقدم مثلها لسلطان . وفيها تلقى السلطان والأمراء وأعضاء المجلس هدايا ، كل بما يتناسب مع مقامه . ووضعت أمام رشيد الدين

ثلاثة أثواب قيمة ، ومثلها أمام سعد الدين ، وكان هذا الأخير قد أفرط في الشراب ، فسأل بكثير من الحدة عن السبب الذي من أجله قدمت الهدية لرشيد الدين قبل أن تقدم إليه هديته ، مما أدى إلى نقاش طويل بين الوزيرين . وأخذ سعد الدين الذي منعه السكر من تملك نفسه يعلن عن غضبه بأحاديث فيها من الشتائم ما لم يتفوه بمثلها قبل هذه اللحظة . أما رشيد الدين فلم ينبس بكلمة واحدة . وقد حمد له السلطان هذا الصمت ، وسخط على عبارات سعد الدين أشد السخط . ولم يكن سخط رشيد الدين على زميله بأقل من ذلك ^(١) ، فلم يلبث أن وشى به إلى السلطان ، مما جعله يدفع حياته ثمنا لاختلاساته الحقيقية أو المزعومة . واختير على شاه ليحل محل الوزير . وكان رشيد الدين هو الذي رجا السلطان في أن يجعل على شاه ^(٢) زميلا له ، وسنرى مقدار الندم الذي لا بد أن يكون قد حل به من جراء قصر نظره هذا .

بعد ذلك بزم من قصير ^(٣) ، استطاع اليهودي نجيب الدولة الذي ورد ذكره فيما سبق ، وهو رجل شرير غادر ، أن يضم حوله يهوديا آخر يبذل الوعود له ، ويحمله على أن يكتب خطابا بالحروف العبرية باسم رشيد الدين . وكان الخطاب موجها إلى تاجر جواهر يقوم مقام المندوب وموضع الثقة لأحد أمراء الدرجة الأولى . وفيه يباح رشيد الدين على هذا الرجل بأن يدس السم للسلطان . وقد دبر الأمر بحيث وقعت هذه الورقة في يد الأمير لؤلؤ الذي

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٧٢ ظهر .

(٢) تاريخ وصاف ، ورقة ٤٢٧ وجه و ٤٢٨ ظهر .

(٣) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٧٢ .

سماها لأجلايتو . ولم يكذ السلطان يقرؤها ، حتى استبد به الغضب ، وأمر باستدعاء رشيد الدين من فوره ، وقام باستجوابه . فطلب الوزير من السلطان أن يمهله ثلاثة أيام . وأخذ ينقب ، ويجرى جميع التحقيقات الضرورية ، للكشف عن مدبرى المؤامرة . وقام الأمير كتلبغا باستدعاء الأمير محمود الذى كان يعمل دواتدار لسعد الدين ، وسأله أن يدلى إليه بمعلوماته عن الخطاب ، فأكد له محمود أن الذى كتبه هو اليهودى الفلانى بإيعاز من الوزير سعد الدين وبقصد الإيقاع برشيد الدين . وفى اليوم الثالث مثل رشيد الدين أمام السلطان ، وأخبره بما علم ، وأحضر له الأمير محمود الذى عضد شهادة الوزير . وفى الحال استدعى اليهودى الذى اعترف فى حضرة السلطان بأنه هو الذى كتب الخطاب بإيعاز من سعد الدين الذى كان يقصد الإيقاع برشيد الدين . فافتنع السلطان بصدق الواقعة وأمر بقتل اليهودى ، فنفذ فيه القتل فى الحال . وبعد ذلك بزمان وجيز طبق هذا الحكم نفسه على محمد زركر ، ابن أخت سعد الدين ، وبعض الأمراء الآخرين ، لشهادة اليهودى بأنهم جميعاً كانوا شركاء فى تلك المؤامرة الشنيعة .

أدت هذه الحوادث المؤسفة إلى حادثة أخرى لم يكن لنا أن نسجلها فى هذا التقديم ، لو لم تتخذ ذريعة لاتهام آخر ، لو صبح ، لأدى إلى تشويه ذكرى رشيد الدين وجعل اسمه ، محق ، من أشنع الأسماء . وذلك أنه كان فى بغداد « سيد » ، أى شخص من سلالة على ، اسمه تاج الدين أبو الفضل محمد . وقد

بدأ هذا الرجل بالقيام بوظيفة واعظ : واستطاع بهذه الصفة أن يكسب تقدير السلطان ألبايتو ، فرقاه إلى ذلك المنصب السامي ، منصب نقيب الأشراف — (سلالة على) — الذين كانوا منتشرين في العراق والرى وخراسان ، أى في جميع أنحاء الامبراطورية المغولية . وإذا صح ما يقوله أحد المؤرخين ^(١) ، فإن تاج الدين هذا كان قد أثار حفيظة الوزير رشيد الدين ، إذ يقول : « هناك على مقربة من شواطئ الفرات ، بين الحلة والكوفة ، قرية تذكر الروايات أن النبي حزقيال مدفون بها . وقد أبدى اليهود دائماً تقديسهم الشديد لهذا الضريح ، فكانوا يحجون إليه ، ويحملون الصدقات الوافرة . فحرم النقيب عليهم الاقتراب من هذه القرية ، وشيد في رحبة المشهد منبرا ، وجعل يقيم فيها صلاة الجمعة » . وتأثر رشيد الدين لهذا التبعت غير المتوقع . ويقول الكاتب نفسه إن الوزير كان يحسد تاج الدين على منزلته لدى السلطان ألبايتو ويتحين الفرص للإيقاع به باعتباره منافسا بغضاله . ويذكر أيضاً أن السيد شمس الدين ابن تاج الدين كان يشغل وظيفة نقيب العلويين في العراق . وكان هذا الرجل يسمى استغلال سلطته ويرتكب الكثير من أعمال العنف والطغيان ، مما بغض فيه سادة العراق . وأراد رشيد الدين أن يستغل هذا الظرف ، فاستمال إليه عدداً من الأشراف ورفع إلى مسامع السلطان طائفة من الإشاعات البغيضة التي من شأنها أن تحط من قدر تاج الدين وأولاده . واهتز السلطان لهذه الإشاعات اليومية ، واستشار رشيد الدين الذي أشار عليه بترك محاكمة

(١) عمدة الطالب ، مخطوطة عربية رقم ٦٣٦ ، ورقة ٢١٠ ظهر ووجه .

تاج الدين « لأبناء علي » أنفسهم ، حتى لا يكون الحكم الذي يقضون به موضعاً للشكوى ولا مشكوكاً في تمييزه ضد المتهم . وفي الوقت نفسه استدعى الوزير طاهر جلال الدين الذي عرف عنه العنف وحب إزاحة الدماء ، وأمره بأن يقتل تاج الدين وولديه ، على أن يكافئه على ذلك بأن يسند إليه مناصب نقيب العراق وقاضيهما وصدرها . ولكن الرجل فزع من ارتكاب هذه الجريمة ، وأعلن في صراحة حاسمة أن لا يقبل مطلقاً أن يقتل شخصاً من سلالة علي . ولم تمض الليلة نفسها ، حتى كان قد فر راجعاً إلى الحلة . وتقدم الوزير بنفس العرض ونفس الجزاء إلى علوي آخر ، فلم ينجح أيضاً . وحينئذ اتجه إلى ثالث من ذرية علي ، اسمه تاج الدين إبراهيم بن مختار ، وكان قد قرب به إليه وغمره بنعمه ، فأصبح متفانياً في خدمته . وبعد أن وعده بتوليته منصب نقيب العراق ، وضع بين يديه السيد تاج الدين وولديه شمس الدين حسين وشرف الدين علي . فاقتادهم هذا الرجل إلى شاطئ دجلة ، وأمر أتباعه يذبهم . وقد ذبح الولدان قبل أبيهما ، بناء على أمر الوزير ، إمعاناً في القسوة .

وقعت هذه الحادثة في شهر ذي القعدة من سنة ٥٧٠٠ هـ (١٣٠٠ / ١٣٠١ م) وقد انتقم عوام بغداد والحنابلة من هذا السيد أشنع انتقام ، فقطعوا جسمه إرباء ، واتهموا أشلاءه ، وانتزعوا شعره ، وكانت تباع الشعرة من لحيته بقطعة من الذهب . وثار السلطان لهذا الفعل الوحشي ، وحزن حزناً شديداً على مقتل تاج الدين وولديه . ولكن رشيد الدين أقنعه بأن هذا الموت كان برضاء جميع

(٣ - جامع)

أهل البيت في العراق . وأراد السلطان تعليق قاضي الحنابلة في حبل المشنقة ، ولكنه رضى أن يعفو عن حياته استجابة لرجاء بعض ذوى المقام ، غير أنه أمر بأن يركب حماراً أعمى ، ويجعل وجهه نحو ذيله ، ثم يطاف به في شوارع المدينة وميادينها . وقرر ألا يكون للحنابلة قاض في المستقبل .

هذه هي القصة التي يقدمها لنا مؤرخ آل على ، وقد أردنا أن نوردناها بتمامها . ولكنها تنطوي على عدد من السمات التي تثير الريب في صدقها . وأولها أن المؤلف لم يشهد الوقائع التي يرويها . فمن السهل ، إذن ، أن يكون قد خدع بروايات تنقصها الأمانة . كما أننا لم نر أحداً من الكتاب يصور رشيد الدين بصورة الرجل القاسى السفاك ، بل نراهم ، على العكس من ذلك ، يتفقون على أنه كان يجمع إلى ما لديه من الصفات الجليلة ؛ الاتصاف بالطيبة والعدوبة والسخاء . فمن البعيد عن الاحتمال ، إذن ، أن يكون قد بيّث هذا الاغتيال الشنيع ليشفى في نفسه ذلك الحقد البسيط ، وللتخلص من منافس أظهر السلطان نحوه شيئاً من الكرم والاحترام ، ولا سيما أنه كان من الممكن أن تجر عليه هذه الجريمة نكال السلطان ، وأن تلتطخ ذكراه بعار لا ينمحي . هذا إلى أن المؤرخ نفسه يذكر أن رشيد الدين كان قد تعهد أمام السلطان بأن يوكل كل محاكمة النقيب إلى آل على . فكيف يحنث في وعده ، ويجزو على الاستعاضة عن الطرق القانونية باغتيال يرتكب دون قضية أو محاكمة ؟ فإذا كان قد باغت به الوحشية إلى حد أن يلجأ في شفاء أحقاده إلى سيوف القتلة الأجراء ، إذا كان قد أراد تنفيذ مثل هذا الفعل الذي يهدر كل قواعد

العدالة والإنسانية على أشنع صورة ، فإنه لم يكن لتبلغ به الجرأة إلى حد أن يفعل فعلته في وضوح النهار ، وتحت بصر سكان مدينة شاسعة بأسرهم .

ويحق لنا أن نتساءل : لماذا أصر الوزير الذي لا بد أن يكون له أتباع متفانون في الإخلاص له ، على أن يعهد بهذه الرسالة البغيضة إلى أحد العلويين ؟ لا شك أن من الإمعان الغريب في الوحشية أن يصر رشيد الدين على إلزام عضو من أسرة رفيعة على أن يلوث يديه بدم أحد أقربائه . كما أنه مما يعرضه إلى أشد أنواع الخطر ، دون جدوى ، أن يبوح بسر من هذا القبيل إلى أشخاص قد يثيرهم هذا العرض ، ويتهزؤون فرصة بلوغهم مأمنهم ليكشفوا عن تلك المؤامرة الإجرامية . هذا إلى أنه إذا كان رشيد الدين يشغل منصب الوزير في ذلك الوقت ، فقد كان إلى جانبه قضاة وقهاء وشخصيات أخرى من ذوى المقامات العليا . وكان من المحتمل جداً ألا يرضى هؤلاء الرجال الأجلاء بالاشتراك في جريمة اغتيال دنيء من هذا القبيل من أجل شفاء أحقاد الوزير . وكل الظروف التي يقال إنها أحاطت بموت تاج الدين تحمل في نفسها طابع المجافاة التامة للواقع . فما لا يمكن تصديقه بأية حال ، أن يكون شعب بغداد قد شهد مقتل عضو بارز من آل محمد ، ثم تبلغ به الوحشية أن يقطع جسمه إرباً ويلتهم لحمه ، وهو لا يزال ينبض بالحياة ؛ ثم يتتاع شعر لحيته بسعر الذهب . نعم ، إن تاريخ الشعوب كلها قد لا يخلو ، بكل أسف ، من ضروب الإسراف التي من هذا القبيل ، ومع ذلك فلا بد أن يكون هناك من

الوقائع الممكنة الوقوع عقلا ، سواء أكانت صحيحة أم زائفة ، ماثير الغضب الشعبي إلى أقصى درجاته . ولكن القصة التي ذكرناها لا تنطوي على شيء يمكن أن يفسر هذه الوحشية التي لا يتصورها عقل . فإن البغض الذي يفرق بين الشيعيين والسنيين ، لا يكفي أن يكون سببا لهذه الأفعال البشعة . فالتاريخ يحدثنا عن مخاصمات عنيفة وقعت بين الفريقين ، ولكن دون أن تؤدي واحدة منها إلى أحداث تتسم بتلك الوحشية الدنيئة . وإذن ، فمن المحتمل جدا أن يكون النقيب تاج الدين قد جر على نفسه السخط الشديد بارتكابه أعمالا إجرامية ، وأن تكون العدالة هي التي قضت بموته ، وألا يكون رشيد الدين قد عجز عن تخليص المتهم من العقاب الذي حكم عليه به حتى لو أراد أن يخلصه منه . ومن السهل أن نعتقد بأن آل علي قد ساءهم وجرح كبرياءهم أن رأوا رئيسهم يقع تحت طائلة القانون ، فأشاعوا أن موته لم يكن قصاصا للعدالة ، بل أثرا من آثار الطغيان ، ونتيجة لحسد رجل من ذوى السلطان وحقده . وأغلب الظن أن هذه الشائعات التي أطلقت في حياة رشيد الدين بشيء من الجذر ، تمكنت من الانتشار دون عائق بعد أن حان حينه ، وراح ضحية لمؤامرة دنيئة دبرها له أعداؤه ؛ وأصبح من اليسير تصور هذا الموت الأليم على أنه عقاب من السماء التي لم تُرد أن تترك ذلك العمل الوحشي الذي راح ضحيته أحد أقرباء الرسول دون انتقام .

ونعتقد أن لدينا شهادة لها قيمتها تعضد هذا الرأي الذي لا يتجافى مع

العقل ، فإن أحد الكتاب الصادقين المثقفين ، وهو مؤلف « تاريخ وصاف »
الذى عاصر رشيد الدين ، وكان بين رجال الحاشية فى الوقت الذى مات
فيه النقيب تاج الدين ، يروى لنا قصة ذلك الحادث المؤسف فى العبارات
التالية (١) .

« فى يوم الاثنين غرة ذى الحجة من سنة ٧١١ (١٣١١ - ١٢) قام كبار
الأمراء والوزراء فى حضرة قاضى القضاة وعدد كبير من الأئمة والسادة بتكوين
محكمة لمحاكمة السيد تاج الدين ، لاثهامه بارتكاب عدد من الجرائم التى تكفى
لحرمانه من الحقوق المخولة لأصله الكريم . إذ أخذ عليه أنه استخدم طرق
العنف والاختلاس فى الاستيلاء على مبلغ يزيد على ثلثمائة ألف قطعة ذهبية
مملوكة لآل البيت أو لأشخاص آخرين ، وأنه كان يعمل دائماً على إغراء
زوجات آل على ، وأنه ارتكب جرائم قتل عديدة ؛ وبالاختصار أخذ عليه
ارتكاب جرائم مختلفة يطول بنا المقام لو ذكرناها هنا بالتفصيل . ولما
ثبتت على تاج الدين تلك التهم ، أسلم بأمر من السلطان إلى آل بيت على ،
الذين وكل إليهم أن ينفذوا فيه العقاب الذى يستحقه . فابتهج آل البيت
لهذا القرار ، واقتادوه إلى شاطئ دجلة (بركناره شط) (٢) ، حيث أنهالوا

(١) نسخة المكتبة الملكية ، ورقة ٤٢٦ ظهر ووجه . وانظر أيضاً ميرخوند ج ٥
ورقة ١١٣ ظهر .

(٢) إن كلمة « شط » التى تعنى « نهر » على وجه العموم ، كثيراً ما ترد على لسان
الكتاب العرب والفرس ، إما وحدها وإما مضافة إلى كلمة أخرى مميزة ، للدلالة على
« دجلة » فنقرأ فى كتاب ابن خلكان (المخطوطة العربية رقم ٧٣٠ ، ورقة ٣٢٦ ظهر)
« تل توبة : تل يقع فى مواجهة الموصل ويفصل بينهما عرض الشط » . ويذكر مؤلف
الكتاب الذى عنوانه « الانشاء » (المخطوطة العربية رقم ١٥٧٣ ، ورقة ٢٦١ =

عليه ضرباً بالسياط المزدوجة ، حتى فاضت روحه . أما ولده فقد شاطراه

(= ظهر) ، حصنا واقعا جنوبي الموصل بين الفرات والشط . وفي تاريخ ووصاف (المخطوطة ، ورقة ٢٨ ظهر) ، تقرأ هذه الكلمات « شط درميان بغداد جاريست » أي دجلة يجري وسط بغداد . « ونرى ظفر نامه (حياة تيمور ، في مخطوطة المؤلف ورقة ١٧٨ ظهر) « أن قائد مدينة الجزيرة كان يعتمد في الدفاع عنها على حصانة القلعة وسرعة الشط (أي دجلة) » « برحصانة قلعة وآب شط اعتماد كرد » . وتقرأ في مكان آخر (ورقة ١٧٣ وجه) « آتجه من شواطىء الشط (أي دجلة) نحو واسط » . « أز كنار شط بواسط رفته » . و « أز آب شط كدشته بود ، أي وكانت قد عبر دجلة » . (ورقة ١٧٣ وجه) . وأخيرا نجد في الورقة ١٧٤ ظهر « أز شط العرب كدشته أي اجتاز دجلة » . وفي تذكرة الشعراء لدولتشاه (المخطوطة الفارسية رقم ٢٥ ، ورقة ١١٦ ظهر) تقرأ أن هرون الرشيد « دركنار شط بغداد نشسته بود ، أي كان يوما يجلس على شاطئ الشط » (يعني دجلة) ويصف الشاعر خواجه كرماني تغير أحوال هذا العالم ، فيستعمل ذلك المجاز الغريب .

حاك بغداد بنحون خلفا من كريدورنه أن شط روان چست كه در بغدادست أي « بكت أرض بغداد حين رأت دم الخلفاء يراق . وإلا فمن أين جاء النهر الذي يجري في هذه المدينة ؟ » ويقول السائح شلتبرجر Schiltberger (Reise in den Orient) ص ٩٥ . « إن بابل الجديدة (أي بغداد) تقع على مسافة ما من بابل الكبرى ، على نهر يسمى الشط » . ويصف سائح إيطالي قام برحلة في فارس في بداية القرن السادس عشر الطريق الذي اتبعه ، فيذكر نهرا كبيرا اسمه « الشط » يجري أمام بغداد ويستمر في جريانه حتى يلتقي بالفرات Raumusio Relationt Viaggi (مجلد ٢ ، ورقة ٧٩ وجه ، وورقة ٨٠ ظهر) . ويقول مؤلف كتاب تاريخ الكرد مخطوطة ديكوروا Ducaurray الفارسية (رقم ٨٨ ، ورقة ٤٠ وجه) « إن مدينة الجزيرة (التي تكلمنا عنها منذ هنيهة) تقع على نهر يسمى شط العرب (رود خانه شط العرب) . وبعد ذلك بقليل (ورقة ٨٦ ظهر) يطلق على نفس النهر اسم « شط دياربكر (آب شط دياربكر) » . ويذكر عن رواية قديمة (ورقة ١٠٩ وجه) « أن الإسكندر الأكبر تبع شاطئ الشط (أي دجلة) فيقول « رود خانه شط العرب » حتى وصل إلى المكان الذي يلتقي فيه هذا النهر بنهر « بدليس » . وقد ذكرت هذه الفقرات لأين أنه من الخطأ أن يقصر اسم « شط العرب » على الجزء من دجلة الذي يمتد من حين التقائه بالفرات بالقرب من قرنة حتى مصبه في الخليج الفارسي . إذ يبدو أن هذه التسمية تطلق على النهر جميعه . (يشير إلى كتاب شرفنامه للبديسي وهو مطبوع الآن ، ونقله إلى العربية محمد علي عوني الذي كان قد نشر النص الفارسي من قبل) .

هذا المصير . واشتد ازدحام الناس من أجل الاشتراك في تنفيذ هذا العقاب ، حتى أصيب اثنان منهم أو ثلاثة بجروح خطيرة . وكان جميع الحاضرين ، سواء أكانوا مسامين ومسلمات أم يهودا أم مسيحيين ، ومن كل الطبقات ، يظهرون ابتهاجهم عاليا وينظرون إلى موت هذا الرجل على أنه انتصار للاستقرار والدين والامبراطورية .

ونحن لانستطيع الجزم ، بعد انقضاء خمسة قرون ، بأن التهم التي سببت هذا العقاب قد ثبتت كلها ثبوتا قاطعا ، ولكن من الأكيد أن الحكمة التي شكلت لحكمة تاج الدين كانت تتكون ، كما تقضى العدالة ، من أكبر رجال الدولة الذين ضموا إليهم رئيس القضاة وبعض الأشخاص المختارين من بين رجال الدين وآل على . فمن العسير أن نعتقد بأن مجعاه هذا الوقار وهذه الأهمية يرضى بتلطيف شرفه بالعار بقبوله أن يكون أداة طيعة لانتقام شخصي ، وأن يحكم بهذا الإعدام المروع على شخص من آل البيت يتولى منصبا يجمع بين الأهمية والاحترام . فقد نفذ الإعدام إذن بمقتضى حكم رسمي ، مستوف لشروط الأحكام ، ومصدق عليه من السلطان . وبالتالي لم يكن موت تاج الدين نتيجة لمؤامرة دبرها الوزير في الخفاء ، ونفذها على غير علم من السلطان . هذا إلى أن الابتهاج الذي قابل به الناس من جميع الطبقات قرار الحكم على تاج الدين ، وتزاحم مواطنيه وأقاربه أنفسهم من أجل القيام بعمل الجلاد في هذه الظروف ، كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن هذا الشخص قد ارتكب ، أثناء قيامه بمهام منصبه ، أعمالا إجرامية بغضته ، بحق ، في أعين الجماهير .

ويبدو أن تاج الدين الذي كان صديق سعد الدين وموضع ثقته ، كان روح المؤامرات التي حيكت ضد مؤلفنا ، حيث كانت تحدوه الرغبة والأمل في الاستيلاء على تركته . وقد يكون رشيد الدين الذي كان يعلم بما يحاك حوله ، قد نظر بعين الارتياح إلى النكبة التي حلت بعدوه اللدود ؛ ولكن ذلك لا يعنى بأية حال أن يكون هو الذي أمر بإعدامه الرسمي هذا .

وفي هذا الوقت نفسه ^(١) ، لم يدخر رشيد الدين وسعا في استعمال سلطانه لتخليص قاضى الحنابلة الذى آتهم لدى السلطان .

وفي هذه الأثناء عين جلال الدين بن رشيد الدين حاكما لمدينة أصفهان ^(٢) ، كما اختير الأمير عبد اللطيف ، ولده الآخر ، ليكون وزيرا لأبى سعيد الذى ولاه أبوه السلطان على خراسان ^(٣) .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ٧١٢ / ١٣١١ ، أغدق رشيد الدين عطاءه للمرة الثانية على عبد الله بن فضل الله ، مؤلف تاريخ وصاف ^(٤) . فقد قدمه الوزير للسلطان أجايتو وأطرى أمامه الكتاب ومؤلفه بعبارات مستطابة ، وسمح السلطان للمؤلف بأن يقرأ له فضلا من كتابه . فعقدت لذلك جلسة رائعة حضرها الوزيران وكبار الأمراء وجميع الشخصيات

(١) مخطوطة فارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٤٧٢ وجه .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٤٧٤ وجه .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٤٧٧ ظهر .

(٤) المخطوطة ، ورقة ٤٣١ ظهر ووجه .

البارزة في الحاشية ، حيث لم يسمع الكاتب إلا آيات الرضا والتقدير التي غمره بها السلطان وجميع الحاضرين .

وهنا يجدر بي أن أشير إلى مقدار ما كان في إدارة سلاطين المغول من عيوب : كان على رأس الإدارة رئيسا وزارة يحمل كل منهما لقب وزير أو صاحب ديوان . وكان عليهما أن يعملتا مشتركين ، ويبدو أن اختصاصاتهما لم تكن منفصلة ومحددة تحديدا دقيقا . ومن مزايا هذا النظام أنه يمنع كل تواطؤ بين رجلين يعملان في ميدان واحد ، إذ يضطرهما وضعهما إلى مراقبة كل منهما الآخر . ولكن ، من جهة أخرى ، يستطيع المرء أن يدرك دون عسر ، أن هذا التساوى في السلطات لا بد أن يؤدي إلى مخاصمات يومية ، وضروب من الحسد ، وتنازع الاختصاص بين الشريكين ؛ وإلى محاولة كل منهما أن يغض من قدر صاحبه في غالب الأحيان ، وأن يثير أمامه العراقيل ، ويعوقه عن المسير ، ويحمله مسئولية إخفاق الأمور ؛ وبالاختصار أن يسعى بكل جهده إلى تشويه سمعته في نظر السلطان ، والتخلص من منافس بغض لتبقى له وحده السلطة ورعاية السلطان .

وفي سنة ٧١٥^(١) / ١٣١٥ - ١٦ أرسل أبو سعيد ابن السلطان ألقايتو عدة رسل لطلب الأموال اللازمة لدفع رواتب الجنود ، فطلب السلطان بدوره نقودا من الوزيرين . فأجاب رشيد الدين بقوله : « أنا لم أترك قط بأى

(١) المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٤٧٧ ظهر ووجه ، وميرخند ، ج ٥ ، ورقة ١٢٣ .

نصيب في حكومة المملكة ، ولم أشرف على أى فرع من فروع الإدارة ، ولم أضع توقيعى على أى أمر صادر من السلطان ؛ ولذلك لا ينبغي أن تطلب النقود منى أنا » . وأجاب على شاه بدوره قائلا : « أما أنا فلا أملك غير الرداء الذى يغطى جسمى . ولا أستطيع أن أدفع فلسا واحدا . وإذا كنا ، أنا وزميلي ، نقسم إدارة الإمبراطورية ، فلست أرى لماذا أنفرد أنا بدفع النقود » . ورد رشيد الدين قائلا : « ذلك لأنك الوزير الحقيقى وموضع الثقة ، وأنت أنت وحدك المستحوذ على الخاتم السامى والمكلف بتنفيذ أوامر السلطان » . ولما غرض عليه على شاه أن يشاطره حمل الخاتم السامى وأمور الديوان ، صاح في وجهه بقوله : « كيف أستطيع الاشتراك مع رجل مثلك ؟ الواقع أنك إذا طلب منك شيء من المال ، أظهرت الفقر ؛ فى حين أن العملاء الأدياء الذين تستخدمهم يجمعون المبالغ الطائلة ، ويمتلكون جميعا ثروات ضخمة » . ولما احتدم الجدل بينهما واحتد ، وأدى إلى تراشق متكرر ، أراد السلطان أن يضع له حدا ؛ فأمر أن تقسم فى المستقبل الأقاليم التى تكون منها الإمبراطورية إلى قسمين متساويين : فيوضع العراق العجفى وخوزستان والور الكبرى والصغرى وإقليم فارس وكرمان تحت إدارة رشيد الدين . ويجعل العراق العربى وديار بكر وإقليم أران وبلاد الروم (آسيا الصغرى) من اختصاص على شاه ، واقترح هذا الأخير أن يشترك معه رشيد الدين فى الإدارة ، وأن يضعوا توقيعهما معا على الأوامر الصادرة من ديوان السلطان .

ولكن رشيد الدين رد على ذلك بقوله : « أنا لا أريد أن أشارك معك في شيء ، لأنه كلما طلبت منك نقودا ، احتججت بفقرك المزعوم ، وأنا الذى سأرغم على الدفع » . ووصلت هذه الأقوال إلى مسامع ألبجائتو ، فعين علاء الدين لإدارة الشؤون تحت أمر رشيد الدين ، كما جعل عز الدين كوهدى مساعدا لعلاء الدين . ولكن رشيد الدين أصيب بالنقرس طوال هذا الشتاء ، بحيث ظل أربعة شهور لا يغادر بيته ولا يظهر فى القصر . وفى هذه الأثناء كان يتوالى وصول البريد من خراسان باستمرار لطلب النقود . وكان ألبجائتو يخاطب فى هذا الشأن على شاه الذى كان يحبيه بأن يبت المال لا يحوى قطعة واحدة من النقود . ولما سأله السلطان أين تذهب المبالغ التى تجي من موارد الدولة ، أجابه بأنها جميعا لدى رشيد الدين . فأمر السلطان بإجراء تحقيق قانونى ، وكلف به الأمير جوبان الذى ضم إليه عز الدين كوهدى وعلاء الدين محمد . فاستدعى هؤلاء الثلاثة للمثول أمامهم كل وكلاء على شاه ، وهم ظاهر الدين الساوجى وفخر الدين أحمد وعماد الدين الفلكى ، وسألهم عن دخل الإمبراطورية الذى كان فى يدهم تحصيله والتصرف فيه خلال سنين ثلاث . وبعد أن مر التهمون بامتحان عسير أعلن ثبوت تهمة الاختلاس عليهم وحكم عليهم بدفع مبلغ ثلاثمائة طومان ، أى ثلاثة ملايين قطعة من الذهب . وأصاب هذا الحكم كل رجال الديوان بالوجوم . فذهبوا إلى على شاه وقدموا له شكاياتهم ، وقالوا له : « إذا لم تجد وسيلة لإلغاء هذا الحكم ، أضربت أعمالنا كلها بالشلل التام ، وأصابها داء لاعلاج له . » وذهب على شاه

فى نفس الليلة إلى قصر السلطان وقال له « هذه المبالغ المطلوبة من وكلائى لم يبددوها ، ولكنهم كانوا قد سلموها لى » ورجاه بالتوسلات والدموع أن يلغى الحكم الذى صدر عليهم . فتأثر ألقايتو لكلامه أشد تأثر وقابله بعطف بالغ ، وأصدر أمره بإيقاف جميع الإجراءات . ولما بدأ الأمير إيرنجين من صباح الغد فى تنفيذ الحكم قال له ألقايتو : « على شاه هذا المسكين الذى مجهل القراءة والكتابة كان قد تسلم هذه المبالغ فى حقيقة الأمر ، ولكنه استغلها فى أغراض شتى لم يعد يتذكرها الآن ، كما قال لى ، ولذلك أود أن تكون هذه المسألة وكأن لم تكن » . فدهش إيرنجين من حديث السلطان ، وأبلغه إلى الأمير جوبان ، ثم أضاف قائلاً : « كان إذا أراد أحد الفرس أن يتقدم بـرجاء إلى السلطان فى عهد هولابكو وأباقا ، لم يجرؤ على تقديمه إلا إذا كان قد كلم فيه من قبل عددا من الأمراء ، أما اليوم فقد انقلب الأمر رأسا على عقب ، حتى أصبح فى وسع أحد الفرس أن يذهب إلى السلطان فى منتصف الليل ويطلب منه مقابلة سرية ليهدم فى لحظة واحدة كل ما فعلناه أو قلناه » . فشر جوبان بأشد الحرج مما سمع ، ولكن على شاه علم بذلك فبذل كل جهده فى استرضاء الأمير واستطاع بهداياه العديدة أن يقنعه بالتزام الصمت . وبذلك اعتبر الحكم كأن لم يكن . ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى ذهب على شاه إلى السلطان وقال له : « إن رشيد الدين يتكلف المرض لكي يستطيع البقاء فى بيته . ولكنه فى نفس الوقت

يستخدم كل الحيل والدسائس الممكنة للإيقاع بي ، كما فعل مع سعد الدين .
فإذا تنازلات بالسماح لي ، استدعيت رشيد الدين وأولاده واستجوبتهم
لأرغمهم على تقديم الحساب » . ولم يكذ السلطان يسمح له بتنفيذ مشروعه
حتى هاجم جلال الدين بن رشيد الدين مدعيا أنه احتفظ بين يديه بعدد من
الطومانات من دخل الأمير الشاب ألباي كتلج ، ثم بددها . ولما احتج جلال
الدين بأنه بريء ، اضطر على شاه إلى سحب اتهامه . ولكنه بعد ذلك بقليل
أنهى إلى السلطان أن رشيد الدين كان يستولى كل عام على ريع دخل
الإمبراطورية ، وهو قيمة المبالغ المخصصة لنفقات الأميرات والناجحة من غلة
الأوقاف الخيرية . أثر هذا الاتهام وغيره من الاتهامات التي كان يصدرها
على شاه من حين لآخر مشفوعة بكل تأكيد على ألباي تو أشد تأثير . ومنذ
هذه اللحظة تغير كل شيء ، ووطعت سلطة على شاه لدى السلطان . ولما علم
رشيد الدين ذلك ، لم يجد أمامه إلا أن يوثق صلاته بالأمير تاجق ، ويكسبه
لجانبه عن طريق الهدايا الثمينة . وبفضل وساطته أصدر السلطان أمره إلى
الوزيرين بإصلاح ذات بينهما ، وأن يعيشا منذ الآن على أتم وفاق . فأطاع
الوزيران ونفذا ماأمراده السلطان ، من حيث المظهر على الأقل .

وفي هذه الأثناء مات ألباي تو ، وجلس ابنه أبوسعيد على العرش .
وحينما علم رشيد الدين بقدم السلطان الشاب إلى عاصمة الإمبراطورية
المغولية ، أرسل ابنه غياث الدين محمد لاستقباله ^(١) . وفي الوقت نفسه اتخذ

(٦٤) مخطوطة فارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٤٩٠ ظهر .

جميع الاحتياطات التي رآها ضرورية لحماية نفسه من دسائس أعدائه ، ولاحتفاظه بالمركز الرفيع الذي قدم له جزاء خدماته ^(١) . ولما كان يعلم أنه على خلاف مع الأمير سونج ، وأن هذا الأخير لا يزال يضم له شيئا من البغض ، فقد حرص على أن يجعل على مقربة منه شخصا اسمه إبراهيم معروفا بالحيلة والدهاء خيرا بمناورات القصور وطريقة الحصول على مودة الملوك والعظماء . هذا إلى أنه تباحث مع علي شاه وكبار الشخصيات في الدولة ، ورأى الجميع أنه من الخير أن يلتفوا حول الأمير جوبان الذي كان عماد الإمبراطورية في ذلك الحين ، وأن يعملوا على الاحتفاظ به في مركز « أمير الأمراء » (قائد عام الجيش) . وكان يأمل بهذه الطريقة أن يجد له عضدا قويا يدافع عنه ضد كراهية سونج ، ويقوم بشيء من التوازن ضد المنزلة التي لأحد لها ، والتي استطاع هذا الأخير أن يصل إليها في نفس السلطان الشاب . وقد أصابت هذه الخطة في بادئ الأمر نجاحا وتوفيقا ، إذ قرر أول مرسوم أصدره العهد الجديد الاحتفاظ برشيد الدين وعلى شاه في منصب الوزارة ^(٢) . هذا إلى أنه لما كان قد ولي الأمير تيمور تاش بن جوبان حاكما على البلاد الروم (آسيا الصغرى) ، فقد طلب تعيين جلال الدين بن رشيد الدين رئيسا لإدارته المدنية ، وأجيب إلى طلبه ^(٣) .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٤٩٠ وجه .

(٢) ميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٢٤ .

(٣) المقرئ ، مخطوطة عربية رقم ٦٧٢ ، ص ٧٢٢ (مطبوع الآن) .

وفي هذه السنة نفسها ، أعني سنة ٧١٧/١٣١٧ - ١٨ أرسل رشيد الدين هدية إلى محمد بن قلاوون سلطان مصر ^(١) .

ومع ذلك ^(٢) فإن الوزيرين لم يكونا أكثر اتفاقا مما كانا في العهد السابق ، إذ أن التنافس الناشئ من تساويهما في المرتبة كان لا يفتأ يؤدي إلى خصومات مستمرة بينهما . فحرص رشيد الدين ، وكانت تربطه دائما بالأمير جوبان روابط صداقة ، على زيادة هذه الروابط وثوقا . ومازال يضاعف له مودته وهداياهم حتى كسب جانبه نهائيا ، وارتبط به بصورة أقوى وأوثق مما في أي وقت آخر . ولما علم على شاه بأمر هذه الرابطة ارتاع لها ارتياحا شديدا . فإنه أحس إحسانا تاما مقدار الضرر الذي يمكن أن يَحْثِقَ به من ورائها ؛ لأن الأمير جوبان كان تام السيطرة على نفس السلطان ، أو بالأحرى كان هو الذي يحكم الإمبراطورية بسلطات مطلقة . فاشتغل على شاه ليلا ونهارا في سبيل البحث عن تهمة يوجهها إلى رشيد الدين لكي تؤدي بمهاتته ، ولكن جميع محاولاته ذهبت عبثا . غير أن البغض الذي فرق بين الزميلين لم تزده الأيام إلا حدة ، كما أخذت المهارات بينهما تزداد بمرور الأيام عددا . وأصبح كل منهما يظهر سخطه على رجال الديوان إذا رأهم يحتفون بالآخر ، مما آثار الاضطراب بين أعضاء الديوان . وذات يوم ذهب ضياء الملك وعز الدين الكوهدي وعلاء الدين إلى رشيد الدين ، وقالوا له : « إذا أذنت لنا ، فإننا

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٩٣ ظهر ووجه ، وورقة ٤٩٤ .

(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦١ وجه ، وورقة ٦٢ ظهر .

على استعداد لمهاجمة على شاه والكشف عن مناوراته وخداعه . وبعد أن فكر رشيد الدين طويلاً ، أجابهم بقوله : « إن على شاه شخصية هامة ، ولا يليق أن تقدموا ضده شكوى رسمية . ولكنني سأحدثه وأحمله على إرضائكم فيما يتعلق بموضوع الشكوى التي حدثتموني عنها الآن » ولم يكذب الموظفون الثلاثة يخرجون من لدى رشيد الدين حتى عقدوا مجلساً فيما بينهم . وقالوا : « ليس لنا أن ننتظر شيئاً من قبل هذا الرجل ، بل إنه ليخشى أن يذهب إلى على شاه ، يعد أن سمع اتهمنا له ، ويقص عليه كل ما قلنا ، فيصبح على شاه عدواً لدوداً لنا » . ولكي يدرؤوا عن أنفسهم هذا الخطر ، انضموا إلى على شاه الذي استطاع من جهته أن يكسب ود نواب الأمراء بفضل الهدايا ، وأن يوحى إليهم بما يوغر صدورهم على رشيد الدين ، فصمم أبو بكر أغا ساعد^(١) ، جوبان الأيمن ، على الإيقاع برشيد الدين ، ولم يفتأ يشي به

(١) كلمة « آقا » التي تكتب أحياناً « آغا » من كلمات اللغة المغولية ، ومعناها الأخ الأكبر . وكلمة « آيني » معناها « أخ أصغر » . ومن هنا جاءت الصيغة المركبة « آقاويني » التي سنتكلم عنها في مكان آخر . وتوجد كلمة « آقا » كثيراً في تاريخ المنول والنحو المغولي ، كما توجد في ترجمة الأناجيل . وقد دخلت اللغة الفارسية واستقرت فيها حيث نعت عليها بكثرة لدى الكتاب التالين لغزو جنكيزخان . ويتكون الجمع منها ، كما هي العادة في العبارات التي من أصل أجنبي ، بطرق مختلفة فأحياناً يكتب « آقا ان » وأحياناً « آقاوان » وفي بعض الأحيان الأخرى « آقايان » ومن ثم نقرأ في « تاريخ وصاف » (المخطوطة ، ورقة ٨ وجه) « أين باوجود آقا چوگونه خيال تفوق بندد » أي : كيف يجرؤ هذا الأمير على الطمع في الملك ، وله أخ أكبر ؟ وفي تاريخ رشيد الدين (ورقة ١٦٢ وجه) نجد هذه الكلمات « اينيان بسخن آقايان التفات ينموده » أي لم يكن الإخوة الصغار يحذرون كلام إخوتهم الكبار . ثم نقرأ بعد ذلك بقليل (ورقة ١٦٤ ظهر) « پدران وآقايان ما » أي آباؤنا وإخوتنا الكبار . وفي =

به لدى الأمير ويحاول أن يصمه كل يوم بتهم جديدة . وقد نجحت هذه

= نفس الورقة وجه : « آقا ان پدروجد من بودند » أى : كانوا الاخوة الكبار لأبى وجدى . ونقرأ فى تاريخ ميرخوند (الجزء الخامس ، ورقة ٨٨ وجه) : « كه بقدر امكان آقاوانرا مشمول عواطف وعوارف دارد » أى : ليغمر ، بقدر ما يستطيع إخوته الكبار بآيات الصداقة وبالهدايا . وفى « تاريخ گزيده » . (مخطوطة برويكس ، رقم ٩ ورقة ٢٣٣ وجه) ، نقرأ : « آغا أم شاه شجاع » أى : أنا شاه شجاع الأخ الأكبر . ونجد لدى ذيل رشيد الدين (مخطوطة رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٤٨٤ وجه) هذه الكلمات : « درجاق آقاين نيکو سلطان وزمان سلطان وزمان دولت أسلاف پادشاه » أى : فى زمن إخوة السلطان الكبار الأجداد ، وفى فترة حكم أسلاف الملك . ولما كان للأخ الأكبر لدى المغول سلطة عظيمة على إخوته الصغار ، أصبحت كلمة « آقا » (أى : الأخ الأكبر) تدل بطريق المجاز على رئيس الأسرة كلها . ولذا نقرأ فى كتاب رشيد الدين (ورقة ٢٢٥ ظهر) « باتوکه آگاهمه بود » . أى : باتو الذى كان كبير الأمراء جميعا . ونعثر فى ذلك التاريخ نفسه على هذه العبارات (ورقة ٣٠٠ وجه) « توکه آقامامت پسرانى » . أى : أنت الذى تعتبر الأخ الأكبر ، ورئيس الأبناء جميعا . ثم (نفس الورقة) « آقاى ما قويلاى قا آن است » . أى : قويلاى قاآن هو الأخ الأكبر لنا جميعا . ثم بعد ذلك (ورقة ٣٠٤ ظهر) « آقا من أبا قاخان » أى : أبا قاخان كبيرى (أخى الأكبر) . وفى (الورقة ٣٢٠ وجه) « أحمد آغاست » أى : أحمد رئيس الأسرة . وفى الورقة ٣٢٢ ظهر : چگونه در روى آقاى خود بشمشير كنند » . أى : كيف أستطيع امتشاق الحسام ضد رئيس أسرتى ؟ وفى تاريخ ميرطوند (الجزء الخامس ، ورقة ٦٨ وجه) « هرچند برکه آفاست » أى بالرغم من أن برکه رئيس الأسرة . ونقرأ فى نفس الكتاب (الورقة ٧٠ ظهر) ، على لسان أبا قاخان العبارة التالية « آقاى ما قويلا قاآنست بى رخصت أو اين مهم چگونه اختيار توان كرد » أى : قويلا قاآن رئيسنا ، فهل يمكننا أن نقوم بمسألة على هذه الأهمية دون إذنه ؟ . ونقرأ فى « أكبر نامه » لأبى الفضل (مخطوطة فارسية بمكتبة الأرسينال رقم ١٩ ، ورقم ١٥٤ ظهر) « براى آقاى خود » . أى : من أجل رئيسه . وفى ترجمة حياة الشاه عباس الكبير (مخطوطة الأستاذ سلفستردى ساسى ، ورقة ١٤٩) ، نقرأ « پنجاه قراز آقاين وملازمان » . أى : خمسون شخصا من بين رؤساء الأسرة ورجال الحاشية . ومن هنا جاءت كلمة « آقاين » التى معناها « منزلة الأخ الأكبر أو رئيس الأسرة » ، وبالتالى كل نوع من أنواع الرئاسة . فنقرأ فى تاريخ وصاف (ورقة ١٧٥ وجه) « واو آقاين وتقدم داشت » =

المحاولات تمام النجاح ، إذ نحي رشيد الدين من منصبه في الأيام الأخيرة من شهر رجب سنة ١٣١٧/٧١٧ . وبعد خلعه مباشرة ترك مدينة السلطانية وذهب

== أى : كانت له منزلة الرئاسة والتقدم . وفي أكبرنامه (ورقة ١٩٦ وجه) ، نجد هدم الكلمات « مضمون نوگری وآقاي راند انسته » أى : أنه لا يعرف العلاقة التي توجد بين المرءوس ورئيسه . ونعثر على كلمة « آغا » أكثر من مرة في تاريخ التتار لأبي الغازي . وهي تستعمل دائماً بمعنى « الأخ الأكبر » في مقابلة كلمة « ابني » ، انظر الصفحات ٨ و ٣٥ و ٧٧ وغيرها) . ونقرأ في أخبار رحلة المبشر أودريك Oderic (التاريخ العجيب . . . لحان بلاد التتار الأعظم ورقة ١٠٩ وجه) أن سكان « كساي » ، عاصمة الصين ، أظهروا احتراماً شديداً لرجل الدين هذا ، فأطلقوا عليه لقب « آغا » ، أى الأب . ولكن هذا الكلام يعوزه شيء من الدقة ؛ فإن هذه الكلمة لاتدل ، كما رأينا ، على الأب ، بل على الأخ الأكبر . ونجبرنا الأستاذ بيرنس . Travels into Bokhara ، Bwrnes (مجلد ١ ، ص ١٧٧) أنه لما كان لدى أسرة « هزاره » استقبلته بمحور وحيته بلقب « آغا » . ويذكر (نفس المرجع ، ص ٢٠٠) أن الأفغانين ، إذا أرادوا تكريم شخص ما ، خاطبوه بلقب « خان أو آغا » والواقع أننا نعرف أن كلمة « آغا » معناها في لغة الأتراك الغربيين رئيس أو سيد .

ويجدر بي ، قبل إتمام هذا البحث ، أن أفسر كلمة أخرى من السهل أن تختلط بالكلمة التي فسرناها ، وهي كلمة « آغا » التي قد تكتب « آقا » والتي تطلق على أية أميرة من أميرات البيت المالک . وتجمع على « آغايان » أو « آقايان » . فتقرأ في ظفرنامه (نسخة المؤلف الخاصة ، ورقة ١٣٣ وجه) « آغايان وشاهزادكان ونوبينان » أى : الأميرات والأمراء والنوبينان . ونجد في موضع آخر (ورقة ١٣٣ وجه) آغا يانرا باز گردانيد مگربانوى کبرى چليا نملك آغا بنت حاجى بيك جته . « أى فسر ح جميع الأميرات ماعدا الزوج الأولى چليا نملك آغا ، ابنة حاجى بيك جته » ، وفي مكان آخر (ورقة ١٤٧ وجه) نقرأ « شهرزادگان وآغايان وأمراء » ، أى : الأمراء والأميرات والأمراء . وفي (الورقة ١٥٠ وجه) « سرايملك خاتم وتومان آغا باتماي اغايان » أى : سرايملك هانم وتومان آغا ، مع الأميرات الأخريات . وفي الورقة ١٥٤ ظهر ، « آغايان وشهرزادگان » أى الأميرات والأمراء . وفي الورقة ١٨٤ ظهر : « سرايملك خاتم وتورمان آغاود يگرخواتين » أى : سرايملك هانم وتومان آغا الزوجات الأخريات . وفي الورقة ١٩٠ وجه « ديگراغايان وخواتين » أى : الأميرات الأخريات والزوجات . ويتكلم دولتشاه (تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقم ١٣٢ ظهر) عن شاد ملك آغا زوجة خليل سلطان . ويذكر (نفس المرجع ورقة ==

إلى تبريز . ولم يرض الأمير سونج عن هذا الإجراء ، بل حزن من أجله حزناً حاراً . ولما كان في هذا الحين ملازماً الفراش ، كان لا يفتأ يكرر أنه سيعمل بمجرد شفائه ، على إعادة رشيد الدين إلى منصب الوزارة . وفي هذه الأثناء عقد أبوسعيد العزم على الذهاب إلى بغداد لقضاء الشتاء فيها . فأمر سونج أن يحمل على محفة ليلحق بجاشية الأمير . ولم يكد يصل إلى بغداد ، حتى وافته منيته في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة من السنة نفسها . وحينما لاحت بوادر الربيع ، قفل أبوسعيد راجعاً إلى السلطانية . ولما اقترب من تبريز ، بعث الأمير جوبان إلى رشيد الدين يقول له : « إن غيابك قد أضر بمصالح المملكة ضرراً بليغاً ، ولا بد من حضورك لإعادتها إلى سيرتها الطبيعية . فعجل إذن ، بالمجيء إلى القصر لتسلم المنصب الذي فقدته » . واعتذر رشيد الدين وأجابه بهذه العبارات : « لقد قضيت حياتي شريفاً ، ولم يتأت لأحد غيري

(= ١٣٨) (وجه و ١٤٩ ظهر) جوهر ساد آغا ، زوجة شاه رخ ، وفي موضع آخر (ورقة ١٣٩ وجه و ١٤٩ وجه و ١٥٠ وجه) جوهر شاه ييكم ، وأخيراً جوهر شاد خانم . (ورقة ١٤٩ وجه) . وفي مطلع السعادتين (مخطوطة فارسية بمكتبة الأرسينال رقم ٢٤ ، ورقة ١١٦ : وجه) قرأ آغيان از جانب دار السلطنة هراة رسیدند « وصلت الأميرات من هراة عاصمة الملكة » . ويستعرض ذيل رشيد الدين (مخطوطة فارسية رقم ١٥٨ ، ورقة ٤٩١ وجه) « آقايان و خواتین و أمراء » أي الأميرات والزوجات والأمراء « وقرأ في تاريخ ميرخوند (الجزء الخامس ورقة ١٦٤ ظهر) هذه العبارة : « صورت حادثه را مغروض آقايان و خواتین گردانیدند » أي « وبلغت هذه الحادثة إلى الأميرات وزوجات السلطان » وقرأ بعد ذلك بقليل (ورقة ١٦٥ ظهر) « مجموع شاهز دگان و آقايان و نوینان و أمراء » أي : مجموع الأمراء والأميرات والنوینان والأمراء . وفي تاريخ المغول (Geschichte der ost Mongolen) ص ١٧٩) وجدت أميرة تدعى « ساغان آغا » .

أن يقوم بمهام الوزارة بنفس النجاح والشرف اللذين توفرا لى . واليوم أصبح لى عدة أبناء يشغلون مناصب هامة . فأريد ، إذن ، أن أقضى الأيام القليلة التى بقيت لى فى الحياة فى خلوتى ، وأن أنفقها فى التكفير عن أخطائى .

وكان لرشيد الدين فى هذه الفترة ثلاثة عشر ولدا . ولم يرد الأمير أن يسلم بهذه الأعذار ، فألح عليه إلحاحا شديدا أن يظهر فى القصر . واستجاب رشيد الدين لهذا الرجاء المتواصل ، وحضر إلى چوبان الذى استقبله بابتهاج عظيم ، وغمره بآيات التكريم وعلائم التقدير ، وقال له : « سأذهب إلى السلطان ، وأخبره أنى علمت بالتجربة أنه لا يوجد من يماثلك فى حكم الإمبراطورية بجدارة وحزم ، وأن الإدارة قد شلت حركتها بعد رحيلك ، وفقدت رونقها .

ثم أضاف قوله « انتظرنى حتى أعود إليك بالإجازة التى ترجعك إلى مرتبة الوزارة » .

ولعله كان يحذر برشيد الدين أن يصر بشجاعة على رفض هذه المقترحات المفرطة فى الإغراء . وكان عليه أن يتذكر أن هذا الرجل نفسه الذى يتوسل إليه الآن فى أن يتسلم زمام الحكم ، هو الذى أسلمه بكل جبن لا تنقام أعدائه ، بعد أن أكد له صداقته وحمايته . ولكن رشيد الدين كان فى هذه الظروف يستحق الرثاء أكثر مما يستحق اللوم . فانتقاد أمام إغراء الإلحاح عليه من أمير يحتل المركز الأول فى الدولة ولا ينقصه غير اسم السلطان . وتأثر للفوضى التى حلت بالإدارة وتمنى أن يقدم علاجا ناجعا للداء الذى سببه جهل

خلفائه واختلاساتهم ، ولعله أيضا اندفع ببقية طموح لا يستطيع أحكم الرجال أن يقضى عليه في نفسه قضاء مبرما ، فقبل آسفا . وكان هذا الخضوع سبب ماحل به من كوارث . والحقيقة أن على شاه وأشياعه لم يعلموا بهذا الخبر حتى عمهم الحزن ، وبدأوا يحكون له دسائسهم . وعملوا على استمالة معاوني الأمراء بالهدايا الفاخرة ، ولا سيما أبو بكر آقا موضع ثقة الأمير جوبان . وقد انصاع هذا الرجل لأغراضهم ، وتعهد بحرمان رشيد الدين من حماية الأمير ، بتقديم اتهم رسمي ضد الوزير . وهذه هي الوسيلة التي ابتكرها المتآمرون لضمان نجاح مؤامرتهم : أخبروا أبا سعيد أنه لما كان ألاجيتو في مرضه الأخير ، نصحه رشيد الدين عمدا باحتساء شراب معين سبب موته ، وأن إبراهيم ابن الوزير وساقى الملك هو الذي قدم له هذا الشراب بالاتفاق مع أبيه ، وأخذ زنبورى على عاتقه مهمة التبليغ . فصدم أبو سعيد أمام هذا الاتهام ، واستدعى رشيد الدين إلى القصر فورا ، وأمر بمحاكمته . ولما كان الأميران تاجق وحاجى دلقندى قد شهدا بصدق هذا الحادث ، فقد اعتزم السلطان إعدام رشيد الدين وابنه أشنع إعدام ، باعتبارهما قاتلي ألاجيتو . هذه هي الرواية التي يقدمها لنا ميرخوند مكل كتاب مؤرخنا ^(١) ، وخوندمير . ويضيف الصقاعى بعض التفاصيل التي أثبتتها فيما يلى . يذكر هذا الكاتب ^(٢) أنه جى برشيد الدين

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦١ وجه و ٦٢ ظهر .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٧٣٢ ، وورقة ٨٣ وجه ، و ٨٤ ظهر .

إلى السلطانية على خيل البريد . ولما مثل أمام الأمير جوبان ، وجهت إليه تهمة دس السم للسلطان ألبايتو . فأجاب بقوله « كيف يتأتى أن أرتكب مثل هذا الجرم ، وأنا أدين لهذا السلطان وأخيه برفعتي ؟ ففي عهدهما أسندت إلى إدارة شئون المملكة وماليتها . ولم يكن بيت في شأن من الشئون إلا بأمرى . وبفضل منح هذين السلطانين أصبحت أمتلك العقار والنقود والجواهر والثروات التي لا تحصى » . واستدعى جلال الدين بن حران الذي كان طبيباً لألبايتو واستجوب حول موت السلطان الذي اتهم رشيد الدين بدس السم له . وأجاب على هذا النحو « أصيب السلطان بعسر هضم شديد مصحوب بإسهال غريب وقى متلاحق . ولما دعيت واستشرت في العلاج الذي يقتضيه الحال ، قررت ، بالاتفاق مع الأطباء الآخرين ، إعطاء السلطان دواء قابضاً لتقوية المعدة والأمعاء . وكان رشيد الدين وجدده على عكس هذا الرأي ؛ إذ ادعى أن هذا التعب ناشئ عن تخمة ، وأنه لابد من مواصلة التفريغ ، فأعطينا السلطان دواءً مليناً زاد الإسهال وأدى بالمرضى إلى القبر » . واعترف رشيد الدين بهذه الحقيقة ، فقرر جوبان أنه مسئول عن موت السلطان وحكم عليه بالموت . واقتيد هو وابنه إلى مكان الإعدام . وبدى بإعدام إبراهيم الذي لم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره ، وكان يجمع بين جمال الخلقة وظهارة النفس وتبل الخلق . وبعد أن شاهد رشيد الدين موت ولده وفي اللحظة التي كان هو فيها على وشك الموت ، كلف أحد الحاضرين

بأن يقول لعل شاة من قبله » : « هاأنذا أموت بريثا ضحية لانتهااماتك الكاذبة وسيأتى يوم تطالبك فيه العناية بحساب إعدامى » . ولم ينته من هذه الكلمات حتى كان حاجى دلقندى قد شطر جسمه شطرين . ويذكر أحد المؤرخين الذين تقدم ذكرهم ^(١) أن الأمير عز الدين طالب الملقب بدلقندى والذي ينتسب إلى آل على ، قد قبل القيام بوظيفة الجلاد بترحاب شديد ، لكى يثار من رشيد الدين لموت تاج الدين الذى سبق أن تسكلمنا عن نكبته . وقد وقع هذا الحادث الأليم فى السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٩/٧١٨ فى قرية اسمها جوستقدر تقع غير بعيد من تبريز . ثم حملوا رأس رشيد الدين إلى تبريز ، وطافوا شوارعها ، وهم يصيحون « هذا رأس اليهودى الملعون الذى حرف كلام الله » . ويقال إن جسمه قطع إربا ، وأرسلت أشلاؤه إلى مختلف مدن الإمبراطورية ^(٢) . ولكننا سنرى بعد قليل أن هذا القول غير صحيح . وقد جرد أبناء رشيد الدين وأقاربه من أملاكهم . ونهب الحى المسمى بالربع الرشيدى الذى كان هذا الوزير قد شيده فى تبريز . وصودرت منقولاته وعقاراته ، وحتى الأموال التى أوقفها على الأعمال الخيرية لم تسلم من المصادرة .

وهكذا لقي رشيد الدين حتفه فى الثالثة والسبعين من عمره ، بعد خدمات

(١) عمدة الطالب ، مخطوطة عربية رقم ٦٣٦ ، ورقة ٢١٥ ظهر .

(٢) المقرئى - كتاب السلوك ، مخطوطة عربية رقم ٦٧٢ ، ص ٧٣٢ .

طويلة كان يبدو أنها تؤهله لجزاء غير هذا الجزاء . ولكن من الأمور الغالبة في قصور الشرق أن يكون الموت العنيف جزاء مشتركا لكل من الجريمة والفضيلة . إذ يقدم لنا تاريخ هذه الأقطار أمثلة شنيعة لاتنسى في كل صفحة من صفحاته . وفي كل مكان منها نرى الفضيلة تتلوى بين مخالف الغدر والدسيسة ، حتى تهوى تحت وطأة هذا الصراع غير المتعادل . وإذا كان الباغي يجنى في نهاية الأمر العقاب الذي تستحقه أوزاره ، فإنه في معظم الأحيان لا يهلك لأنه باغ ، بل لأن تركته قد أسالت لعاب طاغية آخر .

دفن جثمان رشيد الدين في تبريز بالقرب من المسجد القائم في الحى الذى بناه هذا الوزير ، ولكن الأقدار أبت عليه أن يظل هادئا فى المأوى الأخير الذى لم يجرؤ أعداؤه على منازعته إياه . وبعد وفاة رشيد الدين بحوالى قرن (١) عهد تيمور إلى أحد أبنائه بحكومة مدينة تبريز ، وكل إقليم آذربيجان . ومن سوء الحظ أن هذا الأمير الشاب الذى كان يتحلى بصفات عالية بطبيعة الحال ، كبا به جواده ذات مرة فأصيب بتلف فى المخ تطور إلى جنون دائم . فكان إذا جاءته نوبة هذا المرض عمد إلى اضطهاد الرجال الذين يمتازون بالكفاءة ولم تقف عربدته الجنونية عند الأحياء ، بل راح يباشرها على الأموات أيضا . وكان جثمان رشيد الدين قد بقى حتى هذه الفترة فى الضريح الذى بناه لنفسه فى الحى المعروف بالربع الرشيدى بتبريز . فأمر ميرنشا بنش عظامه ودفنها فى مدافن اليهود .

(١) دولت شاه ، تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ١٢٣ ظهر .

ومما حدث أن الأمير ايش كتلك الذى كان فى خراسان ، لما وصل إلى القصر بعد موت رشيد الدين بثلاثة أيام ، حزن حزنا شديدا لهذا الحادث. الأليم ، ووجه إلى الأمراء أشد اللوم ، وسألهم عن أى فائدة جنوها من قتل رجل كان قد وصل إلى نهاية حياته بحكم الطبيعة نفسها .

هذا إلى أن جميع الذين دبروا مؤامرة موته ، قد ماتوا كلهم تقر يبا فى نفس العام . فدلقندى ألقى عليه القبض على باب القصر ، وشرط جسمه شطرين بأمر الأمير جوبان وأرسل زنبورى إلى آسيا الصغرى لدى الأمير تيمورتاش ، حيث اختفى تماما . وذلك لأن هذا الرجل كان قد دبر بالاشتراك مع دلقندى وبعض الدسائين الآخرين خطة لاغتيال الأمير جوبان أمام باب القصر . وتعهد دلقندى ، الذى لم يكن يخشى أى خطر بتنفيذ المؤامرة . ووعد بأن يطعن الأمير بمجرد أن يصدر إليه زنبورى الإشارة المتفق عليها . ولكن جوبان علم بالمؤامرة ، فقبض على مدبريها . ولقى أبو بكر حتفه بعد ذلك بضع سنوات ، ولم يعمر جوبان بعده طويلا . وقصارى القول أن الذين لطحوا أيديهم بدم رشيد الدين ، لاقوا ، كلهم تقر يبا ، جزاء جرمهم وماتوا موتا غير طيعى .

أما على شاه الذى كان روح المؤامرة ، فقد هلك لها وكبر باعتبارها نصرا رائعا له ، ولما كان ينظر إلى موت عدوه على أنه حادث سعيد ، فقد شكر الله عليه بقرايين فاخرة . وهذا ما نقرؤه بهذا الصدد فى كتاب باللغة العربية

عن تاريخ مكة من تأليف تقي الدين القاسي^(١) « ومن ذلك حلقتان من ذهب
مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال ، وفي كل حلقة ست
لؤلؤات فاخرات ، وبينها ست قطع بلخش فاخر ؛ بعث بذلك الوزير على
شاه وزير السلطان أبي سعيد خدا بنده ملك التتر ، على يد الحاجي مولواخ
(بولاواج) في سنة ثمان عشرة وسبعمائة . ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة
منعه منه أمير الركب المصري في هذه السنة ، وقال هذا لا يمكن إلا بإذن
السلطان ، يعنى صاحب مصر إذ ذاك ، وهو الناصر محمد بن قلاوون . فقال
الحاجي مولواخ إن الوزير على شاه كان نذرمتي ظفر بمخواجه رشيد الدولة
(الدين) وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين ؛ فيقال إنه أذن له في
تعليقهما زمنا قليلا ثم رفعتا وأخذها إذ ذاك رميثة بن أبي ثمن من آل
قتادة » .

كان على شاه أشد الذين تعاونوا على موت رشيد الدين جرما ، ومع ذلك
فقد كان أسعدهم ، وهو الوحيد الذي جنى ثمرة إجرامه^(٢) . فقد ظل يتمتع
بعطف السلطان ست سنوات متتالية ، وعرف كيف يحتفظ - دون انقطاع -
بالمكان السامي الذي رفعه إليه حسن طالعهِ ودسائسه . ولما حل به المرض ، أولاه

(١) مخطوطة عربية رقم ٧٢٢ ، ورقة ٤٦ ظهر . يقصد كتاب « شفاء الغرام
بأخبار البلد الحرام » ، (طبع في مضر عام ١٩٥٦ ، في جزأين ، مطبعة عيسى الحلبي ،
والنص في ص ١١٨ ، ج ١) .

(٢) مخطوطة فارسية ١٦٨ ، ورقة ٥٠٩ وجه ، وميرخوندي ، الجزء الخامس ،
ورقة ١٣٠ وجه ، وحبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٤ ظهر .

أبو سعيد شرف زيارته الشخصية ، كما بعث إليه بأمر الأطباء . ولكن بالرغم من كل هذه العناية استفحل فيه المرض حتى قضى عليه في الأيام الأولى من سنة ٧٢٤ / ١٣٢٣ . وكان هو الوحيد الذي مات موتا طبيعيا بين جميع الذين تولوا الوزارة في امبراطورية المغول منذ إنشائها . وحمل جثمانه إلى تبريز ودفن في رحاب المسجد الذي شيده . وأغدق السلطان نعمة وتكريمه على أقاربه ، وولى ولديه منصب الوزارة شركة بينهما ، ولكن لم يلبث الأخوان أن دب بينهما الانقسام ، وثار بينهما الخصومات ، وراح كل منهما يكيل الاتهام للآخر . فقبض عليهما معا وأوشكا أن يلقيأ حكم الإعدام . وإذا كانا قد فازا بالاحتفاظ بحياتهما ، فقد عزلا من منصبهما ، وألزما بالتخلي عن الثروات الواسعة التي جمعها لهما أبوهما ، والتي جمعها بنفسيهما في فترة صعود نجميهما .

لم يلبث أبو سعيد أن شعر بأنه انصاع لآتهامات أعداء رشيد الدين دون روية ، وأن موت هذا الوزير كان خسارة حقيقية للدولة ، فحين التمس منه الأمراء أن يسند منصب الوزارة إلى غياث الدين بن رشيد الدين ، اعترف بأنه منذ أن ترك رشيد الدين رئاسة الحكومة ، والإدارة في حالة هبوط ، وأنه لم يكن بين خلفائه أحد جدير بسد فراغه ^(١) .

أراد أبو سعيد بطريقة ما أن يصلح الجور الذي أنزله برشيد الدين ، فرأى أن خير وسيلة لذلك هي أن ينصب ابن الوزير المنكوب في المسكان المرموق

(٧٨) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ١٥ هـ ظهر ووجه .

الذى ترشحه له خدمات والده وكفاءته الشخصية دون منازع . وقد حاز هذا الاختيار تعضيد الجميع ، وشهد الأمراء بالإجماع أنه لا يوجد بين الطامعين فى الوزارة من يجارى غياث الدين فى محتده وتعليمه ومعرفته بالأمور ^(١) ، ولم يكن فى هذا المديح شىء من المبالغة ^(٢) ، والحقيقة أن غياث الدين كان ذا طبيعة غاية فى التوفيق ، واستطاع أن يجمع بين الفضائل الاجتماعية والصفات التى تكون رجل الدولة . كانت تقوم طبيعته على نوع من الكرم لاحد له . وكان متضلعا فى معظم العلوم ، ويستطيع التعبير عن أفكاره فى بلاغة خلاصة صافية . وأدى فريضة الحج فى صباه ^(٣) ، كما كان لا يدع مناسبة إلا أظهر فيها تعلقه الصادق بدين الإسلام .

وفى أول الأمر ضم اليه علاء الدين كمساعد له ، وهو إحدى شخصيات خراسان الرئيسية ، ولكن لم تمض ثمانية أشهر حتى عين هذا الأخير على بيت مال الملكة ، فأصبح غياث الدين ^(٤) وحده على رأس الدولة ، فلم يدرج هذا فى العمل على الوصول بالامبراطورية إلى قمة المجد والرخاء . فكان قوى الإيمان يعمل على حماية ذوى الكفاءات ويغدق عطائيه على العلماء ، كما كان يحرص

(١) ميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٣٢ وجه .

(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٦ ظهر ووجه .

(٣) يقدم لنا المؤلف العربى لتاريخ آل على تفاصيل حول هذا الحادث (عمدة الطالب مخطوطة عربية رقم ٦٣٦ ، ورقة ٨٤ ظهر ووجه) .

(٤) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٢٩ ظهر ووجه ، وورقة ٥٣٠ ،

ميرخوند الجزء الخامس ، ورقة ١٣٦ وجه ، وورقة ١٣٧ ظهر ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٦ .

على كسب ود الجند وضمان أمن الأفراد من جميع الطبقات ، وازدياد السكان ، وازدهار الزراعة . ولما رأى أولئك الذين ساعدوا على الإيقاع برشيد الدين أن السلطة بين يدي ابنه ، استولى عليهم الرعب ؛ ولكن غياث الدين كان يضم إلى محاسنه العديدة صفتي الدماثة والرحمة اللتين لاتنال منهما الأحداث ؛ عفا عن جميع أعدائه ، ولم ينتقم من أحد منهم ، بل على العكس من ذلك غمرهم بنعمه ومكرماته .

ولكن غالبا ما تكون أصفى الفضائل وأسمها جصنا خائرا ضد جحود البشر وسوء فعلهم . فبينما كان غياث الدين يعمل بحكمة إدارته على كسب محبة المغول جميعا واحترامهم ، أوشك على التردى في الهاوية من جراء مؤامرة شنيعة . اذ كان هناك أمير يسمى نارين طاغاي يجمع بين الجرأة والفدر والطموح الذى لاحد له ، فضم اليه بعض الأشخاص الذين لا يقلون عنه سوءا ، ودأب على الإيقاع بالرجال ذوى المكانة والذين تحول نزاهتهم وشجاعتهم بينه وبين الوصول إلى أغراضه . وكانت أولى هجماته موجهة ضد غياث الدين الذى كان على علم بمناورات عدوه ، وفى قدرته أن يحول بينه وبين نتائجها دون مشقة ، ولكنه لم يقابلها إلا بالصمت والاعتدال جريا على عادته . ولما رأى نارين أنه لن ينجح فى الدس له لدى السلطان ، صمم على اتخاذ طريق أقصر من ذلك ، وهو طريق الاغتيال . فاستصحب معه بضعة أشخاص من ذوى الجرأة ومعهم أسلحتهم التى أخفوها فى ثيابهم وتوجه بهم إلى منزل

غياث الدين وطلب مقابله متذرجا بأن لديه طلبا يريد أن يتقدم به اليه. ولم يكن لدى الوزير أدنى ريب في وجود مؤامرة ضده ، فأمر بإدخاله فورا . فأراد نارين الدخول بسلاحه ومعه نفر من أتباعه ، ولكنه التقى في طريقه بأخ لغياث الدين اسمه شريف الدين أمير أحمد . فأخبر نارين أن لديه أوامر مشددة بمنع أى شخص من الدخول لدى الوزير بسلاحه . وفي الوقت نفسه جرده من سلاحه ، وتركه يدخل وحده ، وبقي هو على الباب لينع من أن يتبعه أحد من مرافقيه . ولما رأى أن تقديره قد فشل ، تقدم إلى غياث الدين ، ورجاه بكثير من الإلحاح أن يتفضل بتقديم خدمة له لدى السلطان ، وأن يرجوه بحسن استقباله . فوعده غياث الدين بالتأييد التام ثم صرفه بعد أن أخبره بأنه ذاهب إلى القصر من فوره . ورأى نارين في ذلك شيئا من الأمل ، وذهب إلى المدرسة المجاورة يترقب لمروور الوزير ، ولكن مصادفة سعيدة جعلته يسلك طريقا آخر . ولما وصل لدى السلطان ، كان أول همه أن يفى بوعده ، وكلمه بحماس شديد في مصلحة نارين . فدهش السلطان لذلك ، وسأله عما إذا كان يجهل أمر المؤامرة التي دبرها ضده هذا الرجل الذي يسعى لمصلحته . وأجابه غياث الدين بأنه عبد السلطان وليس له هدف آخر غير القيام بخدمته ، ثم أضاف قائلا : « هذا إلى أنه إذا كان نارين قد أراد بي شرا ، فإن الشر الذي أراده لي سيحقيق به هو لا محالة » . وأصدر أبو سعيد أمره فورا بالقبض على نارين . وفي هذه الأثناء كان نارين قد أدرك أن غياث الدين

قد اتخذ طريقاً آخر ، فامتطى جواداً واقتفى أثره ليدركه على باب القصر .
ولكن أحد أصدقائه قابله ، وهو يعبر السوق ، فأخبره بأمر القبض الذى
صدر ضده من السلطان . ولما سمع هذا الخبر لاذ سريعا بالفرار ومعه أنصاره
المخلصون . ولكنه قبض عليه وأحضر إلى القصر ، ولم يلبث أن تلقى الحكم
الذى يستحقه . وإذا كان غياث الدين لم يستطع منع عدوه من الموت ، فإنه
أظهر اعتداله باستصداره العفو عن علاء الدين محمد الذى ثبت اشتراكه فى
فى المؤامرة ومشاطرة نارين نواياه السيئة .

وبعد ذلك بزمان ما ، أعنى فى سنة ٧٣٤ / ^(١) ١٣٣٣ - ٣٤ ، ولى
السلطان على حكومة فارس أميرا اسمه مسافر إيناق ^(٢) فأوغر ذلك الاختيار

(١) المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٥٣٢ ظهر ، حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦٧ ظهر .

(٢) كلمة « إيناق » التى تكتب أحيانا « اناق » ليست علما ، بل لقب يطلق على
الشخص الذى يتمتع بأقصى ثقة العاهل ، أو أحد مستشاريه الشخصيين الحميين .
فقرأ فى تاريخ رشيد الدين (ورقة ٣١٠ وجه) : « وهرچند إيناقان بنصیحت گفته
اند » أى : بالرغم من أن الإيناقين « قد كلوه باخلاص : وقرأ بعد ذلك بقليل : « أو
اتریت فرمود و بزرگ گردایند تا بجائی سید که ایناق کشت » أى : لقد كرمه ورفع
مرتبته ، وبذلك وصل تابعه إلى الحصول على مرتبة « إيناق » . وفى موضع آخر (ورقة
٣٢٤ ظهر) « أميرأقبوقا که ایناق أحمد بود » أى : الأمير أقبوقا الذى كان إيناق أحمد .
وفى موضع آخر (٣٤٣ وجه) « بامرا و ایتاقان قایدو » أى : مع أمراء قایدو
وايناقيه . وفى ورقة ٣٥٤ ظهر « یبکی از اناقان حضرت سیرد » . وفى ورقة ٣٦٠ ظهر
با اناقان و خاصکیان : وترد هذه العبارة نفسها كثيرا فى ذیل رشيد الدين . فقرأ فى ورقة
٤٥٠ وجه « أزامرا و ایتاقان متفحصی حال او بودی » أى كان يأخذ من لذن الأمراء
والإيناقين أخبارا تفحصهم . وقرأ بعد ذلك (ورقة ٤٥١) « از ایتاقان حضرت شده »
أى : صار أحدا إيناق الأمير . وفى ورقة ٤٦٩ ظهر « با اناقان میگفت » . وفى تاريخ

صدور بعض كبار رجال الديوان ، واعتزموا قتل هذا الأمير وطاردوه حتى قصر السلطان . فثار السلطان بحق ، لهذا الفعل ، وأمر بالقبض على الجناة وأصدر ضدهم حكم الإعدام . ولكن غاية الدين الذى كان يمنح دائماً نحو الرحمة تدخل لمصلحتهم ، واستطاع أن يستبدل لهم بحكم الإعدام الحكم بسجن كل منهم فى إحدى القلاع .

= ميرخوند (الجزء الخامس ورقة ٥١) . باطايقة ازايناقان خود مشكورت كرده . « وفى موضع آخر (ورقة ٥٣) » از مقربان وايناقان برسيد . وفى ورقة ٨٦ ظهر « ياصد نقرار خواص ومقربان وايناقان » . وفى ورقة ٩٦ ظهر « بعض از خواص ز ايناقان كيخاتوا » . وفى ١٢٣ ظهر « خواجه تاج الدين على شاه بغايت ايناق كشته بود » . أى كان على شاه قد صار من ثقات الأمير . وفى تاريخ حبيب السير (مجلد ٣ ورقة ٦٦ ظهر) « سلطان أبو سعيد از بعضى ايناقان شمه أزين حديث استماع فرمود » . أى علم السلطان أبو سعيد من أحد خواصه طرفاً من هذه الحادثة . وفى فقرة من تاريخ وصاف (ورقة ١٧٥ وجه) نقرأ هذه الكلمات « شرف ايناقى دربندگى حضرت يافته بود » . أى : كان قد حاز لدى السلطان لقب ايناق التشرىفى . ونقرأ لدى مكمل رشيد الدين (ورقة ٤٦٨ وجه) « از منصب قضا بمرتبه ايناقى رشيد » . أى : صعد من منصب القضاء إلى منصب ايناق :

وتوجد كلمة « ايناق » أيضاً فى أيامنا هذه لدى الأمم الشرقية التى تقطن شرقى بحر الخزر . وفى أخبار الرحلة التى قام بها البارون مايندورف Meyendorff إلى بخارى ص ٢٦٠ ، ترجم كلمة « ايناق » بمستشار خاص . ويذكر الأستاذ مورافيف Mouravieff فى كتابه Voyage en Turkemenie et à Khier ص ٢٦٩ أنه كان لكل قبيلة من قبائل الأزيك التى وفدت إلى خيوا واستقرت فيها ، شيخ أو رئيس يخاطب بلقب « ايناق » . وتوجد كلمة « ايناق » أيضاً فى لغة الأتراك الشرقيين ، فنقرأ فى تاريخ التتار لأبى الغازى (ص ١٠٧) « سلطان نينك برايناقى بارايردى » . أى كان يوجد مقرب للسلطان . وفى صفحة ١٧٩ « ايناق ليق يريب » . أى : أعطى لقب مستشار خاص . (وانظر أيضاً صفحة ١٣٥) .

وفي خلال السنة التالية^(١) مات أبو سعيد ، ف وقعت الإمبراطورية المغولية
فريسة لأعنف الاضطرابات . ولكن غياث الدين عرف كيف يجمع بين
الحزم والدهاء ، ويتخذ قرارات موفقة ، ويسوس النفوس بحكمة جعلت
الأمراء وكبار الموظفين الذين كانوا على وشك امتشاق الحسام ضد بعضهم
البعض الآخر ، يطرحون أحقادهم جانبا ، ويتعاونون جميعا في المحافظة على
سلامة الدولة ورخائها .

خلع لقب « خان » على أرباقاؤون^(٢) الذي تسمى باسم أرباخان ، بناء
على رأى غياث الدين ، وكان أرباقاؤون^(٣) هذا ينحدر من تولى أو تولوى بن
چنكيزخان . ولكن النار التي كانت قد خمدت في الظاهر ، لم تلبث أن
اشتعلت من جديد ، واهتمت الإمبراطورية . إذ قام الأمير على باديشاه
شاهرا سلاحه ، وأجلس موسى خان على العرش ، ثم جمع الاثنان قواتهما
وسارا لحرب أرباخان الذي سارع هو الآخر للقاء الثوار . وأرسل بعض هؤلاء
الثوار إلى غياث الدين يخبرونه في الخفاء أنه يستطيع تهدئة الاضطرابات ،
إذا هو ضمن لعل لقب القائد والأمير . فرفض غياث الدين أن يتصت لهذا
الاقتراح ، وأجاب بأبيات ، ترجمتها :

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٣٣ ظهر ، ميرخونده ، ج ٥ ، ورقة

١٣٧ و .

(٢) ميرخونده ، ج ٥ ، ورقة ١٣٨ ظهر ، حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦٨ ظهر .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ١٣٩ ظهر .

(٥ - جامع التواريخ)

« لن أخضع أبدا لعدوى ، ولو كان مقره في السماء . وهل رأى إنسان قط أن الصقر يطيع البازي ، والأسد يخنى هامته أمام الثعلب ؟ » .

وأراد أريخان أن يتخلص من بعض الأمراء الذين يعرف فيهم الشغب ، ويرتاب في اتصالحهم بأعدائه . ولكن غياث الدين الذي لم يتخل عن أسلوب الاعتدال والتسامح نصحه ألا يريق قطرة واحدة من دم . ولكن لما اشتبك الحزبان ، انحاز هؤلاء الأمراء إلى جانب على ، وأدى خذلانهم لأريخان إلى هزيمته . ففر هذا الأخير . وقاتل غياث الدين ومعه أخوه پيرسلطان بشجاعة الأبطال . ولما اضطرا إلى التسليم للعدو ، تركا المعركة ، ولكنهما لم يلبثا أن وقعا في قبضة المنتصر . فاقطع الوزير أمام الأمير على الذي استقبله بكل تكريم ، وبذل كل ما في وسعه ليحفظ له حياته ؛ ولكن الأمراء الآخرين أصروا على إعدامه ، فاقى غياث الدين الموت في الحادي عشر من شهر رمضان من سنة ١٣٣٦/٧٣٦^(١) وبعد ذلك بثلاثة أيام أو أربعة ذاق أخوه نفس المصير .

ونهب الربع الرشيدى الذى كان غياث الدين قد زاد في سعتة وتجميله ، فضلا عن بيت الوزير نفسه وبيوت أصدقائه . فأخذت منها كمية هائلة من الكتب الثمينة ، والآنية الذهبية ، والفضة المضروبة ، والأثاث ، والنسج من جميع الأنواع . وقد كبر موت غياث الدين على الشعراء والعلماء الذين

(١) انظر تاريخ كزیده ، ورقة ٢٠٩ وجه .

كان يغدق عليهم عطاياهم . فرثاه أحدهم بأبيات يعبر فيها عن ألمه ويسكى بصورة مؤسسية ذلك المصير الذى انتهى إليه ولى نعمته .

ويكفى أن نذكر هذه القصة لبيان إلى أى حد وصل سخاء غياث الدين^(١) . يحكى أن الأمير الشيخ أبا إسحاق الذى كان قد أعلن نفسه ملكا وجعل مدينة شيراز عاصمة لملكه ، كان يتجاذب أطراف الحديث ذات يوم مع القاضى عضد الدين ، فوجه إليه هذا السؤال : « هل كانت الكفاءة فى عهد أبى سعيد تلاقى من التقدير والجزاء أكثر مما تلاقى فى عهدي ؟ » وأجابه القاضى مبتسما بقوله : « هذا ما حدث لى شخصيا . كنت ذات يوم فى مجلس غياث الدين وزير أبى سعيد . فاختصنى هذا الوزير الكريم ، وأشار لى بيده ثلاث مرات ، ثم أتبع آية العطف البسيطة هذه بعطايا ضخمة من المال والعقار ، حتى إن جياتك قدروا عشر إيرادى بمبلغ ثلاثين ألف دينار أدفعه لهم خراجا فى كل عام » . ولما سأله الأمير الشيخ ، كيف كان يحدث ذلك أجابه بهذه العبارات : « كان غياث الدين يجمع فى ليلة الجمعة من كل أسبوع عددا من العلماء والفقهاء ليطارحهم الحديث حول العلوم والآداب ، وكانوا جميعا يجلسون فى القاعدة بحسب درجاتهم . فإذا أبدى أحدهم ملاحظة قيمة ، أشار إليه غياث الدين بأن يتقدم ويجلس قريبا منه . وفى أول مرة حضرت فيها هذا الاجتماع لم يسمح لى بالجلوس على المنصة التى يجلس عليها الوزير ،

(١) خوندميز ، حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦٨ وجه .

فجلست وسط منصة أقل منها ارتفاعا . ولما دار الحديث وجدتنى أتناقش مع بعض العلماء ، وكانت الغلبة لى . فلاحظ غياث الدين انتصارى وأشار إلى أن أصعد إلى مكان أعلى ، مما جعلنى أجلس فى مكان أعلى من أمكنة جميع الجالسين على نفس المنصة . وبدئت مناقشة أخرى ، ولم أكن فيها أقل توفيقا مما فى الأولى . فأشار الوزير إلى بالتقدم حتى صرت على نفس المنصة التى يجلس هو عليها . ولما أحرزت الانتصار الثالث على العلماء الذين كانوا يكوّنون هذا المجلس ، دعانى غياث الدين إلى الجلوس بجانبه مباشرة ، وأسبغ على عطاياه . ولما رأى أصدقائه مقدار العناية التى لحظنى بها ، أقبلوا جميعا يقدمون لى آيات الاحترام ، ويغفروننى بالهدايا الثمينة . وما أن سمع الأمير أبو إسحاق هذه القصة حتى أعفى القاضى من مبلغ الثلاثين ألف دينار التى كان يدفعها خراجا سنويا .

كان غضد الدين هذا يعيش عادة فى مجتمع غياث الدين . وكانت مقدمات كتبه مفعمة بمدح هذا الوزير . هذا إلى أنه جعل عنوان أحد كتبه « الفوائد الغياثية » أى فوائد نافعة مهداة إلى غياث الدين ^(١) . وكتب أحد الشعراء عشر رسالات أهداها إلى هذا الرجل المشهور ^(٢) . ونجد فى كتاب دولتشاه ^(٣) منظومة طويلة يتغنى فيها الشاعر سلمان ساوجى بحمد غياث الدين ويعدد مناقبه .

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٨ ظهر .

(٢) دولتشاه ، مخطوطة فارسية رقم ٢٤٩ ، ورقة ١٠٨ وجه .

(٣) مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٩٦ وجه و ٩٧ ظهر .

وكان حمد الله مستوفى^(١) كاتب رشيد الدين وابنه غياث الدين ؛ وقد أهدى إلى هذا الأخير التاريخ الذى ألفه وجعل عنوانه « تاريخ كزیده ، أى التاريخ المختار . وقصارى القول أن مناقب غياث الدين قد سجلت شعرا ونثرا على يد كتاب عديدين من جميع الطبقات .

لم أعثر على أى خبر عن بهاء الدين محمد بن رشيد الدين . وينحصر كل ما استطعت أن أعرفه عنه فى أن كلا من الشاعرين شمس الدين كاشى ، وركن الدين ، قد نظم قصيدة فى مدح هذا الأمير^(٢) ، ولم أجد إلا القليل من التفاصيل عن أخيه شمس الدين عبد اللطيف^(٣) الذى كان ، كما رأينا ، وزيرا للسلطان أبى سعيد ، حينما كان هذا الأمير واليا لخراسان . ويرد ذكر الأمير مظفر الدين برغل ، أحد أبناء رشيد الدين ، فى تاريخ كزیده^(٤) .

أما جلال الدين الذى أرسل ، كما سبق أن قلنا ، إلى آسيا الصغرى ليرأس الإدارة فى حكومة الأمير تيمورشاه ، فقد قدم لهذا الأخير دليلا ناصعا على إخلاصه وتفانيه^(٥) ، إذ أن بعض الأمراء أرادوا الإيقاع بهجوبان . والتخلص

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٨ ظهر ، تاريخ كزیده ، مخطوطة برويكس رقم ٩ ، ورقة ٢ ظهر ووجه .

(٢) خوندмир ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٥٩ ظهر .

(٣) خوند ، ج ٥ ، ورقة ١٢٤ وجه .

(٤) مخطوطة برويكس رقم ٩ ، ورقة ٢١٣ ظهر .

(٥) مخطوطة فارسية رقم ٦٨ ١ ، ورقة ٥٠٥ وجه .

في الوقت نفسه من أبنه تيمورشاه ، وألحوا على جلال الدين في أن يتعاون معهم في تنفيذ هذا المشروع . فحاول في بادئ الأمر أن يصرفهم عنه ، ولكنه لما رأى أن لا جدوى من إقناعهم ، وأنه إذا صرح هؤلاء المتآمرين بالرفض ، عرض نفسه لموت محقق ، تظاهر بأنه معهم وراح يبلغ كل تدابيرهم إلى تيمورشاه الذي استطاع بفضل معلوماته أن يتجنب هجوم أعدائه .

رأينا من قبل أن پير سلطان قد أعدم بعد أخيه غياث الدين . ويتكلم خوندمير عن أخت لغياث الدين ؛ وبالتالي ، فهي ابنة لرشيد الدين .

وفي عهد أبي سعيد ^(١) ثبت على الأمير شريف الدين أحمد بن رشيد الدين ارتكابه لأحد الأخطاء ، فصدر إليه الأمر بمغادرة القصر ، ولكن السلطان أراد أن يظهر لأخيه غياث الدين الذي كان وزيرا له في ذلك الحين ، فمنحه لقب « أمير الإيلكاه » ^(٢) ، وهو لقب يخول لحامله في أى مكان بالإمبراطورية ينزل فيه ، سلطة أعلى من سلطة الحكام أنفسهم . وقابل أحمد ، في طريقه ، السيد عضد الدين عائدا من دلهي ، ومعه نفائس كثيرة قدمت له في تلك المدينة كهدايا له وللسلطان . فحصل أحمد من هذا الرجل على كمية كبيرة من آنية الذهب والفضة بقصد أن يرسلها إلى القصر ويقدمها للسلطان والأميرات لكي

(١) مسالك الأبصار ، مخطوطة عربية رقم ٥٨٣ ، ورقة ١٩ وجه

(٢) نعث على كلمة « إيلكا » أو « إيلكاه » ، باعتبارها لقبا من ألقاب الشرف عدة مرات في كتاب رشيد الدين . ففي جيش هولاكو ، نجد الأمير « قوقا إيلكا » . ودلالة هذه الكلمة لا يمكن أن تكون موضعاً للشك ، إذ يحدد لنا صاحب مسالك الأبصار ، وهو كاتب معاصر يمتاز بالدقة والتحقيق التامين .

يكسب ودهم ويمهد لنفسه طريق الرجوع؛ ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق مشروعه .

ولما انتصر الأمير الشيخ حسن على موسى وأجلس محمد خان على العرش؛ اختار لمنصب الوزارة شمس الدين محمد زكريا زوج ابنة غياث الدين وابن أخته^(١) .

وفي سنة ٧٦٢ / ١٣٦٠ - ٦١ استوزر السلطان عويس ، نجيب الدين أخا شمس الدين زكريا ، أى حفيد رشيد الدين^(٢) .
وتولى شمس الدين زكريا هذا نفسه^(٣) الوزارة للسلطان حسين ابن السلطان عويس .

وفي سنة ٧٧٥ / ١٣٧٣ - ٧٤ ولي الأمير وجيه الدين إسماعيل بن الوزير زكريا حاكما على العراق العربى^(٤) ، ولكنه لم يعمر فى هذا المنصب طويلا . إذ أنه كان قد قام بحماية^(٥) بعض الأشخاص ذوى الأصل الغامض ، ورفعهم إلى مراكز عالية . فاستطاع الشيخ على بن عويس الذى كان يقطن بغداد فى ذلك الحين أن يجتذب إليه هؤلاء الجحودين ، ويغريهم بقتل ولى نعمتهم

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٩ وجه .

(٢) المرجع السابق ورقة ٧٣ ظهر .

(٣) المرجع السابق ، ٧٥ ظهر .

(٤) المرجع السابق ، ورقة ٧٤ ظهر .

(٥) المرجع السابق ، ورقة ٧٤ وجه .

و بينما كان إسماعيل في طريقه إلى المسجد الجامع في أحد أيام الجمع من سنة ٧٨٠ / ١٣٧٨ - ٧٩ وليس معه إلا نقر قليل ، فسارع بمقابلته شخص اسمه مبارك شاه ، وبادره بطعنة سيف قوية في وجهه ألقت به على الأرض . وفي هذا الحين كان الأمير مسعود ، أخوز كريا ، خارجا من منزله ، فناداه إسماعيل لنجدة . ولما سارع إلى تخليص ابن أخيه ، لم يصل إلا ليشاطره مصيره ، إذ انقض عليه مبارك شاه وآخر من شركائه ، وأجهزا عليه . وبعد ذلك ذهب الجانيان إلى الشيخ على وأخبراه بالجريمة التي ارتكباها . وهنا طلب إليهما ذلك الأمير أن يطلعا على رأس عدوه ، فذهبا من فورهما وقطعا وأحضرا إليه . وعلق الرأس على إحدى العماثر التي كان إسماعيل قد شيدها .

ومما لوحظ في هذا الصدد أن إسماعيل كان قبل ذلك بقليل جالسا ذات يوم في أعلى العمارة ينظر إلى العمال ، ورأى نجارا يريد قطع سهم ناثي خارج الجدار ، فعارضه قائلا « دع هذا السهم لكي يستخدم يوما لتعليق أحد الرؤوس » . وكان رأسه بالذات هو الذي علق في هذا المكان . ولكن قتلة إسماعيل لم يلبثوا أن لاقوا جزاء جريمتهم ^(١) .

وقبل أن أختتم هذا المقال يجدر بي أن أقول بضع كلمات عن الحى الذى أنشأه رشيد الدين في مدينة تبريز ، وسمى الربع الرشيدى : لما استولى الملك الأشرف على السلطة العليا في غضون سنة ٧٥٠ هـ ١٣٤٩ - ٥٠ م ^(٢)

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٧٥ وجه .

(٢) المرجع السابق مجلد ٣ ، ورقة ٧٢ ظهر ، تاريخ الكرد ، مخطوطة ديكوروا الفارسية ، رقم ٨٨ ، ورقة ١٦٣ ظهر .

وجعل مقر قصره في تبريز ، اختار الربع الرشيدى لإقامته . وأمر بحفر خندق حوله ، ثم أصدر أوامره إلى جميع سكان تبريز ، من كبار أعيان المدينة حتى العمال والصناع ، بأن يشيدوا منازلهم ويستقروا حول هذا الحى . أما أولئك الذين لم تسمح لهم ثروتهم بهذه النفقات ، فقد أنزلوا المساكن الخاصة بالفقراء ومن ثم أصبح الربع الرشيدى معمورا بجمهور هائل من الأشخاص الذين ينتمون إلى جميع الطبقات .

وبعد ذلك بثمانية أعوام ^(١) ، اضطر هذا الأمير إلى الفرار أمام جيوش جاني بك ، خان كاپتشاك ، المنتصرة ، فترك الربع الرشيدى وانسحب إلى مدينة أوجان . ونقل نساءه ونفائسه فوق جبل ميزد الواقع في نفس المكان الذي تتبع منه عين رشيد الدين .

ولما استولى السلطان أويس على تبريز في السنة التالية ^(٢) ، اختار الربع الرشيدى محلا لإقامته . وهناك مات هذا الأمير ^(٣) « در عمارت رشيدى » . ونقرأ في كتاب « حياة الشاه عباس الكبير » ^(٤) أن هذا العاهل حول الربع الرشيدى إلى قلعة ، كما أننا نعلم من هذا الكتاب نفسه ^(٥) أن الربع

(١) حبيب السير ، المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ورقة ٧٣ ظهر

(٣) تاريخ الكرد ، ورقة ١٦٧ وجه

(٤) مخطوطة الأستاذ دى ساسى ، ورقة ١٦٧ ظهر .

(٥) المرجع السابق ، ورقة ١٧٧ وجه .

الرشيدى كان يقع شرقى تبريز . ويتحدث Chardin عن قلعة كبيرة خارج تبريز تسمى القلعة الرشيدية ^(١) . وفى رحلة لتاجر إيطالى زار فارس فى أوائل القرن السادس عشر تذكر قلعة كبيرة تقع شرقى تبريز عند سفح تل وبها قصر منيف . وهذه القلعة ، إذا لم أخطئ ، هى الربع الرشيدى ، ويبدو أن هذا الربع لا يزال قائما اليوم باسمه القديم .

الجزء الثانى

رأينا فى الجزء الأول من هذا التقديم رشيد الدين ، باعتباره حاكما ، لإمبراطورية كبيرة ، وموضعا لثقة ثلاثة سلاطين متتابعين . وبقي علينا الآن أن ننظر إليه باعتباره أديبا وكاتبا . وقد قلنا فى غير هذا المكان إن رشيد الدين رأى نفسه ، على الرغم منه ، منساقا فى دوامة القصر منذ ميعه صباه ، ومضطرا إلى بذل كل وقته فى الاشتغال بتفاصيل الإدارة الشائكة ، فلم يستطع إشباع ميله الخاص نحو الدراسة بالقدر الذى كان يتمناه . كما أنه ، فضلا عن ذلك ، كان عرضة لأمراض متتابعة أضاعت عليه جزءا من الوقت الذى تركته له تلك المشاغل العديدة التى كان يوزح تحت عبئها ^(٢) . ولكنه كان مولعا بالمعرفة أشد الولع ، ذا قدرة على العمل لا تعرف التعب ، وذا كرة يضرب بقوتها المثل ؛ فاستطاع ، رغم كل هذه المشاغل والموانع ، أن يجد لنفسه

(١) 'Voyage en Perse' ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٢) المجموعة الرشيدية : مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقم ١٦٠ وجه ، ٢١٢ ظهر .

الوسيلة لمعالجة الآداب والعلوم والإحاطة بالدين الإسلامى إلى أعمق حد .
فكان يقضى كل نهاره فى تصرف شئون الدولة ، ثم ينفق فى الدراسة
الساعات التى ينفقها غيره من الناس فى الراحة والنوم ^(١) . وكان ضيقنا بوقته
إلى حد أنه كان فى أسفاره وعلى صهوة جواده ، لا يكف عن التفكير فى
المواضيع التى تتطلب أهميتها فحفا عميقا ^(٢) . ولذلك ، إذا كان رشيد الدين
يشكو فى كثير من المواضع من الشكوى من عجزه عن قراءة الكتب الهامة
وتحصيل المعرفة الجدية ، فإنه ينبغى لنا ألا ننسب إلى أسفه هذا إلا دلالة
نسبية ؛ وسنرى أنه ، رغم تظاهره بالجهل ، كان يحيط بحقل من المعارف
العميقة المتنوعة ، وأن مؤلفاته الضخمة تسكفى وحدها لتخليد ذكر أوسع العلماء
اطلاعا ورأيا .

إذا غضضنا النظر عن الطب الذى أقبل رشيد الدين على تعلمه منذ زمن
مبكر ، وعن شتى فروع المعرفة الأخرى التى ترتبط بهذا العلم برباط
مباشر ، وجدنا أنه أيضا لم يهمل دراسة الزراعة والهندسة والميتافيزيقا
واللاهوت . وكان يحيط بإحاطة تامة بكثير من اللغات ، وهى :
الفارسية والعربية والمغولية والتركية والعبرية ، وربما الصينية أيضا .
الأولى من هذه اللغات لغته الموروثة .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٢٨١ وجه .

(٢) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٦٧ ظهر .

أما بالنسبة للعربية ، فلا يمكن أن يخامرنا شك في معرفته بها ، إذ قد رأينا ، فيما سبق أنه كلف من قبل غازان خان بكتابة جميع الكتب التي ينبغي كتابتها بالعربية ؛ هذا فضلا عن أننا سنرى فيما يلي أنه ألف بهذه اللغة كتباً هامة .

والإمام التام بالمغولية كان ضروريا لرشيد الدين ، لكي يستطيع العيش في حاشية السلاطين الذين جلسوا على عرش فارس في هذه الفترة ، إذ الواقع أن هؤلاء الأمراء كانوا يستعملون لغتهم القومية ، وعلى وجه الخصوص في الحادثة . هذا إلى أن رشيد الدين كان مضطرا ، كما سنرى ، إلى أن يقرأ ويفحص ، بعناية تامة ، الحوليات والمذكرات الأخرى المكتوبة باللغة المغولية ، كما أنه هو نفسه يحدثنا ^(١) بأنه ترك عدة كتب بهذه اللغة .

أما فيما يتعلق بالتركية ، فإن مؤلفنا كثيرا ما تكلم عنها ويورد الكثير من ألفاظها إلى حد يستحيل معه ألا يكون على معرفة عميقة بها .

وأما العبرية ، فهناك أسباب هامة تحملنا على القول بأن رشيد الدين كان يعرفها . ولن نستشهد هنا بهذا الخطاب الذي نسب إلى رشيد الدين ، وكان مكتوبا بالحروف العبرية . لأنه من الممكن جدا أن تكون الحروف العبرية واللغة عربية أوفارسية . ولكننا نرى رشيد الدين في حاجة له ضد اليهود ، يتكلم عن فقرات اقتبسها من التوراة ، ويقدم لها بهذه العبارات ^(٢) :

(١) المجموعة الرشيدية ، مخطوطة عربية ٣٥٦ ، ورقة ٢١٣ ظهر .

(٢) المجموعة الرشيدية ، مخطوطة عربية ٣٥٦ ، ورقة ١١١ وجه .

«سنترجم هذه الفقرات إلى العربية أو إلى الفارسية تبعاً لما إذا كنا سنكتب كتابنا بهذه اللغة أو تلك ، وكذلك حتى يستطيع قراءتها وسماعها كل من لا يعرفون اللغة العبرية » . ونراه في موضع آخر يذكّر فقرة من سفر التكوين ثم يضيف قائلاً^(١) : « هذا النص العبري معناه ، إذا ترجم إلى العربية : « إني نادم على أن خلقتهم » . ومن اليسير أن نعرف أن المؤلف يشير بتلك الجملة إلى هذه الكلمات^(٢) : **יְהִי עוֹלָם** وفي مكان آخر يذكّر بالحروف العربية كلمة « يويل » ومعناها السنة الخمسين^(٣) : من الواضح أن هذه الكلمة العبرية « **יוביל** » المستعملة في سفر الخروج^(٤) ، والتي منها الكلمة الفرنسية jubilee » . وبعد ذلك بقليل يكتب هذه العبارة^(٥) : « إن كلمة « عولوم » **עולום** التي ترد في النص العبري للتوارة ، وتفسر بمعنى « الأبدية » تدل ، في جميع الفقرات التي ترد فيها ، إما على فترة متباعدة وإما على فترة قريبة . كما أنها تدل أيضاً على « العالم » ؛ وفي التوارة كما في جميع الكتب المكتوبة بالعبرية تقابل كلمة « عولام » كلما كان الأمر بصدد العالم وحالاته المختلفة . وسواء أكانت هذه الكلمة تدل على « الأبدية » أم على « العالم » فإنها لا تتغير ، ويمكن تفسيرها بأحد هذين المعنيين على التساوى .

(١) المرجع السابق ، ورقة ١١٢ وجه :

(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٦ ، آية ٧

(٣) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٤ ظهر .

(٤) إصحاح ٢٥ ، الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٥) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة رقم ١١٤ ظهر .

ونجمع « عولام » على « عولاميم » وحينئذ يكون معناها « العوالم » ،
وكثيرا ما تستعمل تلك الكلمة في هذا المعنى ، إما في صيغة المفرد وإما في
صيغة الجمع دون أى فرق . وفي مكان آخر يتكلم رشيد الدين بالتفصيل
عن العقاب الذى يقع لدى اليهود على المرأة المتهمة بجريمة الزنا ، ويلاحظ
أن مثل هذه المرأة تسمى في العبرية « سوطا » ^(١) ، وهذه هي الحقيقة ،
وأخيراً يلاحظ أن اليهود يدلون على المجد بكلمة « كئود » أى כבוד ^(٢)
وتكفى هذه الأمثلة التى يمكننا أن نذكر منها الكثير للدلالة على أن
رشيد الدين كان يعرف اللغة العبرية .

أما بالنسبة للغة الصينية ، فإننى لم أجروّ على إصدار رأى قاطع بصددتها ، إذ
يبدو لى أن الأمر هنا لازال موضع شك . نعم ، إن مؤلفنا كثيرا ما يذكر
كلمات صينية ويفسرهما ، كما سترى أنه استخدم التواريخ الصينية ، وأنه أدخل
في مجموعة مؤلفاته رسالتين في الطب كتبتا في الأصل باللغة الصينية ، ثم ترجمتا
إلى العربية والفارسية . ولكنه لما لم يذكر أنه هو صاحب هاتين الترجمتين ،
فقد يحق لنا أن نفترض بأنه عهد بهما إلى شخصين صينيين سنتكلم عنهما في
غير هذا المكان ؛ وكانا في بلاط غازان خان ، ويعرفان الطب معرفة تامة .
ومن بين المواهب التى جادت بها الطبيعة على رشيد الدين موهبة استوحذ

(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة رقم ١١٥ وجه . .

(٢) المرجع السابق ، وجه ١٠٦ وجه . .

عليها في أعلى درجاتها ، وأعنى بها موهبة الكتابة بسهولة لآحد لها . ويحكي هو نفسه عن هذا الأمر ما يشبه المعجزات فحينما كتب الرسائل التي يشرح فيها أمية محمد ، لم يكلفه تحريرها أكثر من نصف ساعة^(١) إذ يقول مامعناه : بعد ذلك بزمان ما طلب السلطان ألبانيو من علماء حاشيته أن يخبروه أيهما يفوق الآخر ، العقل أم العلم . فأجاب كل منهم بما ارتآه . ثم سئلت بدوري : وكان السؤال شائكا ؛ لأن هذا الموضوع لم يكن قد طرأ بخاطري قط . وبعد لحظة من التفكير ، عرضت على المجلس ما قاذني إليه البحث العاجل . ولكني بعد ذلك تأملت الموضوع على مهل وبقدر ما تسمح لي به مشاغلي المختلفة ، فتكاثرت على الأفكار ، إلى درجة أنني استطعت أن أملأ بها عشرين ورقة من ورق بغداد في ظرف ثلاثة أيام أو أربعة . هذا وفي غمرة الصعاب والمشاكل العديدة التي تفرضها عليّ واجبات مناصبي ، وبالرغم من أنني أنفق جل وقتي في خدمة السلطان وتصريف الأمور وتحرير الرسائل من جميع الأنواع إلى حد أنني لا أجد من الوقت إلا لحظات خاطفة ، فقد عملت على الاستفادة من هذه الفترات القصيرة واستطعت في ظرف أحد عشر شهرا أن أولف ثلاثة كتب ضخمة ، وهي « كتاب التوضيحات » « ومفتاح التفاسير » « والرسالة السلطانية » ، فضلا عن عدد كبير من الرسائل التي تدور حول المواضيع المختلفة والمسائل الدقيقة . ويقول رشيد الدين في مكان آخر مامعناه^(٢) إن تحرير هذه الكتب الثلاثة لم يستغرق منه أكثر من ثمانية أشهر .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٢٨٩ وجه ، ٢٩١ ظهر .

(٢) المخطوطة العزية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٢١ ظهر ، ١٢٣ وجه .

فلولم يكن مؤلفنا رجلا صادقا ، ولولم يذكر الخبر نفسه في مواضع عديدة لا تبه المرء إما إلى الشك في قوله ، وإما إلى اتهامه بالمبالغة بعض الشيء ؛ إذ يبدو أن المجموعة التي يتكلم عنها قد تتطلب سنين عديدة من التفكير المتواصل . ولكن مما يلفت النظر أيضا أن هذه المؤلفات تكشف في مواضع مختلفة عن بعض آثار للسرعة الشديدة التي كتبت بها ؛ إذ أن المؤلف كثيرا ما يعتمد على خياله ، كما أن استدلالاته لا تبدو دائما متينة الترابط متجهة إلى نتائجها في خط مستقيم . وأما أسلوبه فقد يصرف عنه القارئ في بعض الأحيان بسبب إطنابه .

ويقول رشيد الدين إن هذه السهولة الخارقة في الكتابة لم تكن لديه موهبة طبيعية ، ولكنه لما نشر رسالته ^(١) التي حاول فيها أن يبرهن على أن أمية محمد صلى الله عليه وسلم كانت أمرا إلهيا وبرهانا قاطعا على صدق رسالته ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجازيه على تحمسه وحسن فعله ، فأثار بصيرته ووهبه تلك القدرة الثمينة على التفكير من غير عناء في المسائل المجردة والتعبير عن نتائج تفكيره بوضوح وسرعة فائقتين . وأعتقد أنه يمكننا ، دون أن نهم بالإسراف في التشكك ، أن نرتاب في سبب هذه الموهبة لافي حقيقتها . فليس مما يستغرب أن يكون رشيد الدين قد وهب عقلا واعيا وخيالا خصبا ، فاستطاع مع الزمن وطول التفكير أن يعتاد تحريز أفكاره ،

(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢٨٩ وجه .

وأن يكون في الفترة التي نحن بصددھا قد استجمع قواه بعض الشيء، فبدأ يكتب قطعاً متتابعة؛ وأن يكون قد شعر في نفسه بفتح موهبة لم يكن هو نفسه على بينة من وجودها لديه. ولكن ذلك كله لا يحتاج إلى الاعتراف بتدخل النبي لإيجاده. ومهما يكن من شيء فإن رشيد الدين لم يتجه إلى التأليف إلا في وقت متأخر^(١). كان مشغولاً بإدارة المملكة، محصوراً في تواضعه الجسم، مقتنعاً بأنه لم تتوفر له الموهبة والمعارف الكافية التي تجعله يقتفى أثر الكتاب الذين يفخر بهم وطنه، فضلاً عن تهيئه النقد الذي يتعرض له كل من يتناول القلم، لذلك كله فضل التفكير في صمت. فكان لا يكشف عن شيء من ثمرات تفكيره إلا في محادثاته العلمية مع السلطان أو مع عدد محصور من الأصدقاء، حتى قام غازان خان الذي قدر مواهب مؤلفنا الحقيقية بتكليفه بعمل هام، وهو تأليف تاريخ المغول. ولما كان هذا الكتاب أهم مؤلفات رشيد الدين دون منازع، والعمل الحقيقي الذي استحق به عرفان العصور اللاحقة، فإني أطمع من القارئ أن يسمح لي بإيراد بعض التفاصيل التي لا تخلو من فائدة، وأن أعرض؛ رواية عن المؤلف نفسه إلى حد كبير؛ البواعث التي دفعته إلى القيام بهذا المشروع النافع، والمبادئ التي أبني عليها تحرير حوليات تلك الأمة الكبيرة.

كان رشيد الدين، كما ذكرنا، قد استحق ثقة غازان خان واحترامه إلى

(١) المرجع السابق، ورقة ٤٥ هـ وجه.

أقصى درجة . وكان هذا السلطان يجمع بين رجاحة العقل وسعة المعارف والحب الشديد لأمته ، فاستطاع في مدة حكمه القصيرة أن يصدر — في جميع فروع الإدارة — طائفة من النظم الحكيمة المفيدة في آن واحد . وأراد أن يكشف للمغول عن تاريخهم الحقيقي فرسم هذا المشروع ، وعمل على إخراجه من زوايا النسيان : وذلك أنه كان يتحرق أبى ، إذ يرى مواطنيه وقد انحدروا من هذه الناحية في هوة عميقة من الجهل المشين ، وأن أعلام طبقة قد صاروا بالنسبة لهذا الموضوع هم والسوقة سواء بسواء لا يعرفون من تاريخهم إلا أوهاما وأساطير ، وأن الأمراء والكبراء قد بعدت بهم الشقة عن مهد أسلافهم ، فأصبحوا لا يبالون بأنسابهم ولا بمجد آبائهم الذين اختفت أسماءهم نفسها من ذاكرة أبنائهم الجحودين ، وأوشكت أن تتلاشى في ظلمات النسيان والإهمال . ورأى أن المغول لم يعد يحفزهم مطمح نبيل أو تهز نفوسهم كبرياء وطنية مشروعة ، ونقول مشروعة ، لأنها تقوم على سلسلة من أعمال البطولة والانتصارات الهامة ، كما أدرك أنهم أخذوا شيئا فشيئا يعتنقون دين المغوليين ، ويتخذون من نسائهم زوجات لهم ، وأنهم على وشك التلاشى في غمرة الأمم العديدة التي تحيط بهم والتي زودوها بكثير من القوانين والتشريعات . وتحقق ، من جهة أخرى ، من أن الفتوحات المغولية الهائلة لا تزال غير معروفة على حقيقتها من شعوب الشرق ، وأن الأخبار الجافة الغامضة المتناثرة المتباعدة التي كتبت تحت تأثير الاضطهاد والبغض وعلى بعد شاسع من الأماكن التي كانت مسرحا

لتلك الحوادث ، لا يمكن أن تقدم عن هذا الموضوع إلا سلسلة من المعلومات ناقصة غير صادقة . ومع ذلك فليس هناك فترة أخرى من فترات التاريخ تقدم مثل هذه السلسلة الهائلة المتتابعة الحلقات المتلاحقة العرى من الكوارث المتنوعة المروعة ، أو مثل هذه المجموعة من الفتوح التي تشبه الأساطير والتي لاتدانيها فتوح الإسكندر وفتوح الرومان ، أو هذا التجمع الغريب لضروب الإفراط من كل نوع ، مابين أعمال وحشية ، وفضائع تثير القلب والعقل ، تصحبهما أعمال ناصعة البطولة ، وأفعال ملأى بالشجاعة والرجولة والنبيل ، وانتصارات تشبه المعجزات ؛ ولا سيما إذا عرفنا أن المغول كانوا حتى ذلك الحين من أبعد الناس عن المواهب التي يتطلبها الفن الحربي ، وأقلهم معرفة بمخدع الحصار . فما هو ذا مجرد زعيم قبلي محصور في إقليم صغير من أقاليم الشرق الأقصى ، يوسع مجاله شيئاً فشيئاً بفضل شجاعته في إخضاع الأقوام التي تقطن مجاهل بلاد التتار المترامية الأطراف ، ثم ينطلق كالصاعقة فيقضى على إمبراطورية عظيمة يحكمها عاهل مولع بالحرب خبير بفنونها ، ويأخذ أمنع المدن التي تدافع عنها جيوش بأسرها ويفتحها عنوة بالرغم من ارتفاع أسوارها . ويرى الشجاع جلال الدين نفسه وقد حلت به الهزيمة في موقعة منظمة على شواطئ نهر مكران (مهران) فيضطر ، لكي ينجو بحياته ، أن يعبر هذا النهر سابحاً ، تاركاً للمتصمر نساءه وأفراد أسرته . ثم يذهب ذلك المحارب المغوار نفسه هائماً على وجهه في نفس الأقاليم التي كانت من قبل تعج بكتائبه العديدة ، ومن

ورائه عدو لا يكل ؛ حتى إذا رأى أن الهزائم تتبعه حيثما حل ، استسلم لموت يليق بمغامر أكثر مما يليق بعاهل عظيم . وذلك أن جيشا يتكون من عشرين ألف محارب من المغول غامر بالدوران حول بحر الخزر ، وهي مغامرة لم يحاول القيام بها أحد من قبل ، ولم يقدم على مثلها من بعد إلا جيوش تيمور . وفي خلال عدد محصور من السنين ، أصبحت آسيا كلها تقريبا تحت إمرة هؤلاء الفاتحين - المرهوبين الجانب . وأصبح جزء ما من القارة الأوربية هي الأخرى تغطيه الخرائب ويعترف بالفاتحين الجدد سادة له : وارتاع ملوك هذا الجزء من العالم أمام غزو هذا العدو الذي عدوه أخطر من غزو إتلا (Atella) ، فسارعوا يحاولون وقف العاصفة ، وتحويل اتجاه ذلك السيل الجارف الذي كان يبدو أنه لا يمكن لسدود أو لحواجز أن تقف في طريقه .

ومع ذلك فإن هؤلاء المغول لم يكادوا يختلطون بالشعوب المهزومة ، حتى تخلصوا من ونحشيتهم القديمة ، وراحوا يسرون في طريق الحضارة بخطى تدريجية فقد قام چنكيز خان بإعطائهم قوانين تنظم سلوكهم . وثابر أوكتاي على متابعة خطط والده العظيمة ، وعرف كيف يجمع بين شجاعة الجندي المقدام وفضائل الملك العظيم ويظهر في أثناء حكمه الذي لم يطل مداه ، مع الأسف الشديد ، من التسامح والسخاء ما لم يكن لأحد أن ينتظر وجوده في محارى مغولستان . واستطاع قوياي أن يفوز بإعجاب الصينيين أنفسهم ، بفضل صفاته النادرة ومعارفه الواسعة وحكمة حكومته البالغة .

هذا ، بالاختصار ، جزء صغير من الأعمال الرائعة التي يقدمها لنا تاريخ المغول . ولا شك أن المرء يشعر شعورا قويا ، بأن مثل هذا التابع من الأحداث يستحق تسجيلا نزيها مفصلا ، وأن مثل هذا الكتاب لا يهتم المغول وحدهم ، بل يهتم جميع شعوب الأرض من وجوه شتى . وهذا ، إذن ، ما حدا بغازان خان أن يقدم المغول تاريخا لوطنهم .

وكان بعض الكتاب قد حاولوا أن يقوموا بهذا العمل ، وقد أصابوا نصيبا من التوفيق يختلف باختلاف الأحوال . فأورد ابن الأثير في كتابه المسمى « الكامل » عرضا مختصرا لفتوح المغول ؛ ولكن التحفظ والحذر منعاه من التعرض لتاريخهم القديم ، فاعتصم بالصمت التام عن فتوح چنګيزخان الأولى ، وقنع بأن يبدأ سرده بحكاية الحرب التي شنها هذا الفاتح المخوف في ولايات سلطان خوارزم . واقتفى ابن الفرات أثر ابن الأثير . أما محمد بن النسوى الذي كان يعمل كاتبا للسلطان جلال الدين منكبرتي والذي ندين له بتاريخ جيد جدا لهذا السلطان ، فقد حاول أن يجمع بعض التفاصيل حول السنين الأولى لحكم چنګيزخان ، ولكن هذا الكاتب الممتاز كان مفعما بالبغض نحو أولئك المغول القساة الذين رأى عرش سيده ينهار تحت شبا سلاحهم ، كما كان نهبا للاضطراب والمهالك التي كانت تهدده بها حياة المخاطرات ، محظا من كل جانب بالخرائب وآثار المذابح ، لا تطرق آذانه إلا أخبار الفتح وصيحات اليأس ؛ ولذلك كله لم يكن لديه من الوقت ولا من الرغبة ما ينحفره على بذل

المجهود والقيام بالمباحث العميقة من أجل تاريخ هؤلاء الأعداء المخوفين . ومن ثم كانت السطور القليلة التي خصصها لتاريخ المغول البدائي تحتوى على سلسلة من التفاصيل البتورة التي تنقصها الدقة .

وقد جمع أحد المؤرخين الفرس ، المسمى عبد الله البيضاوى ، بعض الأخبار الخاصة بالمغول وضمنها كتابه الذى جعل عنوانه « نظام التواريخ » ولكن هذا العمل لم يكن إلا تخطيطا سطحيا يكاد يخلو من أى تفصيل ، وكل مانسطيع العثور عليه فيه ينحصر فى تواريخ الأحداث الرئيسية . وهناك مؤرخ مدقق ، وهو « علاء الدين عطاء الملك الجوينى » الذى شغل بعض المناصب الهامة واستطاع بفضل رحلاته العديدة أن يجمع بعض الروايات الغريبة الصادقة من مهد الإمبراطورية المغولية نفسه ، فحاول أن يخطط تاريخا لفتوح چنكيزخان وخلفائه . ولكن هذا الكتاب ذا القيمة النادرة الذى اتخذته كثير من المؤرخين مرشدهم الوحيد ، ينقصه الكثير مما يتعلق بالسنين الأولى لعهد چنكيزخان ، إذ أن هذا المؤلف الفارسى قد أهمل ذكر الروايات المغولية الخاصة بأسلاف هذا الأمير وسابقيه ، والتي تصل فى سردها حتى الأزمنة الأسطورية ، ولعل السبب فى ذلك أنه لم يتأت له أن يجمع من هذه المادة إلا أخبارا شديدة الغموض غير جديرة بإثارة شوق القراء . لذلك لا نجد فى تاريخه شيئا يتعلق بأصل القبائل المغولية المختلفة ، أو بأنساب الأمراء والرؤساء وغيرهم من الشخصيات ذات المكانة الرفيعة .

وهناك مؤرخ آخر عاش بعد عطاء الملك ، وأخذ على عاتقه أن يكمل كتابه ، وهو عبد الله بن فضل الله الذى ألف ذلك التاريخ المشهور المسمى « بتاريخ وصاف » . ولكن هذا المؤلف لم يكن قد نشر شيئا فى حياة غازان خان ، بل كان يثابر فى صمت ، على جمع مادته وتصنيفها ، ويعمل على ملء ذلك الإطار الجميل بأسلوبه الأنيق . ولكن بالرغم من أن هذا الكتاب يقدم لنا تفاصيل قيمة حول الحوادث ، فإننا إذا نظرنا إلى فقراته الطويلة التى لاتكاد تنتهى ، وأسلوبه المسجوع المليء بالمجازات والاستعارات الجريئة ، واقتباساته العديدة من الشعر العربى ، واستطراداته التى لاجدوى منها فى غالب الأحيان ، اقتنعنا بأن المؤلف كان يحرص على لقب « الكاتب البليغ » أكثر مما يحرص على لقب « المؤرخ » ، وأحسنا أن مثل هذا الكتاب الذى لا يستطيع فهمه إلا من ارتوى أوفر قسط من الثقافة الأدبية ، غير جدير بأن يقدم للقراء من مختلف الطبقات سردا سهلا جذابا ومفيدا فى آن واحد . هذا فضلا عن أن المؤلف لم يحاول ، كما أشرنا من قبل ، أن يرجع يبحته إلى ماوراء الفترة التى توقف عندها عطاء الملك .

لكل هذه الأسباب كانت الحاجة لاتزال ماسة . إلى كتابة تاريخ جيد للمغول ، ولا سيما فيما يتعلق بالأزمنة القديمة ، وفتوح چنكيزخان الأولى ، وتصنيف القبائل المغولية وتحرير أنسابها ، وقد عقد غازان خان العزم على سد هذه الحاجة . ولم تكن المادة هى التى يحتاج إليها تحقيق هذا المشروع ، بل

كان يحتاج بالأحرى إلى كاتب عالم محقق ينسقها وينظمها . إذ كان يوجد في سجلات الإمبراطورية المغولية في فارس حوليات مكتوبة باللغة المغولية ، وفيها تذكر حوادث التاريخ الوطنى الرئيسية والروايات المختلفة ، سواء أكانت حقيقية أم زائفة ، وكلها تروى بشيء من البسط ، إن قليلا وإن كثيرا ، ولم يكن قد أتيح لكاتب حتى الآن أن يستفيد من هذه الأوراق التى تكون عدة كراسات غير منظمة تنظيما حسنا ، وإن كانت تحتوى على كثير من المعلومات ذات القيمة العليا .

هذا إلى أن الأسر المغولية الكبيرة كانت تحتفظ ببعض الوثائق الحقيقية ، وقوائم الأنساب المتصلة ببعض الشيء ، والروايات التى يختلط فيها التاريخ العام بالتاريخ الخاص ، وهذه هى المادة الحقيقية التى كان لابد من استخدامها لكتابة تاريخ مفصل للإمبراطورية المغولية . وكان غازان خان شديد الولى بأن يضيف اسمه إلى هذا المشروع الذى يجمع بين الفائدة العلمية والتاريخية فى آن واحد . هذا إلى أن ذلك الأمير الراجح العقل كان لا يجهل أنه لم يكن المغول أن يوهوا أنفسهم بأنهم سيظلون سادة الفرس ، وكان يحس جيدا أنه لابد للشعوب المغلوبة أن تطرد الفاتحين إن عاجلا وإن آجلا ؛ أو أن أولئك الفاتحين الذين يضطرونهم وضعهم إلى الزواج من نساء فارسىات ، والذين أخذوا يخضعون بدورهم لسيطرة المتعة والبذخ ، وراحوا يعتنقون الدين الإسلامى بالتدريج ، لابد لهم أن يفقدوا شيئا فشيئا طابعهم الأجنبى وقسوتهم وشجاعتهم .

الباسلة ، وأن ينتهوا باتخاذ اللغة الفارسية بدلا من لغتهم . وفي النهاية كان من المفروض أنه لا بد أن يأتي يوم تعصف فيه الأطماع بقوانين المملكة ، ويسعى المتنافسون الطامعون إلى التنازع على العرش بقوة السلاح ، وتغرق الإمبراطورية في تيار جارف من فظائع الحرب الأهلية . وإذا تأتى لمثل تلك النبوءات أن تتحقق ، فمن الواضح ، في هذه الظروف ، أن تهمل الوثائق التاريخية المحفوظة في السجلات العامة والخاصة ، كما لو كانت أوراقا عديمة النفع ، وتصبح فريسة لدود الأرض ولهب النار . فكان العاهل العظيم يقول في نفسه إنه ليس هناك إلا طريقة واحدة لمنع ما يترتب على تلك الكارثة المحتملة من نتائج مفرعة ، وإنه يجب استخلاص أصدق ما يحتوى عليه هذه المادة خاصا بأصل التاريخ المغولي ، وترتيبه في صورة حوليات تكتب باللغة الفارسية ، لتكون قصة مفصلة صادقة تنقل إلى الخلف تلك الأعمال الجليلة التي قام بها چنګيز خان وأسلافه وخلفاؤه . ولم يتردد السلطان في اختيار الكاتب الذي يوليه هذه الثقة الغالية والتقدير الكبير ، فأتجه إلى رشيد الدين . وعهد إليه بفرز السجلات ، وجمع الحقائق التاريخية وترتيبها ترتيبا زمنيا ، وبأن يضيف إليها كل ما يستطيع الوصول إليه في مؤلفات المثقفين أو في أحاديثهم ، إذا كان هؤلاء قد عنوا بالبحث في تاريخ المغول . فأقبل الوزير على تحقيق الالتزامات التي ألقاها عليه على عاتقه بكل نزاهة ودقة . وكان يقبل على هذا العمل بهمة تدعو إلى الإعجاب حقا ، بالرغم من اشتغاله الدائم

بالمهام العديدة التي تتطلبها إدارة إمبراطورية عظيمة . إذ يذكر دولت شاه^(١) ، رواية عن رشيد الدين نفسه ، أنه لم يكن يعمل في هذا الكتاب إلا بعد صلاة الفجر من كل يوم حتى شروق الشمس ، حيث إن شئون الدولة كانت تستغرق منه كل أوقاته الأخرى .

كان كتاب التاريخ قد قارب تمامه حين وافت غازان خان منيته في سنة ٧٠٣/١٣٠٣-١٣٠٤ . وخلفه على العرش أخوه « ألبايتو » أو « خدا بنده » . ولم يكتب هذا العاقل بإظهار رضائه التام عن الخطة التي وضعت للكتاب ، والطريقة التي نفذت بها ، حتى أصدر إليه الأمر بمراجعته المراجعة الأخيرة ، بل طالب إليه أيضا أن يكتب عرضا عاما كاملا بقدر الإمكان لتاريخ جميع الشعوب التي عرفها المغول ، ويضيف إليه وصفا مفصلا لكل شعوب الأرض ، وأن يلحق هذين العاملين بكتاب تاريخ المغول ليكونا تكملة له ، وليتيحوا في نفس الوقت لجميع طبقات القراء فرصة الاطلاع على معلومات متنوعة ومثينة في آن واحد . وقبل رشيد الدين أيضا أن يقوم بهذا العمل الضخم الذي قد يخيف أعظم الكتاب كذا ومثابرة . ولم تمض سنوات حتى كان قد انتهى من مهمته ، لأننا نعرف أن الكتاب كله كان قد تم في سنة ٧١٠/١٣١٠-١٣١١ ، تحريرا ونسخا وتجايدا ، وأودع مكتبة المسجد الذي كان رشيد الدين قد بناه في مدينة تبريز . ولكننا من جهة أخرى ، نعلم من مؤلف كتاب « تاريخ ووصاف »^(٢)

(١) تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٣ ظهر .

(٢) المخطوطة ، ورقة ٢٧٤ ظهر .

أن مؤلفنا قد واصل عمله حتى سنة ٧١٢/١٣١٢-١٣١٣ . غير أنه من المحتمل ألا يكون هذا الخبر يعنى غير الجزء الخاص بتاريخ ألاجيتو أو خدا بنده . ويبدو من رواية لحيدر الرازى ^(١) أن تاريخ الهند الذى يكون جزءا من هذا التاريخ الضخم قد تم تأليفه فى سنة ٧٠٣/١٣٠٣-١٣٠٤ ، أى فى نفس السنة التى كلفه فيها العاهل الجديد بهذا النوع من البحث . وسمى الكتاب بأكمله « جامع التواريخ » . وكان المجلد الأول منه الذى يمكن اعتباره عملا منفصلا ، قد سمي « تاريخ غازانى » باسم السلطان الذى ألف تحت رعايته وأهدى إليه . قد عبر رشيد الدين عن عمله فقال مامعناه ^(٢) : أستطيع أن أشهد لنفسى بأنى لم أدخر أى احتياط أو جهد فى تحرى الحقيقة والامتناع عن كتابة كل ما هو زائف أو مشكوك فيه . وقد اقتبست ، دون أى تغيير ما انطوت عليه أصدق الوثائق الخاصة بكل شعب ، والروايات التى حازت أحسن التقدير ، والمعلومات التى استقيتها من أعلم الرجال فى كل قطر . وفتشت كتب المؤرخين ورجال الأنساب . وحققت هجاء اسم كل أمة وكل قبيلة . ثم رتب المواد التى جمعتها على نظام منهجى لم يتبعه أحد قبلى ، ومن شأنه أن ييسر تناوله على جميع قرائه .

وليس لى أن أذكر شيئا أكثر من ذلك عن مؤلف رشيد الدين

(١) مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٦٨٢ ظهر .

(٢) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ورقة ١٣٥ وجه ، ٢٠٤ ظهر .

التاريخي ، إذ أن مقدمة المؤلف نفسها تعرض خطة الكتاب وطريقته والدوافع التي أدت إلى تأليفه ، وسنثبت فيما يلي محتواها :

كتاب جامع التواريخ يشتمل على أربعة مجلدات : المجلد الأول التي تسمى بتاريخ غازان تشتمل ^(١) على قواعد وديباجة وفصول في شرح أحوال بدايات ظهور الأقوام الأتراك ، وتعداد قبائهم ، وذكر الملوك والخواتين والأمراء المعبرين من كل قوم منهم ، ماضين أو باقين ، وشرح أمكنة كل طائفة منهم ، وذكر تواريخ أجداد چنگيز خان ، وذكر تواريخه ، وذكر أولاده وأحفاده المستولين على أكثر الأقاليم إلى تاريخ دولة سلطان الإسلام ألبايتو خلد الله ملكه (وسيأتي ذلك في المجلد الثاني) ، وذكر خواتين كل منهم وذكر أولادهم وشعب أنسابهم ؛ وذكر تواريخ الخلفاء والملوك والباطنيين والأتابكة الذين كانوا في عصرهم ؛ وذكر الحوادث والنوادر الواقعة في عهد كل منهم ، وذكر الأخلاق الحميدة والشيم المرضية المنسوبة إلى كل منهم .

المجلد الثانية تشتمل على ديباجة وشرح تاريخ سلطان الإسلام ألبايتو ، خلد الله ذكره ، من لدن ولادته إلى يومنا هذا ، على وجه يلحق بذلك الكتاب تاريخ دور سلطنته المخلدة يوما فيوما ، وذكر مجمل تواريخ الأنبياء والخلفاء والباطنيين وملوك العالم من ظهور آدم عليه السلام إلى الآن ؛ ومفصل تواريخ أقوام الأقاليم التي لم تكن نسختها إلى الآن في هذه الولايات ، وإنما

(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ .

تقلناها نحن من كتبهم ؛ وذكر تواريخ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ،
وذكر تواريخ السلاطين الماضية والملوك المعبرين من تلك الممالك ، وذكر
تاريخ الملاحدة ، إلى غير ذلك من الفوائد .

المجلد الثالث تشتمل على دياجة ، وتفصيل شعب الأنبياء والملوك والخلفاء
والقبائل والأقوام والصحابة من لدن عهد آدم إلى آخر خلفاء بني العباس ؛
وأنساب أجداد چنگيز خان وقبائلهم ؛ وأوضاع طبقات القياصرة وغيرهم من
ملوك النصارى وأسمائهم ومدة ملكهم بموجب ماورد في كتب أولئك الأقوام
وتواريخهم على وضع غريب وترتيب قريب اخترعه المصنف المذكور غفر
الله له وأعز أنصاره .

المجلد الرابع تشتمل على دياجة ، وتفصيل حدود الأقاليم السبعة وولايات
ممالك العالم وكيفية أوضاع معظم البلاد ومواقع كل منها من البحار والبطاح
والأودية الواطئة والجبال الشاهقة المشهورة الواقعة في الأقاليم والممالك والولايات ،
باعتبار أطوال البلاد وعروضها الموضوعة في الكتب ؛ وبعد تحقيقها واستعلامها
من أرباب الخبرة وأصحاب العيان ، بحيث لا يكون بين ماوضعناه وبين ما هو
في الواقع تفاوت . وقد ذكرنا أيضا فيه منازل البريد (اليامات) وتصوير كل
منها ، على ضوابط اخترعها المصنف ضاعف الله اقتداره .

اتبعت هنا ترتيب الكتاب على النحو الذي ذكره رشيد الدين نفسه .

ومع ذلك ؛ فإننى أعترف بأنه لا يذ كر فى المقدمة التى فى أول تاريخه وفى عدة فقرات أخرى من الكتاب إلا ثلاث مجلدات ، لأنه هنا يجمع فى مجلدة واحدة كل ما فى المجلدتين الثانية والثالثة ، ولكن لما كان حجم هذه المجلدة مسرفا فى الضخامة ، ولا يتناسب مع حجم المجلدتين الآخرين ، فقد استحسن أن يقسمها إلى مجلدين متساويين الحجم تقريبا . وهذا التقسيم هو الذى اعتمده حينما أصبح ثبت كتبه كاملا .

لست فى حاجة إلى إطالة الكلام لإثبات مالكتاب رشيد الدين من أهمية ، فإن هذا الكتاب الفائق الذى ألف فى خير الظروف ملائمة ، واعتمد على وسائل لم تتوفر لأى كاتب آخر ، يقدم إلى شعوب آسيا للمرة الأولى منهاجا كاملا للتاريخ والجغرافية العالميين . فحتى هذه الفترة التى تتكلم عنها لم يكن هذان العلمان قد وصلا إلى درجة التقدم التى كانت تنتظر لهما . وذلك لأن العرب والفرس كانوا قد تعودوا على نسبة كل شىء إلى أنفسهم ، والانسياق وراء عواطفهم الوطنية المتطرفة ، واحتقار المتعصبين منهم لكل ما لم يكن إسلاميا ، ولذلك لم يظهروا عناية تذكر بالشعوب الأجنبية ولم يروا أنهم يستحقون بضع صفحات من كتب التاريخ إلا بكل مشقة . وإذا اتفق لأحد مؤرخيهم أن يذ كر بعض التفاصيل عن الهند والصين والترك وبعض الأمم الأوربية إظهارا لسعة علمه ، فإنه كان يستقى أخباره من أرداد المصادر ، ولا يعتمد

إلا على روايات زائفة وحكايات شعبية ، فيصبح تاريخه نسجا من الأساطير وضروب التناقض والأخطاء الزمنية الصارخة . ولم تكن المؤلفات الخاصة بالجغرافية أحسن حالا من تلك ، إذ لا يكاد المؤلف الجغرافى يتجاوز حدود بلاد العرب وفارس وبعض الاقاليم المجاورة ، حتى يدخل فى ميدان الأساطير . فهناك الكثير من الملاحظات غير الدقيقة والظواهر الغريبة التى لا يقبلها عقل وتُملا كتب الجغرافية الفلكية ، ويتناقضها مؤلفون من ذوى المكانة السامية والعقل الراجح ، ومن ثم كان من شأنها أن تشيع أشنع الأخطاء مع إلbasها لباس الحقائق ، بل مما يلفت النظر ، أن معرفة الناس بآسيا العليا فى القرن الثامن الهجرى كانت أقل منها فى القرن الرابع ، وفى هذه الفترة ظهر كاتب غربى اسمه المسعودى ، وكان ذا عقل راجح ومعارف عميقة ، فجال بلاد الشرق كلها تقريبا ، واستطاع أن يضمن كتابه معلومات صادقة وقيمة فى آن واحد عن الجغرافية والتاريخ ، والتاريخ الطبيعى بجميع فروعه .

ولكن بالرغم من أن هذا الكاتب القدير قد جمع بين التوفيق فى تحرى الصدق وموهبة الملاحظة ، وبالرغم من حرصه الشديد على تفنيد الأقوال الزائفة التى أتى بها سابقوه ، فإن كتاباته لم يكن له الأثر ولا السلطان اللذين تستحقهما . فقد استمر الناس من بعده يتداولون نفس الأخطاء التى أظهر لهم شناعة العقلية . ولا ينبغى أن ندهش لذلك ، إذا عرفنا أن خيال الشرقيين الوثاب

كان في كل العصور يركن إلى الغرائب الزائفة البراقة أكثر مما يركن إلى الحقيقة العارية (١).

نستطيع بعد هذه الملاحظات التي أوردناها حول حالة الجغرافية والتاريخ في عصر رشيد الدين ، أن نفهم دون مشقة مقدار الخدمات التي أداها هذا المؤلف لمعاصريه ، حين قدم لهم تلك اللوحة الضخمة المشتملة على التاريخ الصحيح والوصف الصادق لجميع البلاد المعروفة حتى ذلك الحين. فهذا المؤلف يجمع بين سعة المعارف التي لاحد لها ، وحاسة النقد المستنيرة : ويستعيز عن الأخبار الأسطورية التي كانت ثمرة الجهل والسذاجة بأخبار أصلية صادقة ، ولذلك يجب أن يحرص على قراءته بشغف كل أولئك الذين يرغبون في تحصيل المعارف الحققة ، ويفضلون ذهب الحقيقة على بريق الغرائب والأخطاء .

وإذا كان في وسع العرب والفرس والمغول أن يجدوا في مؤلف رشيد الدين منبعاً فياضاً لأقوم الوثائق ، فإننا أيضاً نستطيع أن نعترف منه طائفة كبيرة من المعلومات التي لا نجد لها في سواه . ففيه مواضع عديدة تستطيع أن تلقى الكثير من الضوء على تاريخ بعض البلاد الشرقية التي لا تزال معرفتنا بها على جانب كبير من النقص . ومن أمثلة ذلك تاريخ الأمم التركية المفصل ، ولا سيما تاريخ « الإيغوريين » الذي استمدته رشيد الدين من سجلات هذه الأمم

(١) الإسراف هنا واضح ، حسبنا أنه ذكر المسعودي ليقول من المغالاة في حكمه . ونحن نذكر مع المسعودي كتاباً من أمثال ابن حوقل والمقدسي والبيروني واليهقي . ثم رحلة من أمثال ناصر خسرو وابن بطوطة وابن جبير . هذا فضلاً عن المؤرخين من العرب والفرس . « الحشاب » .

نفسها ، تلك السجلات التي يحيل عليها في كثير من المواضع . ولكن لعل أهم ما في الكتاب هو الجزء الرابع الذي يدور كله حول المسائل الجغرافية ، والذي يكفل لنا أن نحدد أفكارنا حول عدد لا يحصى من النقاط الغامضة . وهو يوضح لنا كثيرا من الصعوبات التي لا تزال حتى الآن وستظل زمنا طويلا من المشاكل المستعصية الحل ؛ وذلك لأنه من الملاحظ أن الأقاليم التي كان في طوق رشيد الدين أن يستقى عنها أصدق المعلومات ، هي بالذات تلك الأقاليم التي لا نكاد نعرف عنها شيئا على الإطلاق . وأعني بهذه الأقاليم الرقعة الشاسعة من الأرضين التي تبدأ من بحر الخزر ممتدة حتى الأطراف الشرقية لفارس ؛ وتشمل كل وسط آسيا حتى حدود الصين .

فكل هذه البلاد كانت في ذلك الحين تكون جزءا من إمبراطورية السلاطين المغول ، تحتلها حامياتهم ، ويحكمها ، ولاتهم ويجوبونها من جميع جهاتها رجال البريد الذين يحملون أوامرهم بصفة دائمة ؛ فلم يعدم مؤلفنا أن يجد الوسيلة لوصفها أدق وصف وأصدق . وقد ضمن وصفه الكثير من الملاحظات القيمة حول مواقع المدن ، وطبيعة الجو ، وغلات الأرض ، وعادات السكان الذين يقطنون هذا الجزء من الأرض الذي لم يترك بابا أحد السائحين . فكم من فائدة جلية يمكننا ، مثلا ، أن نجنيها من معرفة أما كن محطات البريد التي كانت منتشرة في الإمبراطورية المغولية وتتابع على مسافات متساوية من بغداد حتى خان باليغ التي تدعى اليوم «بكنيك» ! إذ أصبح من الممكن أن

(٧ - جامع التواريخ)

يقدم لنا وصفه لهذا الطريق - عن كيفية الوصول إلى داخل آسيا - معلومات كاملة تفوق في ثقتها كل ما نستطيع الحصول عليه في كتب التاريخ والجغرافيا؛ ولذلك لأجدني أخرج عن القول بأنه ربما كان بخسارتنا من فقدان كتاب رشيد الدين تفوق خسارتنا من فقدان أى كتاب غيره من الكتب الشرقية التي لم تصل إلينا .

كثيرا ما نرى المؤرخين الفرس يرجعون إلى مؤلفنا ، تحت اسم « جامع التواريخ » ^(١) أو « جامع أعظم » ^(٢) أحيانا ، أو تحت اسم « جامع رشيدى » ^(٣) أو « جامع التواريخ رشيدى » ^(٤) أحيانا أخرى .

قد يتساءل المرء كيف تأتى لرشيد الدين أن ينتهى فى بضع سنين من مثل هذا المؤلف الذى يبدو أنه كان جديرا باستغراق حياة أعظم الكتاب جدا ونشاطا . والواقع أنه قد توفرت لمؤلفنا ، كما رأينا ، مساعدات لم تكن لتتوفر لأى شخص غيره ، فضلا عن سعة المعارف التي كان يتحلى بها ، بادية ذى بدء ، واستطاعته الكتابة بسهولة قل أن يدانيه فيها أحد . فقد رأينا أن القصر كان يضم علماء من كل إقليم ، وأن كلا منهم قد كتب موجزا لتاريخ

(١) خوندميز ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٤ وجه ، حيدر الوازى (المخطوطة الفارسية بمكتبة برلين الملكية) ورقة ٥٨٩ ظهر ، ٥٩٧ ظهر ،

(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٢ وجه .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٣ وجه ، و ٥٢ وجه ، ٥٣ ظهر وغيرها ، حيدر الرازى ، ورقة ٥٨٥ ظهر ، ٥٨٨ ظهر ، ٦٨٣ وجه ، وغيرها .

(٤) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٧ ظهر .

وطنه ؛ ولذلك كان عمل رشيد الدين ينحصر ، بالنسبة لبعض أجزاء هذا الكتاب ، في أن يتناول بالترتيب والإيجاز والتحرير تلك المذكرات العديدة التي وجدها تحت يده ، والتي كانت ثمرة لجهود جحقل من الباحثين .

ولكن قد يقول قائل : هل رجع رشيد الدين حقا إلى الوثائق التاريخية لتلك الشعوب الأجنبية ؟ ثم ألا يمكن أن يكون كل ما ذكره في مقدمته عن هذا الموضوع مجرد افتراء من محتال حاذق ، لم يقيم إلا بجمع سيئ لبعض المعلومات التي أوردها سابقوه في مؤلفاتهم ، وأراد أن يستغل حسن نية قرائه ، فادعى لهم أنه جاءهم بمعلومات جديدة كل الجدة استقاها من مصادر غير معروفة ؟ وليس عندي إلا جواب واحد على هذا الاعتراض : يذكر كاتب معاصر لرشيد الدين ^(١) أن هذا (رشيد الدين) لما أراد أن يكتب تاريخا لخطاي ، استقدم عالين صينيين ، كانا في حاشية ألبايتو ، أحدهما يسمى « ليتنجي » والآخر « مكسوام » . وكانا كلاهما على علم بالطب والفلك والتاريخ ، وقد أحضرا معهما عدة كتب تبحث في هذه العلوم المختلفة . وقد أكد الوزير أن هناك كتابا ، من بين جميع الكتب التي تعالج تاريخ خطاي ، يتمتع بشهرة كبيرة ويعرف بالصدق التام ، وأن هذا الكتاب الذي يضم أسماء الملوك وحياتهم بأوسع تفصيل قد قام بتأليفه بالاشتراك فيما بينهم ثلاثة علماء ممتازون من اللامات المتخصصين : الأول يسمى (قوهين) من

(٤) عبد الله البيضاوي ، النص الفارسي ، ص ٣ - ٥ .

Historia Chataica (تاريخ خطاي)

مدينة « تاي جان جيو » والثاني (فنچو) من مدينة « كن جيو » والثالث .
(شيخون) من مدينة « لاؤوكين » ؛ وأخبراه بأن هذا الكتاب المستق من
المصادر التاريخية القديمة قد قام بمراجعته وتنقيحه جميع علماء المملكة بكل
عناية ، وقرروا بالإجماع أنه يطابق الوثائق الأصلية كل المطابقة ولا يضم شيئاً
مشكوكاً في صحته . وبعد أن قام أحد الأدباء بمراجعته مرة أخرى ، قرر أنه
جدير بالطباعة على الطريقة المعروفة في البلد . وإذا كان هذا هو الكتاب
الذي استرشد به رشيد الدين في تحريره لتاريخ الصين ، فإننا نشعر تماماً بأنه
لم يكن في طوقه أن يرجع إلى خير منه .

وإذا كان قد بذل كل تلك العناية من أجل جزء من أجزاء كتابه ،
فقد حق عاينا الاعتقاد بأنه بالنسبة للأجزاء الأخرى لم يدخر أى وسع في
سبيل الحصول على خير المواد .

هذا إلى أن لدينا الآن الجزء الأول من كتاب رشيد الدين ، وهو الجزء
الخاص بتاريخ المغول ، ونستطيع أن نشهد له بأنه كتاب ممتاز حقق فيه
مؤلفه كل ما وعد به ، وبأنه الكتاب الوحيد الذي نستطيع العثور فيه على
أصدق المعلومات عن حياة جنسكزخان وخلفائه وعن عهودهم .

ولكن يخطر لنا هنا سؤال يجب حله ، وهو : هل الأجزاء الثلاثة
الأخرى التي تكمل تاريخ رشيد الدين قد ضاعت دون أمل في العثور عليها ،
أم يصح أن نأمل في العثور عليها بإحدى مكاتب الشرق ؟ الواقع أننا

لا نستطيع إصدار جواب نهائى على هذا السؤال ، ولكن قد لانكون
مخطئين إذا ملنا إلى الاعتقاد بأن البحث الذى يمكن بذله فى هذا الصدد قد
لا يكمل بأى نجاح ، وأن هذه المجلدات الثلاث لم يبق لها وجود منذ
زمن طويل .

لم أكد أجد بين المؤرخين الشرقيين الذين كتبوا بعد رشيد الدين
والذين رجعت إليهم من يشير إلى أى من المجلدات الثلاث الأخيرة لكتاب
« جامع التواريخ » . وإذا كان حاجى خليفة قد ذكر عن هذا الكتاب
ملاحظة سطحية بعض الشئ فى كتابه عن المؤلفات العربية والتركية والفارسية ،
فيبدو أنه لم يرمه إلا الجزء الخاص بتاريخ المغول على أحسن تقدير . إذ لو
أنه عرف الأجزاء الأخرى ، ولا سيما الجزء الرابع ، لحرص على الاستفادة
منها فى كتابه الجغرافى المعروف باسم « جهان نما » : ولكنه لم يذكرها فى
هذا الكتاب مرة واحدة . كما أن « أبو الهادى بهادر » الذى اعتمد على
كتاب رشيد الدين كل الاعتماد ^(١) وأخذ عنه بوجه خاص كل ما يتعلق
بالقبائل التركية والمغولية المختلفة ، لا يذكر كلمة واحدة غير موجودة فى المجلد
الذى بين أيدينا .

ولست أتكلم هنا عن مؤلفى العرب ، وإن لم يكن من الممكن
الاحتجاج بجهلهم باللغة الفارسية ، إذ أن كتاب رشيد الدين ، كما سنرى فيما

(١) Histoire généalogique des Tatars ص ٣ - ٥ .

بعد ، كان قد كتب بالفارسية والعربية في آن واحد . ولكن مما لا يمكن تعليقه ألا يرد أى ذكر للأجزاء الأخيرة من جامع التواريخ في أى كتاب من كتب الفرس الذين لا توجد بالنسبة إليهم حتى هذه العلة . فميرخوند وخوندمير اللذان يكثران من النقل عن هذا الكتاب في كل ما يذكرا به عن المغول ، لم تكن لتفوتهما الاستفادة من الأجزاء الأخرى ، لو كانت بين أيديهما حقيقة . وأنا أعرف جيدا أن ميرخوند قد نقل فقرات برمتها عن رشيد الدين دون أن يتنازل بذكر اسمه مرة واحدة ، ولكن خوندمير الذى كثيرا ما ينقل عن مؤلفنا فى كتابه المسمى « حبيب السير » ، ولا يهمل مطلقا إرجاع تلك الاقتباسات إلى المصدر المنقولة عنه ، لم يكن ليقتصر على الاستفادة منه بالنسبة لما يتعلق بالمغول فقط ، بل كان لابد له أن يذكر اسم رشيد الدين فى مواضع أخرى من كتابه ، ولا سيما فى الأوصاف الجغرافية الملحقة به ، ولكننا لا نجد له أثرا فى تلك المواضع . ويتكلم ابن مسعود^(١) عن كتاب رشيد الدين ، فيقرر أنه المصدر الحقيقى الذى يمكن للمؤرخ أن يستمد منه المعلومات الدقيقة حول فروع أسرة چنگيزخان المختلفة ، ولكنه لا يذكر اسمه فى الأجزاء الأخرى من تاريخه مرة واحدة ، مما يدل على أنه لم يكن يعرف شيئا عن الأجزاء الثلاثة الأخيرة من « جامع التواريخ » . وأخيرا لما أمر رخ شاه بن تيمورلنك بإكمال تاريخ رشيد الدين^(٢) ، قام كاتب مجهول بكتابة

(١) تعليقات على المخطوطات ومختارات منها Notices et extraits des Manuscrits ، مجلد ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٢) المخطوطة العربية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٥٨ ظهر .

ملحق له لازال تحت أيدينا ، ويتضمن حياة السلطانين أجايتو وأبى سعيد .
فلو كان كتاب مؤلفنا موجودا بكماله فى هذا العهد ، لكان من العبث كتابة
تاريخ حياة أجايتو ، إذ أن رشيد الدين كان قد كتب هذا التاريخ يوما بيوم
وبكل تفصيل ، وضمنه المجلد الثانى من كتابه ؛ ولما كان قد عاش بعد هذا
السلطان زمنا ما ، فقد كان لديه من الوقت ما يسمح له بتنقيح هذا الجزء من
كتابه تنقيحا نهائيا .

ولكن فى أى فترة اختفت الأجزاء الأخيرة من جامع التواريخ ؟ لقد
ذكرنا فيما سبق أنه لما مات رشيد الدين ، أسلمت إلى النهب والسلب الضاحية
التي كان قد أمر ببنائها فى مدينة تبريز وأطلق عليها اسمه ، ونحن نعلم أن نسخ
هذا الكتاب الأصلية كانت مودعة فى مدرسة هذه الضاحية . فمن الممكن
إذن أن تكون تلك المخطوطات قد هلكت فى هذه المناسبة ، إما بسبب
إمعان أعدائه فى الانتقام منه ، وإما بسبب الفوضى التي تصحب أعمال السلب
عادة . ومن جهة أخرى كان هذا المؤرخ ، كما سنرى فيما بعد ، قد أوقف مبلغا
ضخما من أجل إخراج نسخة من مؤلفاته كل عام ، ولما كان الأعيان العقارية
التي حبس رشيد الدين دخلها على الإنفاق على المدرسة قد ضمت إلى أملاك
السلطان ، فقد كف عن تنفيذ إرادة الواقف ، وتعذر نسخ الكتب ؛ هذا
إلى أن أبى سعيد الذى خلف أجايتو لم يكن مولعا بالآداب ولع أبيه وعمه بها .
كما أن الإمبراطورية المغولية فى فارس قد مزقتها الحروب الداخلية بعد موت

أبى سعيد ، وجرت إليها الخراب . ولم تكن هذه الظروف مواتية للاتجاه إلى إجراء بحوث في التاريخ والجغرافية . وأخيراً نحن نعلم أن رشيد الدين ، بالرغم من فضائله وخدماته ، قد مات ضحية لحقد أعدائه الذين لم يقنعوا باستصدار الحكم عليه بالموت ، بل دأبوا على وصمه بأحط الاتهامات التي تسيء إلى سمعته لدى رعايا الإمبراطورية جميعاً ، ولا سيما المسلمين منهم . وبالرغم من أن أسف العاهل فيما بعد كان كافياً لإظهار براءة الوزير ، فإن الأفكار السيئة التي وقرت في أذهان الناس عنه ، كانت قد اتخذت لها جذوراً عميقة يصعب انتزاعها . فقد وقعت الواقعة ، وأصبح الناس ينظرون إلى رشيد الدين نظرتهم إلى المجرمين ، لأنه نكب ؛ وفي هذه الحال يمكننا أن نحس بأن كتب رشيد الدين قد شملتها اللعنة التي حلت بمؤلفها ، وأن الريب الذي أحاط بها ، لم يلبث أن سبب ضياعها التام .

لا شك أن هذه كلها حجج وجيهة ، ومع ذلك فمن الممكن معارضتها بحجج أخرى لا تقل عنها وجهاهة وتحملنا على الاعتقاد بأن النكبة التاريخية التي تركها مؤلفنا لم تفقد إلى الأبد . فإن هذا الكاتب ، كما سنرى فيما بعد ، كان قد أوصى في وثيقة صريحة بأن تنسخ في كل عام نسخ من كتبه التاريخية والدينية ، وحبس على هذا الأمر حبوساً ضخمة حرم استخدامها لغير هذا الوجه . ونحن نعلم أن رشيد الدين قد عاش بعد هذه الوقفة ثمانى سنوات ، وأنه كان يشغل في هذه الفترة المنصب الأول في الإمبراطورية ، ويمكننا أن

نتأكد من أن أو أمره كانت طوال تلك الفترة تنفذ بكل دقة ، وإذن فلا بد أن يكون قد وجد في وقت موته نسخ عديدة صحيحة من تاريخه ، فضلا عن النسخ الأخرى التي لابد أن يكون بعض الخواص قد قاموا بها ، إما رغبة في العلم وإما تقربا إلى الوزير . ومن جهة أخرى ، نعرف أن غياث الدين قد شغل المنصب الرفيع الذي شغله أبوه من قبل ، ولا شك في أنه لم يهمل تنفيذ الرغبات التي أظهرها ذلك الرجل الجليل ، وهي نشر المعرفة بمؤلفاته الأدبية التي تعتبر شرفا كبيرا للأسرة . ولذا لا يعتبر صمت الكتاب الذين تقدم ذكرهم دليلا قاطعا ، والواقع أن حاجي خليفة حينما أراد أن يقوم بتأليف كتابه عن الكتب التاريخية لم يستطع أن يطلع إلا على الكتب التي وجدها في القسطنطينية في ذلك الحين .

في الوقت الذي كتب فيه مؤلفنا كتابه كان الخلاف المرير والحرب العوان يسودان بين سلاطين مصر المماليك والأمراء المغوليين في فارس ، وإذا لم تكن هذه الحال قد أدت إلى انقطاع الاتصال انقطاعا تاما بين هذه الأقاليم من جهة ، وبين مصر والشام من جهة أخرى ، فإنها على الأقل أدت إلى إضعافه وندرته طوال هذه الفترة وبعدها بزمان طويل . ومن ثم يمكننا أن ندرك بسهولة أن يكون إرسال المخطوطات المخصصة للمكاتب العامة في إمبراطورية المماليك قد توقف أو أجل لأمد طويل في هذه الفترة .

وإذا كان ميرخوند وخوندمير وصاحب ذيل تاريخ رشيد الدين الذي

كتب كتابه في مدينة هراة ، لم يطلعوا على الأجزاء الأخيرة من جامع التواريخ فليس معنى ذلك ، فيما أعتقد ، أن هذه الكتب لم تكن موجودة في تلك العاصمة ، إذ ربما كان لدى هؤلاء المؤرخين وثائق أخرى ، فلم يهتموا كثيرا باستخراج بعض الكتب المدفونة في تراب إحدى المدارس أو أحد المساجد ، وقد لا نجد عسرا في الاعتقاد بأنه إذا كان سلاطين خوارزم الذين كان حظهم من التعليم قليلا على وجه العموم ، قد أودعوا مكاتبهم العامة تاريخ المغول الذي يعتبر وثيقة وطنية بالنسبة إليهم ، فإنهم أهملوا أن يضيفوا إليه بقية مجلدات الكتاب ، لأنها لا تمت إلى تاريخ المغول بصلة قريبة . والواقع أن المؤرخ الفارسي حيدر الرازي الذي كتب في القرن السابع عشر قد ذكر أكثر من مرة كتاب « جامع التواريخ » بصدد حوادث بعيدة عن المغول ^(١) ، مما يدل على أنه كان تحت يده بضع مجلدات من الكتاب المذكور . وفي النهاية نجد لدينا دليلا قاطعا في هذا الصدد ، إذ أنه يوجد في حوزتنا كتاب محرر بالفارسية لمؤلف مجهول يحتوي على تاريخ عام يبدأ من فجر الخليقة وينتهي بالنبي محمد ^(٢) . ويخبرنا مؤلفه الذي كتبه سنة ٨٥٨ من الهجرة في عهد شاه رخ ^(٣) بأن هذا السلطان كان قد طلب منه كتابة تاريخ عام للأنبياء والملوك والسلاطين ومختلف الشعوب منذ خلق آدم حتى الفترة التي يعيش

(١) مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٦٨٢ ظهر ، ٦٨٥ ظهر .

(٢) مخطوطة فارسية بمكتبة الأرسينال ، رقم ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٣ وجه .

فيها^(١) . ولما كان حريصا على إطاعة أمر السلطان ، فقد أقبل على الاقتباس من الكتب التاريخية التي حازت أسمى تقدير ، فيقول^(٢) : « وبناء على ذلك أصدر إلى مولاي المعظم أمره بأن أكمل كتاب رشيد الدين الذي ضاع أوله . فتقدمت إلى الأمير وعرضت عليه بكل تواضع أن يشمل النصف الأول من كتابي الفترة التي تبدأ منذ خلق العالم وتنتهي ببداية الرسالة الحمديّة . وقد اعتمدت في كتابة هذا الكتاب على القراءة العميقة لكتاب رشيد الدين وكتاب الكامل للطبري وبعض الكتب التاريخية الأخرى ، ولذلك يستحسن فصل هذا الجزء الأول منه ووضعه في مجموعة كتب الأمير . وقد أجاب السلطان مقترحي . ولذا فقد نسخ الجزء الأول الذي يشمل ربع الكتاب وأودع فوراً مكتبة السلطان » .

فترى من هذه القصة أنه كان يوجد في منتصف القرن التاسع الهجري نسخة كاملة من مؤلفات رشيد الدين التاريخية في مكتبة هراة عاصمة إمبراطورية ابن تيمور ، وأن الجزء الأول من هذا الكتاب قد اختفى عرضاً ، ولكن يبدو أن يكون هذا الفقدان حديثاً ، إذ أن المؤلف سابق الذكر استطاع أن يقرأه ويقتبس خلاصته . غير أنه يبدو من الغريب ، على أية حال ، أن يكون كتاب بلغ هذه الدرجة من المكانة والكمال وكلف مؤلفه جهوداً ووقتاً ومالاً لا يحصى ، قد ظل طوال خمسة قرون مغموراً بين مؤلفات لا قيمة

(١) المرجع السابق ، ورقة ٤ وجه ٥ ظهر .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٥ ظهر .

لها ، منبوذا في زوايا نسيان لا يستحقه طوال هذه القرون ، دون أن يلفت نظر العلماء الذين يهمهم إلى أقصى حد الاستفادة من هذا الكنز الفريد . ويا حبذا لو قام سائح مثقف بجوب بلاد الفرس ، وإجراء بحوث جدية بغية العثور على مجموعة المجلدات التي تكون مؤلفات رشيد الدين التاربخية .

وقد وجدت بين المخطوطات التي أحضرها الماجور مالكولم من فارس -وقدمها إلى كلية فورت وليام^(١) كتابا عنوانه « جامع التواريخ قديم » . فهل هذا الكتاب جزء من مؤلف رشيد الدين ؟ هذا ما لم أستطع التحقق منه .

وقد علمت أنه يوجد بين مخطوطات المغفور له المستر رتش التي اشتريتها الحكومة البريطانية وأودعتها المتحف البريطاني ، نسخة من تاريخ المغول في مجلد ضخيم يبدو أنه يحتوي ، إلى جانب هذا الكتاب ، جزءا لا بأس به من تاريخ رشيد الدين العام !

وإذا كنا نعرف حتى الآن أن الجزء الأول وحده هو الذي نجا من الضياع ، فإنه لا ينبغي لنا أن ندهش من ذلك ، فإن هذا المجلد يحتوي على أنساب جميع الأمراء المغوليين وتاريخهم ، ومن ثم يمكننا أن ندرك ، بسهولة ، أن يكون السلطانان ألاجيتو وأبو سعيد قد عملا كل ما في وسعهما على الاحتفاظ

(١) A Descriptive Catalogue of the Oriental Library of the Tipu Sultan Mysore, by Ch. Stuart . ص ١٨٥ .

به ونشره ، باعتباره الوثيقة الصحيحة التي تستطيع أن تنقل إلى الخلف أعمال البطولة التي قام بها أسلافهما . وأغلب الظن أن رجال الحاشية الذين لا يدخرون وسعا في عمل كل ما يرضى السلطان ، كانوا يتسابقون في إظهار إعجابهم بكتاب جديد جدير بأن يخلد مجد الوطن ؛ وكان هذا يدفعهم ، في أغلب الظن ، إلى التنافس في نسخه ، مما عمل على نشر نسخه في حياة رشيد الدين نفسه ، ولذا بقي ذلك الجزء حتى يومنا هذا ، بل وانتقل إلى أوروبا .

ولكنني أستطيع التأكيد بأن لدينا ، إلى جانب تاريخ المغول ، موجزا ، على الأقل ، مما كتبه رشيد الدين عن الصين وجعله قطعة من المجلد الثاني لكتاب جامع التواريخ . فهناك كتاب صغير كتب بالفارسية ونشره أندريه ملر André Müller - بعنوان Historica Chataïca (تاريخ خطاي) - ويقرر المترجم أن هذا التاريخ يكون الجزء الثامن من الموجز التاريخي المسمى « نظام التواريخ » الذي ألفه عبد الله البيضاوي^(١) . ولكن هذا القول لا أساس له من الصحة مطلقا ، وقد وقع فيه ملر بسبب تسليمه ، دون تمحيص ، يقول قاله ناسخ النسخة . فالواقع أن « تاريخ خطاي » ألف في سنة ١٣١٧/٧١٧ - ١٨^(٢) ، ولما كان البيضاوي قد مات في سنة ١٢٨٦/٦٨٥ - ١٢٨٧ أو في سنة ١٢٩٢/٦٩٢ - ٩٣^(٣) في قول آخر ، فإنه لا يمكن نسبة

(٢) André Müller, Commentatio alphabetica ص ٢ -

(١) تاريخ الخطا ، النص الفارسي ، ص ٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٣ -

(٢) حبيب السير ، مجلد ٢ ، ورقة ٤٣ وجه -

هذا الكتاب إليه بأية حال . ومن جهة أخرى نرى أن المؤرخ الذى ندين له بهذا التاريخ ، والذى كتبه بعد موت رشيد الدين بسنة واحدة ، يشير إلى أن رشيد الدين هو المؤلف الوحيد الذى آتى بتفاصيل صحيحة عن تاريخ الصين . فمن الواضح إذن أن هذا الكاتب قد أخذ عنه كل ما أودعه فى كتابه ، هذا إلى أننا نستطيع أن نعرف مقدار ما أخذه عن رشيد الدين .

هناك على رأس تاريخ الصين قطعة فيها وصف لخطاى والأقاليم المجاورة لها وسنترجمها فيما يلى ^(١) :

« تتكون خطاى من عدة ممالك كبيرة تختلف أسماؤها باختلاف اللغات . فالإقليم الذى كان دائماً مقرا للملوك اسمه باللغة الصينية « جانجتشوخون قوى » ^(٢) ويعرفه المغوليون باسم « جاوقوت » والهنود باسم « تشين » ونحن نطلق عليه اسم « الخطا » . وفى شرق هذا الإقليم ، إلى الجنوب قليلا ، توجد مملكة أخرى يسميها أهل البلاد « منزى » ، والمغول « منكياس » ^(٣) والهنود

(١) تاريخ الخطا ، ص ٨ - ١١

(٢) لم أتردد فى أن أقرأ « تشون قوى » بدلا من « خون قوى » كما فى النص المطبوع . والواقع أنى أعتقد أننا هنا أمام الاسم « تشون كوى » ، (أى مملكة الوسط) ، الذى لا يزال الصينيون يطلقونه على بلادهم حتى يومنا هذا . وعكستنا أن نقرأ العبارة كلها على هذا النحو « جانزى وتشون قوى » . وتستعمل كلمة « جانزى » اسما لإقليم « شان سى » .

(٣) كثيرا ما يرد الاسم الذى يطلقه المغول على الصين الجنوبية فى تاريخ رشيد الدين . (ورقة ١٨ ، ٨٦ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥) . ولكنه يرد دون نقط الإعجام دائما ، ولذلك كان من العسير معرفة هجائه =

« ماهاجين » ، أى تشين الكبرى ، وغيرهم يسميها « متشين » (ماچين) .
وتبلغ هذه المملكة عشرة أمثال مملكة چين . ويروى الوزير رشيد الدين
عن « بولاد تشنج سانج » أن مملكة ماچين تدفع للسلطان خراجا سنويا
قدره تسعمائة طومان « تسعة آلاف ألف درهم » . وتسمى عاصمتها خنساى ^(١) .

== الحقيق . ويقرأ فى فقرة من تاريخ ميرخوند (ج ٤ ورقة ٤٩) « تنكياش » ولكننا
نجد الشرح الحقيق فى نزهة القلوب (مخطوطة فارسية رقم ١٣٩ ص ٧٩٠) ففيها تقرأ
هذه الكلمات : بلاد المنشين تسمى لدى المغول « تنكياش » . والواقع أننا نقرأ فى
الخطاب الذى أرسله السلطان « ألبايتو » إلى الملك فيلب لى بل Philippe Le Bel
هذه العبارة : تنكياسون غسار Nangkiassun ghesar (أى بلاد الصين)
وانظر شمدت : Philologisch - kritische Zugabe , Schmidt ، ص ١٥ .
وأخيراً نجد كلمة تنكياش Nangkyad تستعمل فى كتاب Geschichte
der Öst - Mongolen ، ص ٢١٠ للدلالة على الصينيين .

(١) أعتقد أنه يستحسن أن نورد فيما يلى وصف المؤرخين والجغرافيين الشرقيين لتلك
المدينة . فى تاريخ وصاف (ورقة ١٧ وجه ، وورقة ١٨ طهر) : خزاى حاضرة
بلاد الصين : تبدو كأنها جنة عرضها السموات ، وتمتد طولا حتى يبلغ محيطها أربعة
وعشرين فرسخا ، وسطحها مرصوف بالآجر والأحجار ، وبها منازل وعمائر مشيدة
بالخشب ومزخرفة بالتصاوير الجميلة من كل نوع . وقد أقيم بين طرفى المدينة ثلاث يامات ؛
ويقال إن أعظم شوارعها يبلغ طوله ثلاثة فراسخ ، ويحتوى على أربعة وستين مبنى
متشاكاة الهندسة ومقامة على عمد متساوية . ويبلغ حاصل ضريبة الملح فيها سبعمائة بالمش
چاو « عملة من الورق » فى اليوم الواحد . وفيها عدد ضخم من الأشخاص الذين
يتمارسون الحرف ، فقد عد منهم اثنان وثلاثون ألفا ممن يشتغلون بالصباغة ، ويمكننا أن
نقيس على ذلك أهل الصناعات الأخرى . وهناك سبعمائة ألف جندي ، ومثلهم من السكان
المسجلين فى مكاتب التعداد وسجلات الديوان . وتضم المدينة ، فضلا عن ذلك ، سبعمائة
معبد تشبه الحصون ، ويقيم فى كل منها عدد من رجال الدين الذين لا إيمان لهم ، والرهبان
الذين لا دين لهم ، وكذلك عدد جم من العمال والحراس والحدم وعباد الأوثان الذين
تصحبهم أسرهم وأتباعهم .

وكل هؤلاء الناس لا يدخلون فى التعداد ولا يخضعون لجباية المكوس والضرائب . وهناك
أربعون ألفا من الجنود مخصصون لحراسة المدينة والمراقبة . ولا تكاد الشمس تخفى وجهها ==

== خلف مدينة القيروان في المغرب ، ويستر الليل رأسه بقناع بلون السناج ، ويبدأ الأشرار ، ويجهز اللصوص حبالهم المعقوفة ، حتى يتخذ الجند أماكنهم على مداخل المنازل في الأحياء المختلفة ، وفي منافذ الطرق والأسواق والميادين ، ويعارسون الحراسة الشديدة ولا يسمحون لأنفسهم بأن تغمض جفونهم السوداء لحظة واحدة . ويرى في داخل المدينة ثلثمائة وستون جسرا مقامة على القنوات التي لا تقل اتساعا عن نهر دجلة ، وتخرج من بحر الصين . وهناك ، من أجل راحة السكان العديدين ، سفن وزوارق من كل نوع تسير فوق الماء ، ولا يمكن للخيال أن يحيط بها ، بله العدد . ومن اليسير أن يتخيل المرء ذلك العدد الضخم من الغريباء الذين يفدون يوميا على هذه المملكة ، سواء أكان ذلك للتجارة أم لأمر آخر .

ويقول مؤلف نزهة القلوب (مخطوطة فارسية رقم ١٣٩ ، ص ٧٩٠) : « خنساي عاصمة بلاد الصين ؟ وإن صح مايقوله بعض الرحالة ، فإنه لا يوجد في العالم كله مدينة أعظم منها ، ولكن الجميع يتفقون على أنها أكبر مدن الأقطار الشرقية . وفي داخلها بحيرة يبلغ محيطها ستة فراسخ ، وتحيط بها المنازل من كل جانب . وجوه هذه المدينة حار ، وتنحصر حاصلاتها الرئيسية في الأرز وقصب السكر . أما البلح فيها ، فن القلو والندرة . بحيث يساوى المن منه ضعفه من السكر . وأما الحيوانات التي تستعمل في الغذاء عادة ، فهي السمك والبقر ؛ ولحم الضأن فيها نادر غالي الثمن . وسكانها من الكثرة بحيث يبلغ عدد الحراس والخبراء فيها بضعة آلاف ، وقد يصل إلى عشرة آلاف . ومعظم هؤلاء السكان من الوثنيين ، لكن المسلمين أقوى منهم وإن كانوا أقل عددا . »

ويقول صاحب مسالك الأبصار (مخطوطة عربية رقم ٥٨٣ ، ورقة ٤٥ وجه) (مامعناه) : « يوصل بين خان بالق وخنساي طريقان : أحدهما بالبر والثاني بالبحر . ويقطع كل من الطريقين في أربعين يوما . وتمتد مدينة خنساي طولا مسيرة يوم واحد بأسره ، وعرضا مسيرة نصف يوم . ويشققها في وسطها شارع يصل بين طرفيها . وشوارعها وميادينها مرصوفة كلها ، وتتكون منازلها من خمسة طوابق ، وهي مشيدة من ألواح الخشب التي تثبت فيما بينها بالمسامير . ويشرب أهلها مياه الآبار ، ويعيشون بتقشف بالغ . وتتكون غذاؤهم الرئيسي من لحم الجاموس والإوز والدجاج ، ويضيفون إليه الأرز والموز وقصب السكر والليمون وقليل من الرمان . وطقس هذه المدينة شديد الشبه بطقس مصر من حيث الحرارة ورطوبة الهواء . والسلع فيها متوسطة الثمن . ويحمل إليها الضأن والقمح ، ولكن بكميات صغيرة ؛ والخيل فيها نادرة ، ولا ترى إلا لدى الكبراء والرؤساء . وليس فيها جمال قط ، وإذا اتفق أن ظهر فيها جمل ، أصبح موضع الإعجاب العام . » ويمكننا أن نجد الكثير من وجوه الشبه بين هذا الكلام وبين ما رواه عنها « ماركو پولو » ، في (Ramusio Navigazioni et viaggi) مجلد ٢ ، ورقة ٤٥ وما يليها .

ويبلغ قطر سورها أحد عشر فرسخاً^(١). وفي المدينة ثلاث يامات^(٢). ومنازلها تتكون من ثلاث طبقات. وفي خنساي ثلاثة مساجد كبيرة، من الدرجة الأولى، تمتلئ يوم الجمعة بالمسلمين. ويبلغ عدد السكان فيها حداً يجعلهم لا يعرفون بعضهم بعضاً. وفي جنوب غربي «خطاي» توجد مملكة يسميها الصينيون «داي ليو»، والمغوليون «قارا جنج»^(٣)، «والهنود» قندهر؛ ونسميها نحن «قندهار».

= ويتكلم أودريك Oderic عن هذه المدينة التي يسميها كساي Casay (مخطوطة فرنسية رقم ٧٥٠٠ ج، التاريخ العجيب لحان التتار الأعظم، Histoire merveilleuse du grand chan de Tartary ورقة ٦١ وجه ٦٢، ظهر)، فيقول إن في هذه المدينة أربعة طومانات من المسلمين، أي أربعين ألفاً. ويذكر نفس المرجع أن شخصاً من سكان هذه المدينة اعتنق المسيحية على يد الإخوان الصغار Frères Mineurs. ويمكننا أيضاً في هذا الصدد أن نرى الكتاب الذي عنوانه De l'Etat et du gouvernement du grand Caan de Cathay (نفس المرجع ورقة ٨١ ظهر).

(١) في النص المطبوع: «كه قطره آن يعني ياور نياورده فرسنگست». وقد شعر أندريه ملر، بوجود خطأ فيه، وترجمه: Metropolis pecem parasangis patet. ويمكننا افتراض أن الكاتب قد كتب: «كه قطر آن يعني بارو يازده فرسنگست». وهذا هو المعنى الذي اعتمدت عليه في ترجمتي. ومع ذلك فإنني أعترف بأن في عبارة: «قطر آن يعني بارو» بعض الصعوبات، ويمكننا أيضاً أن نقراً: «كه بحيرة آن يعني ناور پهنا ورده فرسنگست» أي «التي عرض بحيرتها عشرة فراسخ».

(٢) لم أتردد في أن أقرأ «يام» بدلا من «يام» التي في النص المطبوع.

(٣) في رحلة ماركو بولو ap. Ramusio, Navigazioni، مجلد ٢ ورقة ٣٥ (ظهر ووجه)، يذكر إقليم يسمى «كارا كات» أو «كاراجات» (انظر De regionibus orientalibus، ص ٩٧، ٩٩، ١٠٠)، ويقول إن عاصمته تسمى ياتشي Iaci. وكان هذا الإقليم خاضعا لسلطان مغول الصين ويحكمه كنيتمور ابن =

ويقع هذا الإقليم بين الهند والتبت ؛ وينقسم إلى قسمين ، أحدهما سكانه من ذوى البشرة السوداء والآخر سكانه من ذوى البشرة البيضاء . وهذا القسم الأخير يسمى بالمغولية تشاجان چنج (چنج = أبيض) . ونجد في شمال الخطاى شعوبا بدوية يسميها الصينيون خيدان (خيتان) ويطلق عليها المغوليون اسم «قاراخاتاي» ، والإقليم الذى يسكنونه يتاخم صحارى المغولستان . وقد حدث فى الزمان الغابر أن رفع أحد هؤلاء البدو ، واسمه خاوولتش آيا ، علم الثورة ، واستولى على الخطاى ، وخلع على نفسه لقب « ملك » ؛ وتوارثت ذريته العرش من بعده ، وظلوا سنين عديدة يحتلون الخطاى . وهناك ، بالقرب من هذا الشعب ، شعب آخر يسميه الصينيون « نوتشى » ، ولكن المغول وغيرهم من الأمم يسمونه « تشورتشه » . وقد حدث ذات مرة أن قام فرد من هذه الأمة اسمه « نياقوداي » ، ولقبه « داي كيم » ، بثورة مسلحة وانتزع العرش من الملوك المنحدرين

= هذا السلطان . ونحن نعرف من رشيد الدين (مخطوطة فارسية رقم ٦٨١ ورقة ٦٤٤ ظهر ووجه) أن قوبيلاي كان قدولى أحد أبنائه ، ويسمى هوقاجى ، حكم إقليم « قرهچنج » ، ولما مات هذا الأخير تولى مكانه ابنه إسنتيمور . كما أن اسم ياتشى laci الذى يطلقه السائح البندقى على عاصمة هذا الإقليم يقابل بالضبط اسم « ياتشى » الذى نجده فى نص رشيد الدين . أما الإقليم الذى يطلق عليه ماركو بولو (Ramusio ، مجلد ٢ ، ورقة ٣٥ وجه) اسم « كارازان Carazan » ، فأعتقد أنه هو نفسه الذى يطلق عليه فى نص المؤرخ الفارسى اسم « تشنك جانك » . ويرد فى ميرخوند (الجزء الخامس ، ورقة ٤٩) ذكر إقليم يسمى « قراتشانك » ، وتقرأ فى الكتاب المغولى المسمى « بوديمير » أن خوبيلان خات أخضع ولاية « چانگ » (بلاس Pallas ، Sammlungen ، Historischer Nachrichten ، مجلد ١ ، ص ١٩) .

من « قره خطاي »^(١). ويعرف هذا الرجل لدى المغول باسم « أكوده » ، وهو نفسه « ألكان خان » الذي كان على العرش في عهد چنگيزخان ، وقد قضت عليه جيوش « أقطاي » . وتوجد بين « الخطاي » وإقليم قراجنك عدة أقاليم أخرى يحكم كلا منها ملك . ويلاحظ أن سكان أحد هذه الأقاليم من عاداتهم « أن يغطوا أسنانهم بغطاء من الذهب ، ويخلعون أثاء الأكل » . هذا هو ما يقصده المؤلف المجهول .

والآن يجدر بنا أن نورد الفقرات المقابلة منقولة عن تاريخ رشيد الدين . فيقول هذا المؤلف : « إن بلاد الخطاي تعرف لدى المغول باسم عام ، هو : « جاوقوت »^(٢) .

(١) دأبت على كتابة « ختاي » أو « خطاي » بالفتح مسيرة للاستعمال الجارى ، وإن كان من الأكيد أنه بالكسر ، إذ أن هذا الاسم مشتق من اسم الشعوب المسماة بشعوب « الختين » بكسر الخاء . والواقع أنها تكتب هكذا في الترجمة الإيفتائية لتذكرة الأولياء (ورقة ٢٢٩ وجه) . ونجد هذه الكلمة بالكسر أيضا في رحلة الأستاذ « بيرنس Burnes » : « رحلة إلى بخارى Travels into Bochara ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٨ » . ويرد في « رسائل من سيبيريا » Sibirische Briefe « للاكسمان Laxmann » (نشر شلوزر Schloszer ، ص ٤٧) ذكر لسيج قطنى وارد من الصين ، ولهذا السبب يسمى « كيتيكا Kitaica » ، وانظر أيضا برجات ، Nomadische Streifereien unter den Kalmuken ، Bergmann ، مجلد ١ ، ص ٧٥ .

(٢) يرد اسم « جاوقوت » عدة مرات في تاريخ رشيد الدين (ورقة ١٠٧ ، ١٢٢ ظهر ، ٢٤١) . ونراه في مكان آخر يطلقه بمعنى أوسع مما هو عليه هنا : فيشمل الختا والتانقوت وبلاد الجورجة والسنقا . فنقرأ في رشيد الدين (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ، ورقة ٢٧٧ ظهر) أن منكو Mangou أرسل أخاه قويلاى لتوسيع حدود الإمبراطورية المغولية نحو الشرق ؛ وجعل من نصيبه ممالك الخطا ، وچيت وماجين ، وقره جانك ، وتنگوت ، والتبت ، وچورچه ، وسولنقا ، وكولى . ويذكر المؤلف نفسه أن هناك ، غير بعيد من سواحل چورچه وكولى ، جزيرة عظيمة تسمى =

« چنكو » (يجب أن تقرأ تشينكوه ، أى اليابان) ، ويبلغ محيطها حوالى ٤٠٠ فرسخ (المرجع السابق ، ورقة ٢٥٨ وجه) . وأخيراً نجد فى وصف الولايات الاثنتى عشرة التى تكون جملة ما تحت يد قويلاي ، هذه التفاصيل : « تتكون الثالثة من إقليم لولى أو كولى ، وهى مملكة قاعة بذاتها ، وقد تزوج عاهلها الذى يحمل لقب « وانك » بإحدى بنات الإمبراطور (نفس المرجع ، ورقة ٢٥٨ ظهر) . ومن اليسير أن نعرف أن هذا الإقليم هو الذى نطلق عليه الآن اسم « كوريا » ، والذى يطلق عليه الصينيون حتى يومنا هذا اسم (كاوى Kao - li) (وصف الصين ، مجلد ٤ ص ٤٢٣ ، ٤٣١) . ولذلك لم أتردد فى أن أقرأ فى الفقرات السابقة « كولى » بدلا من « لولى » الموجودة فى النص . ويجدر بى فى هذه المناسبة أن ألفت النظر إلى ماورد فى فقرة لما ركوبولو (Ramusio ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٠ ظهر) من أنه قد ضمت إلى إمبراطورية قويلاي بعد هزيمة نان Nalan أربعة أقاليم ، حيث يذكر النص الإيطالى لفظة « كارلى Carli » ، وهذه لاشك غلطة من الناسخ . وأعتقد أنه يجب قراءتها Cauli كما فى الترجمة اللاتينية : De regionebus aruntalibus ص ٦٣ ، وفى رحلات ماركوبولو Voyages de Marc Paul ، ط برجران Bergeron ص ٦٢) ، إذ لاشك أنه يعنى « كوريا » .

أما الإقليم المسمى « سولنكا » ، أو على الأصح « سولانكا » ، فإن سكانه قد خضعوا لمنكو طوعاً ، ثم لم يلبسوا أن انتفضوا عليه ؛ ولكن لما جلس « قويلاي » على العرش ، كفوا عن القتال واعترفوا به إمبراطوراً عليهم (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ، ورقة ٢٥٥ ظهر) .

وحينما قسم هذا الإمبراطور ولاياته إلى اثنتى عشرة حكومة ، جعل الثانية منها تشمل إقليمى جورجى وسولانكا . وكانت عاصمة هذا الإقليم الأخير مدينة « مونتشو » التى كانت مقر الإدارة وفيها يقيم علاء الدين بن خسام الدين المالكى وحسن دوجاق باعتبارهما حاكمين . (المرجع السابق ، ورقة ٢٥٨ ظهر) . ومن الواضح أن سكان « سولانكا » هم الذين يطلق عليهم روبروكى Rubruquis اسم « لانج وسالانج Langes et Salanges » ، ويروى عنهم بعض التفاصيل الغربية . (رحلة فى بلاد التتار ، ص ٥٨) . فهذا المبشر يجعل بلادهم تقع فيما وراء التبت . ويذكر جان دي بلن كاريان Jean du Plan - Carpin ، (رحلة فى بلاد التتار Voyage en Tartarie ، ورقة ١٣ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٥٧ ، ٦٨) ، أن بلاد المغول تحد من الشرق بخطاى Cathay وسولانج Solanges . فإذا دققنا النظر فى تشابه الأسماء ، استطعنا أن نرجح أن إقليم سولانكا هو نفس الإقليم الذى تسكنه الشعوب المسماة الآن « بالسولون Solon » ، التى تقيم فى شرق منغوليا بجوار موطن المنشو القديم .

وإقليم الخطاي الذي يعرف في الصينية باسم « خانزي » ^(١) يحد من جهة بقطر « ماجين » الذي يسميه الصينيون « مانزي » ^(٢) ، والذي يفصل بينه وبين « الخطاي » نهر « قره موران » ، ومن جهة أخرى يتاخم إقليم « الخطاي » قطر ^(٣)

(١) أرجح أنه يجب علينا هنا أن نقرأ « جانزي » بدلا من « خانزي » ، وأن يكون هذا الإقليم هو نفس الإقليم الصيني تشان سي Chan si ، كما أثرت من قبل .
(٢) الإقليم الذي يسمى هنا « مانزي » هو نفس الإقليم الذي يسميه ماركو بولو (رحلة في الشرق ، ص ٨٥ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٨ وغيرها) ، وأودريك Oderic (تاريخ عجيب لحان التبار الأعظم ، مخطوطة رقم ١٥٢٩ ، ورقة ٦٠ وجه) بإقليم « مانجي Mangi » . ومن العجيب أن العالم مورهايم Morheim قد خلط بينه وبين بلاد المنجوق (Historica ecclesiastica Tartarorum ، ص ١٠٠) .
ويذكر رشيد الدين أن أعظم أنهار هذا الإقليم يسمى « خونجور » (المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٢٤٢) . وهو نفس النهر الذي يسميه تاريخ الصين (مجلد ٩ ، ص ٢٧٦) « هواي هو » . والواقع أن هناك نهرا بهذا الاسم يصب في « هوانج هو » ، ولكن لا بد أن يكون الناسخ قد أخطأ هنا أو أن يكون مؤلفنا قد سها ، فأطلق على أحدهما الأنهار اسمها . يطلق على نهر آخر . فمن الواضح أن المؤلف لم يرد هنا أن يذكر نهر « هواي هو » ، وهو من أنهار الدرجة الثانية ، بل النهر الكبير الذي يسميه ماركو بولو « كويان فو Quianfu » (الرحلات ، ص ٨٩) ، أو « كويان » (نفس المرجع ، ص ١١٣) ، والذي يطلق عليه اليوم اسم « كنانج كيو » . ويوجد اسم جين وماجين cim e Macim للدلالة على الصين في كتاب « رحلة في بلاد الفرس » لجوزافات بربارو Josaphat Barbaro ، (ورقة ٤٢ ظهر ، ٤٣ ظهر) .

(٣) نجد لدى المؤرخ المذكور أحيانا « خورجة » وأحيانا « جورجه » (ص ٤٧) ، وقد ظن أندريه ملرأن القراءة الأولى هي الصحيحة ، وتبعه في ذلك المرحوم لانجليس Lanjles ، (أبجدية منشو ، الطبعة الثالثة ، ص ١٧) . أما أنا فأخالفهما في الرأي وأرجح كتابتها « جورجه » أو « جورجه » ، وذلك أولا لأنها توجد على هذا النحو مرارا عديدة في مخطوطة رشيد الدين ، وإن كان ذلك لا يعتبر دليلا قاطعا ، إذ يجوز أن يكون الناسخ قد أخطأ فوضع النقط تحت الحروف بدلا من أن يضعها فوقها ، ولا سيما أن الحرف غير الصحيح (خ) يرد مرتين في النسخة (ورقة ٢٢ و ٦٠) ، كما أننا نعتز عليها في مكان آخر مرسومة « جورجب » (ورقة ٧٨ ظهر) . ولكنها تكتب فيما عدا ذلك « جورجه » هكذا بالرسم الصحيح (الورقات ٣٦ ، ٤١ ، ١٢٢ ، ١٥٠ ظهر)

چورچه، وصحارى « قره خطاي » التى تسكنها شعوب بدوية . و « چورچه » هو الاسم المستعمل لدى المغول ، لأن الصينيين يطلقون على سكان هذا القطر اسم « نوچى » . وتعرف شعوب « قره خطاي » بلغة الخطاي نفسها باسم « خدان »

= ١٨١ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ظهر ووجه ، ٢٧٧ ظهر) . وانظر أيضا حيدر الرازى (مخطوطة برلين ، ورقة ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ظهر) . وهذا إلى أن كلمة « چورچه » ترد في المفردات الفارسية الصينية التى بعث بها الأب أميو Amyot ، وهى تقابل اسم نيوتشه Niu-tchés ، ولا يدع رسمها بالحروف الصينية أى مجال للشك فى الصورة التى يجب أن تنطق بها . ويعضد رأى أيضا فى هذا الصدد ما ذكره ماركوپولو ، إذ أنه يعد إقليم « چورچه » بين الأقاليم الأربعة التى كان يتكون منها نصيب « نيان » (Ap. Ramusio مجلد ٢ ، ورقة ٢٠ وجه) . وفى مكان آخر يذكر أن التتار ، (أى المغول) ، يقطنون شمالى إقليمى « چورچه » و « بركوسى » (نفس المرجع ، ورقة ١٣ وجه) . وأخيرا نجد كلمة « جورجيد » تستعمل فى كتاب تاريخ المغول مرارا كثيرة للدلالة على « النيوچه » Niutchés ، Gesch. der öst-Mongolem ص ٤٧ ، ٨٦ ، ٢٠٠) . وفى ترجمة تاريخ أبى الغازى (Histoire des Tartares ص ٤٠ ، ٤١ ، ١٢٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦) يرد ذكر مدينة اسمها دسورد سوت Dsurdsut تقع على حدود الخطا ، وتسمى بالفارسية والهندية « زينو » . ويحار الناشر فى تحديد مكان هذه المدينة ، ولكن مما لا شك فيه أن النص فى كل هذه الفقرات محرف تحريفا شديدا : أولا ، لأن اسم « دسودسوت » يجب أن يكتب « چورچه » ويدل به على إقليم « النيوچه » لاعلى مدينة . وثانيا ، لأن كلمة « زينو » يجب أن تصحح إلى تشين بمعنى « الخطا » ، وحينئذ يصبح النص سهل الفهم ويتفق تمام الاتفاق مع ماورد فى رشيد الدين . وفى مكان آخر ، (ص ٣٨٢) ، تقرأ أن قويلای سلاك طريق « زينومازين Zinumazin » ؛ ومن الواضح أنه يجب أن يرسم بدل ذلك چين وما چين ، وأن تترجم العبارة : « قويلای اتجه نحو تشين وما تشين ، أو چين وما چين » . أى نحو الصين الجنوبية (المرجع السابق) . أما مدينة زينو المزعومة التى حاصرها هذا الأمير فإنها لا وجود لها إلا فى هذا النص المحرف ، ومن الواضح أنه يجب علينا أن نضع عاصمة إقليم « چين » بدلا من « زينو » .

(١) (ختان) ^(١). وتسمى الصين الجنوبية في لغة الهنود باسم «ماهاچين» ^(٢) ،
 أى چين الكبرى أو الصين ، ومن هنا جاءت كلمة «ماچين» . والمغوليون
 يطلقون على هذا الإقليم اسم «ننچياس» ^(٣) ، ويفصل بينه وبين إقليم «خطاي»
 نهر يسمى نهر «قره مران» الذى ينبع من التبت وكشمير ، وهو نهر لا يمكن
 عبوره قط دون سباحة . وعاصمة هذا القطر مدينة چنچ ساي (أوخنك ساي)
 التى تقع على مسيرة أربعين يوماً من خان باليق ^(٤) . والقطر المعروف ^(٥) فى
 لغة المغول باسم «قره چنگ» ^(٦) يسمى فى لغة «الخطاي» باسم «داي ليو» ،

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٨٦ ، ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٦١ ، ٨٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ورقة ٨٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ورقة ١٢٢ ، ٢٥٦ .

(٦) ماسبق أن قلته يؤدى إلى بطبيعة الحال إلى نفس فقرة أبى الغازى التى تترجم بهذه
 العبارات (نفس المرجع ص ٤١ - ٤٢) : « فتح أغوس خان امبراطورية الخطاي
 ومدينة «دسوردست» ومملكة تنجوت مع قره خطاي . وعاصمة قره خطاي مدينة
 كبيرة . وهذا الإقليم يسكنه قوم سود البشرة كالهنود ، ويعيشون بقرب بحيرة موهل
 Mohill بين الخطاي والهند متجهين نحو الجنوب » . فهذه السطور القلائل تنطوى على
 عدة أخطاء : فكيف استطاع المؤلف أن يقول بأن قره خطاي والهند متجهتين نحو
 الجنوب ؟ إن هذا القول يناقض ما ذكره خير الجغرافيين على خط مستقيم . ومن جهة
 أخرى ، ماهذه البحيرة المسماة «موهل» التى لا يرد لها ذكر فى أى مكان ؟ فهذه
 الأسباب تجعلنى أحكم بأن النص فاسد ، وينطوى على أخطاء عديدة ، بعضها يرجع إلى
 المؤلف نفسه وبعضها إلى المترجم . ولا شك عندى فى أن اسم «قره خطاي» قد كرر خطأ ،
 وأنه يجب أن نستعيز عنه باسم «قره چانگ» الذى يدل ، كما سبق أن رأينا ، على
 إقليم واقع بين الصين والهند ، وأن نقول «إقليم كبير» بدلا من «مدينة كبيرة» ، أما
 بحيرة «موهل المزعومة» فليست إلا المحيط (دنكيز محيط) ، كما هى فى النص الأصلى ،
 وأنه يجب ، فى نهاية الأمر ، كتابة الفقرة كلها على هذا النحو : «أخضع أغوز خان =

أى المملكة الكبيرة ، وفي لغة الهند وكشمير باسم « قندر » ، وله هذا المعنى أيضا . أما نحن فنطلق عليه اسم « قندهار » . وهذا القطر المترامى الأطراف يحد من

== الخطأ == وإقليم چورچه ، ومملكة تنگوت وقره خطاء ، وقره چانگ . وهذا الأخير إقليم كبير سكانه سود البشرة ، وهو يتاخم مغواستان ، ويمتد نحو الجنوب بين الخطا والهند . أما بالنسبة للكلمات « قوم سود البشرة كالهنود » فأظن أن هناك سقطا في النص أو في الترجمة . وذلك أنه لما كان أبو الغازي ينقل في هذا الموضع ، وغيره من المواضع ، عن رشيد الدين بالنص ، فلا بد أن يكون قد نص على الاسم الذي يعرف به الهنود إقليم « قره چانگ » ؛ وهذا الاسم هو ، كما سبق أن قلت ، « قندر » ، وهذا ما يؤكده لي أنه يجب أن يكون بعد الكلمات « قوم سود البشرة » هذا الشطر من الجملة : « والهنود يطلقون على هذا الإقليم اسم قندر ... الخ » . هذا ما رجحته ، ولكنني عرفت من فحص النص الأصلي أن الخطأ أو الحذف يرجع إلى أبي الغازي الذي أسرف في اختصار النص الذي أورده مؤرخنا . وقد بقي على الآن أن أقول كلمة عن الموقع الجغرافي للإقليم المذكور : من الواضح أنه لا يجوز أن نخدع بتشابه الاسمين « قندر » و « قندهار » ، كما أنه لا يجوز البحث هنا عن الولاية التي تسمى اليوم قندهار ، والواقع أن الإقليم الذي تبحث عنه يتطرق كثيرا نحو الشرق : ولكننا سنستطيع الاهتداء إلى مكانه بالاستعانة بملاحظة بسيطة . فقد رأينا أن مملكة « قره چانگ » كانت تسمى عند الصينيين « داي ليو » ، ونحن نقرأ في تاريخ « قوبيلاي » أنه كان ، قبل جلوسه على العرش ، قد شن الحرب في إقليم « تالي » (الأب جوبيل Goubil تاريخ چنگيزخان ، ص ١١٣ ، تاريخ الصين ، مجلد ٩ ص ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠) . ولا شك أن تشابه الاسمين « داي ليو » و « تالي » ، مضافا إلى وحدة الحملات الحربية التي يرويها الفرس والصينيون ، لا يسمح لنا بأن نتردد في القول بأن هذين الاسمين يدلان على إقليم واحد . هذا ونحن نعرف من الأب جوبيل أن اسم « مملكة تالي » يطلق على إقليم « يون - نان yun-nan » الذي كان يخضع في الفترة التي تكلم عنها أمير خاص ، مستقل عن إمبراطور الصين . ولكن تنج كيان كنج نو Tong - Kien - Kang - nou يضيق من مدى دلالة هذه التسمية بعض الشيء ، إذ يقرر مؤلف هذا الكتاب (تاريخ الصين ، مجلد ٩ ، ص ٢٥٧) ، أن إقليم « يون - نان » كان في ذلك الحين مقسما كله تقريبا بين أمراء جعلوا لأنفسهم فيه ممالك مستقلة عن الصين . وكانت « تالي » التي تقع في الجزء الغربي من هذا الإقليم عاصمة لإحدى هذه الممالك . وفي تاريخ أسرة تنج tong للأب جوبيل (مخطوطة ، ص ١٦٤) يرد ذكر جبل يسمى « تيان كنگ Tian kang » ، ويقع بالقرب من تالي فو ، كبرى مدن يون نان . وفي

جهة « بالتبت » و « طنجوت » ، ومن جهة أخرى بجزء من أقاليم الهندستان وجبالها ، ثم بالمغولستان والخطاي و قطر السكان ذوى الأسنان الذهبية .
ويحمل ملك « قره چنگك » لقب « ماه آرا » ، أى الأمير الكبير . وعاصمة هذا الإقليم اسمها « ياچى » ، وهى مقر الحكمة العليا . وبعض سكان هذه المملكة من ذوى البشرة السوداء ، وبعضهم من ذوى البشرة البيضاء كشعوب « خطاي » .

== سنة ٨٥٩ (المرجع السابق ، ص ٢٢١) لقب ملك نان تچاو Nan tchao « أيون - نان » نفسه بلقب امبراطور ، وسمى أسرته بأسرة « تالى » . وتقرأ فى موضع آخر (ص ٩٧) أن أمير منج چه Mong - Ché فى يون - نان جعل قصره فى مدينة تاي هو تشنج . Tay - ho - tching ، وأن آثار هذا القصر لا تزال باقية بالقرب من تالى فو ، وهى مدينة عظيمة فى يون نان ، وأن نهر سى أول Cy - eul يجرى فى إقليم تالى فو (المرجع السابق ١٠٩) ، وأنه يوجد فى هذا الإقليم نفسه مدينة تسمى تشاو - تشيو Tchao - tcheou (المرجع السابق نفسه) .

أما فيما يتعلق بإقليم كفه كوه الذى يتكلم عنه رشيد الدين ، فإننى أعتقد أن الاسم محرف بعض الشيء فى المخطوطة ، وأنه يجب قراءته « كنهجه كوه » ، أى « بلاد الكنهجة » . وقد يظن المرء أن هذه الكلمة ليست إلا رسماً فارسياً للعبارة الصينية « كين چى كوه » ، أى بلاد الأسنان الذهبية ، وأنها بذلك تعنى أيضاً الإقليم الذى يسمى عادة « زردندان » . ولكن هذا التفسير الذى يبدو طبيعياً لا يتفق وما يذكره مؤرخنا ؛ ولذا فإن الأقرب إلى الصواب أن يكون هذا الاسم يدل على الملكة التى يسميها المؤلفون الصينيون « كياوتچى » ، أى إقليمى « تنكين » و « كوشتشين » . (تاريخ الصين ، مجلد ١ ، ص ٦٢٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٤٢٠) . ويعضد هذا التفسير اتفاق الموقع الجغرافى ، فضلاً عن التشابه فى الاسم . وذلك أن المؤرخ الفارسى يخبرنا أن هذا الإقليم يقع بين البحر وحدود الهندستان وإقليم قره چانگك : وهذه الصفات كلها تنطبق على إقليم « تنكين » . هذا إلى أن التصحيح الذى أقترحه ، أى تغيير الاسم من « كفه كوه » إلى « كنهجه كوه » يجد فى أقوال ماركوبولو ما يبرره . إذ نراه يتكلم عن إقليم اسمه كنجيجو Cangigu (ورقة ٣٩ وجه ٤٠ ظهر) ويقع شرق البنغال ، ولا ريب أنه هو نفس الإقليم الذى تتكلم عنه . ولعل مدينة « لوجك » هى نفس مدينة « ليوجيو Liu-Tcheou » . أما المدينة المسماة « حسام » ، فأعتقد أنها جزيرة هينان Haynan .

ويقول رشيد الدين في مكان آخر ^(١) : كان ملوك قطر « ننجياس » في غاية القوة ، وكان لهم عرش « خطاي » فيما مضى ، ولكن انتزعه منهم رجل من قطر « جورج » بقوة السلاح .

وكذلك يذكر مؤلفنا القطر الذي يسكنه أناس يغطون أسنانهم بالذهب ، فيقول : يوجد في غرب دول « قويلاي » ^(٢) قطر يسمى « كفجه كوه » تغطيه غابات كثيفة . وهو يتاخم البحر ، ويحكمه ملك مستقل ، وفيه مدينتان ، إحداهما تسمى « لوجك » ، والأخرى تسمى « حسام » . وفي شمال غرب الصين توجد حدود التبت وقطر يسكنه قوم ذوو أسنان من الذهب . ويقول رشيد الدين ^(٣) أيضاً : وفي شمال غرب الصين توجد عدة أقطار يحكم كل منها ملك ، ويسمى باسم خاص . أهالي هذه الأقاليم يشبهون شعوب « خطاي » والهند في السحنة والعادات ، ولكننا نعثر فيها على بعض العادات الغربية . فسكان أحد هذه الأقطار مثلاً يغطون كلهم أسنانهم بأوراق من ذهب يرفعونها ساعة الأكل ، ثم يعيدون وضعها من جديد . هذا الإقليم يتاخم التبت من جهة ، وقره چنگ من الجهة الأخرى ^(٤) .

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ١٨١ ، ٢٥٤ .

(٢) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٢٥٩ .

(٣) نفس المخطوطة ، ورقة ١٢٢ ظهر .

(٤) تقرأ في رحلة ماركوبولو (Ramusio Delle Navigazioni مجلد ٢ ، ورقة ٣٦ ظهر) أنه يوجد على مسيرة خمسة أيام غربي إقليم « قره زان » إقليم آخر يسمى قره دندان تحت إمرة الخان الأعظم ، ومن عادة أهله أن يغطوا أسنانهم بصفائح من الذهب . وفي الترجمة اللاتينية لرحلة ماركوبولو De regionibus orientalibus =

= ص ٩٩ و ١٠١؛ وفي Voyages ، Bergeron ص ٩٧ ، ٩٨) يكتب اسم هذا الإقليم : Arcladan أو Ardnadam . ولكنى أعتقد أن في هذه الكلمة تحريفا صارخا ، وأن الصورة التي في النص الإيطالي أقرب كثيرا إلى الأصل ، وأن الأصح أن يقرأ الاسم « زر دندان » الذي معناه في الفارسية « ذوو الأسنان الذهبية » . وهذه الكلمة ، كما رأينا ، هي الاسم الذي يطلقه رشيد الدين على الإقليم الذي نحن بصدده ، وينطبق انطباقا تاما على اسم كن تشى Kin - tchi الذي يستعمله المؤلفون الصينيون ويدل على نفس المعنى . (وانظر تاريخ الصين ، مجلد ٩ ، ص ٤١٩ ، وهامش ديهوثرية Deshauterayes) . ولكننا نصطدم هنا بإحدى الصعوبات . فقد يتساءل بعض قرائنا قائلين : كيف تأتى لما ركوپولو الذي كان يعيش بين الصينيين والمغول أن يكتب اسما لا يرجع إلى إحدى هاتين اللغتين ، بل إلى اللغة الفارسية ؟ وأجيب على ذلك بأن الكثيرين من المسلمين كانوا قد استقروا في حاشية « قويلاي » ؛ ولا ريب في أنهم قد حملوا معهم الكثير من الكلمات الفارسية ، بل والعربية . ويمكننا أن ندلل على ذلك ببعض الأمثلة : يقول ماركوپولو (المرجع السابق ، ورقة ٣١ وجه) إنه كان لدى الفلكيين في مدينة كمبالو Cambalu (خان باليق) لوحات مربعة يسمونها تكوينى Tacuini ، ويسجلون عليها كل ما سيقع في أثناء العام . ومن الواضح أنه يجب أن نقرأ بدلا من كلمة « تكوينى » كلمة « تكويم Tacuim » ، وهي الكلمة العربية « تكويم » . ونقرأ في موضع آخر (نفس المرجع ، ورقة ٣٢ ظهر) أنه يوجد على مسافة قصيرة من مدينة « كمبالو » نهر يسمى پوليسنجان Pulisangan . فإذا صح تقديرى ، فإن هذه الكلمة مركبة من الكلمتين الفارسيتين « بول سنكان » أى « جسر سنجان » . ومما يعضد استنتاجى أن ماركوپولو يضيف بعد ذلك « أنه يوجد على هذا النهر جسر فخم مشيد بالحجر » : وأعتقد ، إذن ، أنه من الممكن أن يكون اسم هذا الجسر قد أطلق على النهر ، أو أن الرحالة البندقى هو الذى أطلق على النهر اسما يطلق على المكان الذى يعبر منه فحسب . هذا ونعرف من رشيد الدين (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ / ورقة ٢٧٠ ظهر) ، وحيدر الرازى (مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٦٢٥ ظهر) أنه كان يوجد في قصر « قويلاي » وزير يحمل لقب « السيد الأجل » ، وهما كلمتان عربيتان خالصتان . فهذه الدلائل تبرهن لنا بوضوح على أن قصر المغول بالصين كان يعج بالمسلمين الفارسيين . كما أنه كان هناك أجنبي من بلاد الغرب اسمه « أحمد » يتمتع بمحظوة كبيرة لدى « قويلاي » (تاريخ الصين ، مجلد ٩ ص ٣١٥ وما بعدها ص ٤١٢ ، ٤١٣) ؛ وانظر أخبار سنة ١٢٨٩ ، في (Histoire des Mangous ص ٢١٠) وأن هذا العاهل نفسه أنشأ في مدينة تاي تو Tai tou مدرسة امبراطورية لتعليم العلوم والفنون ، وجعل الإشراف عليها لا « هوى هو » Hoey - hou ، أى للمسلمين . =

يرينا فحص هذه الفقرات المختلفة بوضوح أن الكاتب المجهول استقى علمه من مؤلفات رشيد الدين ، وأنه أخذ عنه الأفكار والعبارات على السواء . وإذا كان قد أضاف بعض معلومات لم ترد في رشيد الدين ، فإنه لا ينبغي لنا أن ندهش لذلك ، لأن مؤرخ الصين كان أمانه كتاب « جامع التواريخ » بتمامه ، واستقى وصفه الجغرافى لها بطريقة مباشرة من جزئية الثالث والرابع . فنحن مثالا لا نجد وصف مدينة « خنساى » عاصمة الصين الجنوبية

ويقرر الأب جويل (المرجع سابق الذكر ص ٢٣٠) أن المسلمين كانوا دائما على أعظم جانب من القوة في قصر أمراء المغول ، وكان لهم كتائب وقواد من جنسهم ؛ كما كان منهم موظفون كبار في جميع القروع ، ولا سيما في الرياضيات ، وأساتذة عظام ، بل ووزراء . وفي سنة ١٣٠٩ حكم بالإعدام على أجني يسمى أو سلامه كان من كبار الموظفين في مدينة تاتو Tatou ومحبويا من الشعب ومبجلا من الجنود . (نفس المرجع ، ص ٢٧٢) . وبعد ذلك بسنتين أمر الامبراطور « جن تسنج Gin Tsong » بتوقيع أشد العقاب أو النفي على بعض الوزراء الذين استغلوا سلطتهم في عهد سلفه ، واختاسوا بعض الأموال . وكان بين المنفيين مسلم يسمى عمر ، ويحمل لقب أمير (نفس المرجع ، ص ٢٨٣) . وحوالى هذه الحقبة أيضا أصدر الامبراطور « جن تسنج » أمره باتخاذ مايجب لرفع شأن مدرسة الهوى هو (أى المسلمين) التي كانت قد هوت إلى الخضيض . (نفس المرجع ص ٢٤٥) . وكان له وزير مسلم اسمه « چاهان » ، من مواليد مدينة بلخ ، وكان من أعلم أهل زمانه . وقد كتب موجزا بالمغولية للجوليات الصينية ، وتاريخا للحرب التي قامت بين أوكتاي والكيينين (نفس المرجع ص ٢٤٩) . وفي سنة ١٣٢١ أمر الامبراطور « لينج تسنج » بهدم المسجد الذى كان للمسلمين في مدينة تشنج تو Chang - tou ، وحرّم عليهم أن يشتروا من المغول فتيافا وفتيات لإعطائهم أو يعيهم عبيدا للصينيين (نفس المرجع ، ص ٢٥٣) . وفي عهد فن تسنج كان هناك رجل مسلم اسمه شنس Chens ، أصله من خراسان ، وقد ذاع صيته من أجل معارفه الفذة ، وكتب كثيرا من الكتب في مواد مختلفة ، وعلى الخصوص في التاريخ والجغرافية (المرجع السابق ، ص ٢٧٦) . . وفي سنة ١٣٦٣ كان هناك شخص أجني اسمه عمر يعتبر من خير القواد الذين قادوا الجيش المغولى ، (المرجع نفسه ، ص ٣٠٧) .

في مخطوطتنا ، ولكننا نجد في « تاريخ وصاف » الذي لم يزد مؤلفه على أن نقل أخبار رشيد الدين ثم كساها أسلوبا طنانا رنانا . فإذا كان الأمر كذلك ، وإذا عرفنا أن رشيد الدين كان هو المؤرخ الفارسي الوحيد الذي أورد معلومات أصيلة عن تاريخ الصين ، اقتنعنا بأن تاريخ « خطاي » الذي نشر تحت اسم البيضاوي مأخوذ بالنص أو بالإيجاز عن الجزء الثاني من كتاب رشيد الدين .

ومن جهة أخرى نرى حيدر الرازي يورد في الجزء من تاريخه الخاص بالصين أن « فوهي » ابتكر آلة موسيقية بها خمسة وثمانون وتر من الحرير ، ثم يقول بالنص إنه « استقى هذا الخبر من جامع رشيدى »^(١) : وهذا الخبر نجده بنصه وحرفه في كتاب عبد الله بيضاوي المزعوم^(٢) . وليست القطعة التي خصصها حيدر الرازي^(٣) لتاريخ الصين إلا تكرارا موجزا للقطعة المنشورة باسم عبد الله بيضاوي . ويختتم المؤلف كلامه بقوله : « كل ما قرأه القارئ عن تاريخ ملوك خطاي استقيته من تاريخ غازان ، أو بعبارة أخرى ، جامع رشيدى الذي كتبه خوجه رشيد الطبيب . فلم أجد في سواه أى خبر مفصل حول هؤلاء الأمراء » . وقد يكون من الممكن أن نرجح أن تاريخ الصين هذا ليس إلا قطعة من جامع رشيد الدين . ولكن هناك بعض الصعوبات التي تمنعنا من الأخذ بهذا الرأي على علته . وأول هذه الصعوبات

(١) مخطوطة برلين ، ورقة ٥٨٥ ظهر .

(٢) Historica Sinensis ، النص الفارسي ، ، ص ١٥ .

(٣) مخطوطة برلين ، ورقة ٥٨٨ ظهر .

أنه من غير الطبيعي أن يكون المؤلف قد تكلم عن نفسه بهذه الصيغة :
« قال الوزير رشيد الدين » . وهو لو كان يعنى نفسه ، لكان من المحتمل أن
يستعمل عبارة تظهر تواضعه بالنسبة إلى عاهله . وتنحصر الصعوبة الثانية في أن
هذه القطعة التاريخية حررت في سنة ٧١٧/١٣١٧ - ١٨ ، كما يتبين من بعض
فقراتها ، أى قبل موت رشيد الدين بسنة واحدة : وفي هذه الفترة كان تاريخ
رشيد الدين قد انتهى منذ زمن طويل وأودع إحدى المؤسسات العامة ، ونحن
لا نعلم ، من أى مصدر كان ، أن المؤلف قد فكر في تنقيح الأجزاء المختلفة
التي تكون هذا الكتاب .

وأخيرا نجد أن تاريخ الصين يكون الجزء الثامن من المخطوطة التي
استخدمها أندريه ملر ، والتي تعزى إلى البيضاوى ، ويتبعه فيها جزء تاسع
عن تاريخ المغول . ومثل هذا التقسيم لا يمكن أن يوجد في كتاب رشيد
الدين ، إذا أننا نعرف أن تاريخ المغول يشغل منه المجلد الأول بأسره .

إلى من يصح لنا، إذن ، أن نعزو القطعة التاريخية التي نشرت باسم عبدالله
البيضاوى ؟ لعله ليس من المستحيل أن نحس بمؤلفها الحقيقي . فقد كان في
فارس ، في عهد السلطانين المغوليين ألبايتو وأبى سعيد ، كاتب شهير يسمى
فخر الدين أبا سليمان عبدالله ، ويلقب بـ « بالبناكتى » ^(١) ، لأنه ولد في
مدينة بناكت الواقعة في بلاد ما وراء النهر ثم أصبحت فيما بعد تسمى

(١) خوند ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٠ وجه ؛ دولت شاه ، المخطوطة الفارسية
رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٦ ظهر .

بالشاهرخيه^(١). وقد ألف هذا الكاتب موجزا جم الفائدة في التاريخ العام سماه « روضة أولى الألباب » ، ولكنه يعرف على وجه الخصوص باسم « تاريخ بناكتي ». وقد حاز هذا الكتاب شهرة واسعة لدى الفرس ، ودأب المؤرخون في العهود التالية على الرجوع إليه دائما واتخاذة دليلا لهم في أبحاثهم . وينص دولت شاه^(٢) على أن البناكتي كتب تاريخه في عهد أبي سعيد ، وأنه عرض في هذا الكتاب - بكل تطويل - أنساب ملوك « خطاي » وأمراء أقاليم الهند القصية وتاريخ اليهود وأباطرة الرومان . . . الخ . ويضيف إلى ذلك أنه لم يتأت لكاتب أن يعالج هذه المسائل المختلفة بمثل تلك الموهبة السامية . ويمكننا أن نعتقد بأن البناكتي قد وجد أمامه تاريخ رشيد الدين ، ولم يجد وسيلة لتكميل نتائج البحوث التي قام بها هذا الكاتب المجد أو تعديلها ، فرأى أن خير ما في وسعه أن يفعله هو أن يتبع عرضه اتباعا تاما ؛ واقتصر على أن ينقل إلى تاريخه تلك القطعة التي كتبها الوزير العالم كما هي ، أو عمل على اختصارها مع الاحتفاظ بأفكار صاحبها وعباراته . وفي هذه الحالة يحق لي أن أذهب إلى أن تاريخ عبد الله البيضاوي المزعوم ليس إلا جزءا من تاريخ البناكتي .

هذا ويمكن التحقق من هذه المسألة دون كبير عناء ، لأن نسخة كتاب البناكتي من بين مجموعة المخطوطات الشرقية التي جمعها المغفور له المستر رتش ،

(١) ظافر نامه ، ورقة ٣٧١ وجه ؛ وفيات بابر ، مخطوطة الأستاذ لروا الفارسية .

رقم ٤ ، ورقة ٢٨ وجه .

(٢) مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٦ ظهر .

واشتريتها منه الحكومة البريطانية^(١) ، ولكن هناك منذ الآن أمر لاقت للنظر يعضد حدسنا . ففي المخطوطة التي تكلمت عنها يكون تاريخ الصين القسم الثامن من الكتاب ، كما يكون تاريخ المغول القسم التاسع منه . وهذا التقسيم بالذات هو التقسيم الذى نعث عليه فى مخطوطة عبد الله البيضاوى لمزغومة .

ومما تجدر ملاحظته أن هذه القطعة التى تنطبق تماماً على حوليات الصين يجب اعتبارها فى غاية القيمة ، وهى وحدها تكفى لإعطائنا فكرة عن دقة المؤلف وصدقه .

طبق صيت « تاريخ المغول » بلاد الشرق فى كل العصور ، وقد وجدت اسمه فى مذكرة فارسية نشرها السيد سلفستر دى ساسى ، على أنه كتاب من أقوم الكتب التى يجب على كل من يريد الوصول إلى معرفة عميقة بالتاريخ أن يرجع إليها^(٢) . وقد قلت فى مكان آخر إن « ابن مسعود » يحيل على هذا الكتاب بصدد التفاصيل المتعلقة بفروع أسرة جنكيزخان المختلفة . كما أن ميرخوند وخوند مير يستغلانه إلى أقصى حد ، ولا يفتأ هذا الأخير يذكره مصحوباً بأجمل آيات الثناء . بل لقد رأيتنى ميالاً إلى أن أضيف إلى مؤلفنا

(١) Fund gruben des orientis مجلد ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٢) تعليقات على المخطوطات ومختارات منها ، مجلد ٤ ، ص ٣٩٧ .

فقرة طويلة لم يفكر أحد من قبل في إضافتها إليه . فقد نشر الأستاذ لنجائس Langlés في بحثه عن الأوراق النقدية لدى الشرقيين ^(١) قطعة مقتبسة من « حبيب السير » لخوندمير تبدأ هكذا : « در جامع التواريخ جلالی مسطورست » ولما كان خوندمير لا يفتأ يذكر « جامع التواريخ » لرشيد الدين ، وكانت أخبار الحادثة التي هو بصددتها مستقاة من هذا الكتاب حقيقة ، فقد ظننت في وقت من الأوقات أن كلمة « جلالی » ضرب من التصحيف وأنه يجب تعديلها إلى « چنان » وبالتالي ترجمة الجملة على هذا النحو : « يقرأ المرء هكذا في جامع التواريخ » . ولكن الحدس في هذه النقطة لا يمكن قبوله بأية حال ، إذ أن الكلمات التي نحن بصددتها معناها « جامع التواريخ » الذي ألفه جلال الدين . وهذا الكتاب الذي يجهل وجوده حاجي خليفة يذكر أكثر من مرة في « حبيب السير » وفي موجز تاريخ فارس الذي كتبه على شير بلهجة « چغتای التركية » ^(٢) . وأعتقد أن المؤلف هو جلال الدين هذا الذي يتكلم عنه خوندمير ويذكره باسم جلال الدين العربي ليميزه ، فيما أعتقد ، عن جلال الدين الرومي الشاعر المشهور ^(٣) .

(١) ص ١٧ - ٢٣ .

(٢) کلیات نوائی ، مجلد ٢ ، ورقة ٨١٩ ظهر و ٨٢٣ وجه . وتاريخ الفرس هو نفس التاريخ الذي ترجم إلى التركية الغربية ، وطبع في فينا .

(٣) تقرأ في فقرة من حبيب السير لخوندمير (مجلد ٣ ، ورقة ٣ ظهر) اسم : جمال الدين عرب . ولست أعرف ما إذا كان هو نفسه الذي يسمى في غير هذا المكان باسم جلال الدين عرب ، وأي الاسمين هو الصحيح في هذه الحالة ، أو ما إذا كان مؤلفا آخر يحمل نفس اللقب ، وهو ما أرجحه .

(٩ - جامع التواريخ)

أعتقد أن أى إنسان منصف يزن المعلومات التى ذكرتها حول الظروف التى أحاطت بتأليف تاريخ رشيد الدين حق وزنها ، لابد أن يقتنع بأن هذا الكتاب هو خير مرشد يستطيع أن يلجأ إليه كل من أراد التعمق فى معرفة تاريخ المغول القديم . والواقع أن تاريخ رشيد الدين قد اعتمد فى تأليفه على فحص الوثائق الوطنية الصحيحة المحفوظة فى سجلات الامبراطورية ، والمذكرات التى فى حوزة الأسر الكبيرة ؛ وقام بتأليفه رجل صادق حى الضمير ، وبذلك يكون قد توفرت له كل مقومات الصدق . ولا نعتقد أن هناك كاتباً آخر من بين جميع الكتاب الذين أرادوا دراسة هذه الفترة من التاريخ قد توفر له ماتوفر لمؤلفنا من الوسائل الضرورية لتحديد حوادث هذه الفترة ولكى يقدم إلى قرائه سرداً صادقاً عنها .

وأغاب الظن أنه لو كانت لدينا المذكرات الأصلية التى اعتمد عليها رشيد الدين لاستطعنا تصحيح بعض النقط التى أوردها أو تعديلها ، ولكن هذه الوثائق القيمة قد اختفت ، ولعل اختفاءها قد حدث فى أثناء الحروب الداخلية الطويلة التى مزقت الإمبراطورية المغولية ، وجرت إليها الخراب التام . فقد كانت هذه المذكرات مكتوبة بلغة ثقل معرفة الناس بها شيئاً فشيئاً ، ولذا لم تلبث أن أهملت ، وربما كانت قد أسلمت للنار . وفى القرن التاسع الهجرى أراد كاتبان شهيران ، وهما على يزدى وألغ بينگ ، أن يعرضا الحوادث على

بساط البحث من جديد ، الأول في مقدمة « ظفر نامه »^(۱) والثاني في كتابه المسمى « ألوسی أربعة »^(۲) ، أي كتاب الأوطان الأربعة الذي أراد أن يلم فيه بتاريخ الفروع الأربعة الإمبراطورية المغولية . ولم يرغب هذان المؤلفان أن يستنيرا برشيد الدين ، وفضلا اتباع روايات أخرى غير الروايات التي قدم نتائجها في كتابه ، فاعتمدا في الكلام على بدء عهد چنگيزخان ومفاخره على قصص بعيدة عن الحقيقة . وقد أدى هذا بالمؤرخين من أمثال ميرخوند وخوندمير ، الذين خدعوا في مكانة سابقهم الشهيرين ، ولا سيما على يزدى ، إلى أن يشيعوا أخطاء صارخة يجب تطهير التاريخ منها . وهناك مؤلف فارسي آخر نبه شأنه في القرن التاسع الهجري ، وهو حافظ أبرو^(۳) الذي يذكره

- (۱) خوندمير ، حبيب السیر ، مجلد ۳ ، ورقة ۴ ظهر ووجه ، ۶ ظهر ووجه ، ۶۷ ظهر ، وغيرها ؛ حيدر الرازی ، ورقة ۵۸۹ ظهر ، ۵۹۱ وجه ، ۵۹۷ ظهر .
- (۲) حبيب السیر ، مجلد ۳ ، ورقة ۱۶ ظهر ، ۲۴ وجه ، ۲۵ ظهر .
- (۳) نور الدين لطف الله المعروف بحافظ أبرو ولد في مدينة « هرات » ، ولكنه قضى طفولته وشبابه في مدينة « همدان » وفيها تعلم . وكان يحتل أرقى مكانة بين المؤلفين وعظماء الرجال ، ونال إكبار الأمير « تيمور گوركان » (تيمور لنگ) الذي أغدق عليه آيات إعظامه ، وأذن له في حضور مجالسه الخاصة ، ولم يدع فرصة أو مناسبة إلا حاول فيها أن يظهر له رضاه . وبعد وفاة هذا الفاتح أثقل حافظ أبرو إلى قصر السلطان شاه رخ ، وتلقى من الأمير الشاب « ميرزا بايسنقر » ما يدل على شديد إكباره له . وهذه هي الفترة التي كتب فيها كتابا ضخما سماه (زبدة التواريخ بايسنقرى) ؛ وهو يحتوي على تاريخ كامل مفصل للعالم كله ، وعرض لنظم الشعوب المختلفة وعقائدها حتى سنة ۸۲۹ - ۱۴۲۵ - ۲۶ . ومات حافظ أبرو في مدينة زنجان في شهر شوال من سنة ۸۳۴ - ۱۴۳۰ - ۳۱ (خوندمير ، حبيب السیر ، ج ۳ ، ورقة ۲۰۷ وجه) . وكثيرا ما يذكر تاريخه باسم : تاريخ حافظ أبرو . وانظر حيدر الرازی ، مخطوطة المكتب الملكية ببرلين ، ورقة ۵۹۴ ظهر ، ۵۹۷ ظهر وغيرها . (ولحافظ أبرو « ذيل جامع التواريخ رشيدى » ، بالفارسية نشره الدكتور بياني في طهران ، وكان قد ترجمه للفرنسية سنة ۱۹۳۶) . الحشاب .

معاصروه ومن أتوا بعده بإجلال وتقدير منقطعي النظر ، وقد ألف كتاباً ضخماً ضمنه تاريخاً مفصلاً لجميع شعوب العالم ، ولكن لم يسعدنا الحظ بالوقوف عليه - ويبدو أنه سار على نهج رشيد الدين فيما يتعلق بتاريخ المغول ، أو هذا على الأقل ما يمكن استنتاجه من فقرة للمؤرخ حيدر الرازي ،^(١) إذ نرى هذا المؤرخ يلخص من تاريخ ميرخوند الحوادث المتعلقة بالسنيين الأولى لحكم چنګيزخان وعلاقاته بأنج خان ، ثم يعقب قائلاً : « هذا هو نص ماورد في مقدمة « ظفر نامه » ولكن تاريخ حافظ أبرو ينص على أن أنج خان هو الذي لجأ إلى چنګيزخان ، وليس چنګيزخان هو الذي لجأ إليه » . فهذا القول يدل على أن حافظ أبرو كان يفضل الاعتماد على رشيد الدين في هذا الجزء من تاريخه . ويتفق سرد رشيد الدين المتجانس الأجزاء مع سرد المؤرخين الصينيين كل الاتفاق ، ويشهد هذا الاتفاق الملحوظ في الحوادث التي يرويها مؤلفون جد متباعدين ويكتبون بلغات مختلفة على إحاطة هؤلاء المؤلفين وصدقهم .

ويبدو أن المغول المعاصرين لا يحتفظون من تاريخهم الوطني بأية روايات لها نصيب من القدم ، وأن كل ما يتداولونه بينهم ينحصر في بعض أخبار الأنساب وبعض الأساطير . ولا شك أن الكتاب الذي ألفه سننج ستزن في القرن السابع عشر ، ونشره الأستاذ شميدت بالألمانية والمغولية ، يحتوي على

(١) المخطوطة الفارسية بمكتبة برلين الملكية ، ورقة ٥٩١ وجه .

أخبار مفيدة في معرفة انتشار البوذية بين المغول ، وحول تاريخهم منذ إخراجهم من الصين ؛ أما فيما يتعلق بعهد چنګيزخان وخلفائه فإن الأخبار الغامضة الناقصة التي يقدمها لنا هذا المؤرخ المغولي لا قيمة لها ولا يمكن مقارنتها بأية حال بالأخبار المتأسكة المليئة بالحقائق والأحداث التي يقدمها لنا رشيد الدين والمؤرخون الصينيون . وأنا أعرف جيدا أن ذلك الناشر العالم الذي قام بنشر كتاب المؤرخ المغولي ينظر إلى مؤرخنا بعين الريبة ، ويتهم كتاب العرب والفرس جميعا بأنهم أرخوا للعصور الأولى من حياة الامبراطورية المغولية دون معرفة تامة بالحقائق والأحداث ، منساقين وراء أفكار إسلامية سابقة ، وبأن جهلهم باللغة المغولية جعلهم ينسبون إلى هذه اللغة كثيرا من الكلمات ذات الأصل التركي . وقد سبق أن أجبنا على الشرط الأول من هذا الاعتراض بما فيه الكفاية ، وبينت مقدار الظروف المواتية التي توفرت لرشيد الدين والاحتياطات التي اتخذها ليضمن صدق الأحداث التي يرويها . هذا إلى أن الفترة التي عاش فيها رشيد الدين لم تكن جد متباعدة عن فترة الفتوحات الهائلة التي ميزت عصر چنګيزخان وخلفائه الأولين . فقد كان في وسعه ، إذن ، أن يري بعيني رأسه أبناء أو أحفاد أولئك الذين لعبوا دورا مرموقا في تلك ، الكوارث الخيفة ، والأشخاص الذين كانوا ضحاياها . وإذا كان قد عاش على هذا النحو مع أشخاص تغلى نفوسهم بدوافع مختلفة ، فإنه لم يعد أن يتلقف من أفواههم أقوم المعلومات ويقارنها بالتفاصيل المحفوظة في سجلات الدولة ومذكرات الأمر الكبيرة . ومع ذلك فإنني لا أزعم أن كل التفاصيل

التي احتواها كتاب رشيد الدين تتساوى في درجة الصدق التاريخي . فأغلب الظن أن الكثير من بين الحوادث التي ترجع إلى الأزمنة القديمة يمكن اعتبارها محال للريب ، بل زائفة على وجه التأكيد . ولكن لما لم يكن لدى المؤلف أية وسيلة للتحقيق بالنسبة لهذا الموضوع ، فقد قصرهم على تسجيل الحوادث كما وجدها في الروايات المغولية .

أما بالنسبة للاعتبارات الدينية ، فإنه من العسير على أى كاتب إسلامي . أن يتجرد من القيود التي يفرضها عليه الإسلام ، ولا سيما حين يتعرض لكتابة تاريخ أم وثنية ، ولكن الاعتبارات الوطنية بدورها قد تعرض المؤرخ للزلل أيضا . هذا إلى أن الوضع الذي وجد فيه رشيد الدين نفسه ، كان وضعاً خاصاً . إلى أبعد حد . وذلك أنه كان في حكم المواطن المغولي ، وموضع ثقة السلطان . ووزيرا لمملكته ؛ ولذلك لم يكن من الممكن أن ينحاز إلى ذلك التطرف في الحماس الذي قد ينحاز إليه مسلم صميم .

وإذا كان يبدو في كل كتابه مسلماً صادق الإسلام ، فإننا نراه من جهة أخرى يتجنب الإطراء غير المجدى ، ويتمسك دائماً بنزاهة في الرأي تستحق كل إجلال ، ولا سيما إذا كانت من مؤرخ . كان رشيد الدين شديد الإعجاب بالمغول ، ولذا فهو يطرى أعمال البطولة الهائلة التي تمت على أيديهم ، ويذكر دون موارد ، ولكن دون مبالغة أيضاً ، ضروب القسوة الشنيعة التي ارتكبها هذا الشعب ، وتخريب أعظم المدن وأكثرها ازدهارا ، وتذريح

السكان العديدين دون قلق أو ندم ، كما يصور بهدوء وتحفظ ضروب التجديف التي قاموا بها في مساجد بخارى وغيرها من المدن ، حيث مزقوا المصاحف وألقوا بها أرضا ، وصنعوا من أغلفتها الثمينة مذاود لخيلهم .

أما مأخذ الجهل باللغة المغولية ، فإنه لا ينطبق على رشيد الدين ، كما سبق أن أشرنا ؛ فإنه هو نفسه ، كما قلنا ، يؤكد أنه كتب بهذه اللغة ، ومن ثم فهو يعرفها معرفة عميقة . ولو لم يذكر هو هذه الحقيقة ، لكان لزاما علينا أن نفترضها ، وإلا فكيف يمكن لرجل يحتل المنصب الأول في الامبراطورية المغولية أن يجهل لغة المغول التي تستعمل في جميع أنحاء الامبراطورية ، ولا يعرف غيرها عدد لا يحصى من الأشخاص الذين يحتلون فيها أرفع الأماكن ؟ كيف يستطيع ، دون ذلك ، أن يحل المسائل المعقدة التي تصادفه يوميا ، ويحكم في القضايا العسيرة التي تعرض عليه ، ويبت فيما يقابله من مهام لا حصر لأنواعها ، ويقوم بالتراسل المتواصل مع شتى الأمراء من سلالة چنګيزخان ؟ وإذا أخذ عليه أنه كان يخلط بين الكلمات التركية والمغولية في بعض الأحيان ، فإن ذلك لم يكن يحدث له إلا نادرا ، لأننا نراه على وجه العموم ينص على ما إذا كان المصطلح الذي هو بصدد من اللغة التركية أم من المغولية . هذا ، ولا يصح أن يغيب عن بالنا أن اللهجة التي كانت تتكلم في فارس لم تكن هي نفسها اللهجة التي تتكلم على ضفاف نهري « سلتجاه » و « أنون » ؛ إذ أنه لما وصل المغول في حروبهم وفتوحهم

حتى أقاليم آسيا الغربية ، أخذوا يجرون في ركابهم جحافل من القرغيز
والأويغور النيمان وغيرهم ؛ وكل هؤلاء كانوا يتكلمون التركية . فجيوش
چنگيزخان وخلفائه كانت تتداول لغتين ، لالغة واحدة ، ولا بد أن تكون
كل من اللغتين قد أثرت في الأخرى عن طريق الاستعارة المتبادلة من جراء
الاحتكاك اليومي ، وقد حدث ذلك منذ عصر چنگيزخان نفسه ، إذ أننا
نعرف أنه كان له ولد يلقب « ألوج نويان » أى الأمير الكبير (أمير
بزرگ) . وهذا الاسم خليط من اللغتين . ولا بد أيضا أن تكون الزيجات
التي كانت تقع يوميا بين رجال من أصل مغولي ونساء من أصل تركي ، قد
ساعدت على إدخال كثير من العبارات غير المغولية في اللغة المغولية ، ولا سيما
أنه لم يمض قرن ونصف قرن من الزمان حتى تلاشت المغولية أمام اللغة التركية في
الأقاليم نفسها التي كان يحتلها بعض الأمراء المغول . ففي عهد تيمور كان
السكان المغول الذين يحتلون بلاد ماوراء النهر لا يتكلمون غير التركية . وبهذه
اللغة كتبت الإجازة العلمية التي حررت في كاپتشاك بأمر السلطان قتلوق تيمور سنة
٨٠٠ ، ١٣٩٧ - ١٣٩٨ ، ونشرها الأستاذ دى هامر de Hammer^(١) . وقبل
هذه الفترة ، أى في سنة ١٣٨٣ من التاريخ الميلادى ، عقدت معاهدة بين الجنوبيين
المستوطنين كفا Caffa وبين أحد أمراء كاپتشاك وحررت باللغة الأويغورية ،

(١) Fundgruben des Orients ج ٦ ، ص ٣٥٩ وما يليها .

أى بالتركية ^(١) . ووصف بادوتشى بيجولوتى Pegolotti Baducci ^(٢) الطريق الذى يتبعه التجار للوصول إلى « خطاى » فقال : « ويجب على المرء أن يصحب معه مترجمين يعرفون اللغة (الكومانسكية) جيدا » ، مما يدل على أن هذه اللغة ، أى اللغة التركية ، كانت منتشرة فى شمال آسيا . ولما وصل الراهب الفرنشكانى ، بسكاليس Paschalis ، إلى سراى عاصمة كابتشاك فى سنة ١٣٣٨ م أراد أن يتعلم اللغة الشامانية قبل أن يوغل فى المسير ، لأنها هى اللغة المتداولة فى بلاد التار والفرس وفى الخطاى وغيرها ^(٣) . ونجد فى اللغة المغولية التى كان يتكلمها مغول فارس بعض العبارات التركية التى لعلها لم تكن تستعمل إلا فى اللغة العامية . فنقرأ ، مثلاً ، فى إحدى فقرات رشيد الدين ^(٤) هذه الكلمات : « هولا جوير ليفيدن وكيشوسوز يدين » (بأمر هولا كو ، تبعاً لكلام كيشو Keischou) . وكان القائد العام للجيش المغولية فى فارس يحمل لقب « (بكلىر بگى) Beilyerbeghi » ^(٥) ؛ وهذه الكلمة تنتمى إلى اللغة التركية بمادتها وبصيغتها على السواء . وكان الأمير « نوروز »

-
- (١) أودريكو Lettere ligustiche, Oderico ص ١٨٠ ، دوريات المجمع ،
قسم التاريخ والآداب القديمة ، مجلد ٣ تاريخ ، ص ١١٤ .
(٢) La Pratica della mercatura ، ص ٢ .
(٣) Mosheim Historica Tartarorum ecclesiastica ، ملحق ، ص ١٩٤ .
(٤) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٤١ ظهر .
(٥) مسالك الأبصار ، مخطوطة عربية ٥٨٣ ، ورقة ٨١ ظهر ؛ تاريخ و صاف ، ورقة ٢٢٣ ظهر و ٣٦٨ وجه .

قد وعد بيدوخان أن يبعث إليه بالأمير غازان مكبلا بالأغلال . ولما وصل إلى سيده الشاب لم يفكر في خيائته ، بل ، على العكس من ذلك ، حثه على الثورة ، وأطلعه على ما رآه وعلم به خلال إقامته في قصر العاهل المغولي . ولما أراد أن يتحلل من وعده لهذا العاهل ، بعث إليه بمرجل ^(١) مربوط ربطاً محكماً . والواقع أن هذا التلاعب الساخر الغريب بالألفاظ يمكن تفسيره باللغة التركية التي تدل كلمة قران فيها على المرجل . وفترة السيطرة المغولية في فارس هي الفترة التي دخل فيها الكثير من أسماء الحدث المنتهية بـ « ميشي » في لغة تلك البلاد . وهذه الصيغة غريبة كل الغرابة على اللغة المغولية ؛ وإذا صح تقديرى ، فإن أصلها يرجع إلى أسماء الفاعلين التركية المنتهية بـ « ميش » ، ثم أضيفت إليها الياء لتكوين اسم الحدث ، تبعاً لما هو معتاد في اللغة الفارسية .

أما عن العبارات المغولية التي رسمت خطأ في تاريخ مؤلفنا ، فأغلب الظن أن معظم هذه الضروب من التحريف يرجع إلى النساخ الذين كتبوا تلك الكلمات اتفاقاً دون العناية بتحديد هجائها الحقيقي . ونحن نعرف أن الناشرين والشرح الأوربيين ، وهم أجنب على لغة المغول ، إذا وجدوا أمامهم عدداً من الخلافات وتحتم عليهم الاختيار بينها ، لم يعرفوا أن يختاروا خيرها

(١) رشيد الدين ، ورقة ٣٥٥ ظهر ؛ ميرخند ، ج ٤ ، ورقة ٩٨ ظهر ؛ خوندميز حبيب السير ، ج ٣ ، ورقة ٤٦ وجه .

إلا عن طريق المصادفة : ولهذا كثرت لديهم الأخطاء التي من هذا القبيل .
ولكن مثل هذا النقص لا يمكن أن يعاب على رشيد الدين .

يوجد بين مختلف القطع التي يتألف منها تاريخ المغول لرشيد الدين
قطعتان يبدو لي أنهما تهماان القراء بوجه خاص ، وهما : حياة چنگيزخان ، وحياة
غازان خان . والأولى تنطبق تمام الانطباق ، كما سبق أن قلت ، على الأخبار
التي نقلها إلينا الكتاب الصينيون . ولذلك ، ولما كان في عزمي أن أعرف
القراء بمجهود مؤلفنا عن طريق الإكثار من المقتبسات ، فقد رأيت أن أقدم
لهم حياة چنگيزخان بأسرها مقتبسة من رشيد الدين مع مقارنتها بالروايات
الأخرى التي لدينا عن هذا الأمير . أما تاريخ غازان خان الذي تتلوه قطعة
يتكلم فيها المؤلف عن أعمال هذا الأمير ومنشأته الخالدة ، فإنه يكون
فصلا هاما ومفصلا ، وقد كنت أود أن أقدم لقرائي صورة صادقة عنه . وقد قام
الأستاذ كرك باتريك Kirc Patrick بترجمة الجزء الثاني منه إلى الإنجليزية ،
ونشره في كلكتا تحت عنوان « منشآت غازان خان » ضمن مجموعة من القطع
المختارة من الأدب الشرقي ، ولكن هذه النشرة لم تكن لتجعل عملنا غير
مجدد^(١) . وذلك ، أولا ، لأن المجموعة التي تتكلم عنها لا تكاد توجد في
فرنسا ، وثانيا لأنه لم يكن في متناول كرك باتريك منه إلا موجز مأخوذ

(١) New asiatic Miscellany مجلد ٢ ، ص ١٤٩ ومايلها .

من « حبيب السير » . أما أنا فكنت سأعتمد على الفصل بأ كمله كما هو في الأصل الذى يأسف المترجم العالم أشد الأسف من عدم حصوله عليه .

هذه هى الخطة التى كنت قد وضعتها لنفسى ، ولكن ظروفًا مختلفة حالت دون تحقيقها . فمنذ هذه الفترة تغيرت وجهة نظرى بصورة محسوسة . فقد أصدر الأستاذ مورادجا دوسون Mouradgaa d'Ohsson تاريخًا للمغول اتبع فيه تاريخ رشيد الدين بكل دقة . وترتب على نشر هذا الكتاب القيم أن أصبحت ترجمة حياة جنكيزخان أقل ضرورة من ذى قبل ، مادامت الأخبار غير الصحيحة التى تضمنها تاريخ پتى لاكروا Pétis la Croix وغيره من الجامعين قد انزوت ، وحلت محالها أخبار أنقى منها وأصدق . ولكن لما صح العزم على طبع مجموعة المؤلفات الشرقية فى المطبعة الملكية ، تقرر أن يصحب كل مؤلف منها بترجمة فرنسية وتعليقات . وكنت فى أول الأمر قد تعهدت بإصدار مجلد رشيد الدين دون أن أحذف منه كلمة واحدة . ولكن لما تفحصت ضخامة العمل الذى فرضته على نفسى ، وفكرت فى قصر الحياة والبطء الذى تسير به الطباعة بطبيعة الحال ، أيقنت أن هذا العمل يفوق طاقتى وأنتى لن أستطيع بأية حال أن آمل الوصول به إلى نهايته . فاقترعت على نشر جزء الكتاب الذى يعالج تاريخ المغول فى فارس . وإذا وجدت فى الوقت فسخة ، أتبعته بالملحق الذى يحتوى ، كما قلت ، على الحياة التفصيلية للسلطانين خداينده ، أو الجايتو ، وأبى سعيد .

كانت المكتبة الملكية ، في الوقت الذي كتبت فيه هذه المقدمة ، هي المكتبة الوحيدة في أوربا التي تضم كتاب رشيد الدين بين ذخائرها . وهي تستحوذ على نسختين منه ، وكلاهما من القطع الكامل . والأولى منهما التي لم تقيد بعد في الفهرس والتي أشير إليها بالرقم ١٦٨ هي أكمل النسختين وتحتوى ، زيادة عن الأخرى ، على الملحق الذي يعالج حياة ألبايتو وأبى سعيد ، كما سبق أن ذكرت . وقد قام بنسخ هذه المخطوطة التي تتكون من أربع وثلاثين وخمسة ورقة مسعود بن عبد الله ، وانتهى من كتابتها في اليوم الرابع من شهر رجب سنة ٨٣٧/١٤٣٣ - ١٤٣٤ . ويحتل كتاب رشيد الدين الأوراق السبع والأربعين والأربعمائة الأولى . أما بقية المجلد ، من الورقة ٤٤٨ إلى الورقة ٥٣٤ ، فتحتوى على تكملة كتبها مؤلف مجهول الاسم . بأمر شاه رخ ابن تيمور لنگ .

والمخطوطة مكتوبة بخط جميل ، ولكنها مملآى بالأخطاء التي ترجع إلى الناسخ ، كما أنها كثيرا ما تهمل وضع نقط الإعجام ، مما يجعل قراءتها عسيرة . وما يزيد في شناعة هذا النقص أن الكتاب يحتوى على عدد كبير من أسماء الأعلام وأسماء المدن والكلمات التي ترجع إلى اللغة المغولية أو الصينية أو غيرها . وقد كلفنى ضبط الهجاء وتحديد النطق الصحيح لجزء من هذه الكلمات مشقة لاحد لها ؛ أما الكلمات الباقية فقد اضطررت اضطرارا إلى العدول عن استخدامها .

والنسخة الثانية من كتاب رشيد الدين على جانب كبير من النقص . وهي تتكون من مائة وخمسين ورقة من أكبر قطع ، وتحتوى ، إلى جانب وصف القبائل التركية والمغولية ، على نسب چنگيزخان والجزء الأكبر من حياة هذا الأمير . وخط هذه المخطوطة لا بأس به ، ولكنها تحتوى ، فضلا عن الأخطاء التى تشترك فيها مع النسخة الأولى ، على عيب خاص يجعل الاستفادة منها عسيرة جدا ، بل شبه مستحيلة . وذلك أن جميع العناوين والكلمات التى كان على الناسخ أن يكتبها بالمداد الأحمر قد ترك مكانها أبيض . وقد قام بيتى دى لا كروا الابن Pétis de la Croix بترجمة هذا الجزء من تاريخ رشيد الدين إلى الفرنسية ، واعتمد والده اعتمادا كبيرا على هذه الترجمة فى دراسته لحياة چنگيزخان^(١) . ولا شك أن بيتى دى لا كروا كان من ذوى المواهب النادرة ، ولكن لما لم يكن لديه إلا نص ناقص مليء بالتحريف ، فإن فقدان كتابه لا يثير فى نفوسنا أى أسف .

واليوم توجد نسخ من هذا الكتاب فى جهات عديدة . ففى المكتبة الإمبراطورية فى سانت بطرسبرج ، إذا صح تقديرى ، نسختان منه ، إحداها كانت بين المجموعة الجميلة التى كان المرحوم الأستاذ روسو^(٢) قد كونها ، ثم نقلت إلى روسيا . وهناك نسخة أخرى فى مكتبة فينا ، وأخرى اشتريتها

(١) تاريخ چنگيزخان Histoire de Genghizcan ، ص ٥٣٩ - ٥٤٦

(٢) Recueil de catalogues divers, manuscrits orientaux

الحكومة الإنجليزية من ورثة الأستاذ رتش ، وهى اليوم فى مكتبة المتحف البريطانى . ويبدو أن هذا السيد الكريم لم يحصل على ذلك الكتاب إلا قبل موته بزمان وجيز ؛ لأننى لم أجد أى ذكر لهذا المجلد فى الفهرس الذى نشر فى مجموعة « كنوز الشرق Mines d'Orient » .

وقد ألف رشيد الدين ، إلى جانب المجموعة التاريخية التى تكلمنا عنها ، عدة كتب أخرى . وأول ما سنتكلم عنه من هذه الكتب هو « كتاب الأحياء أو الآثار » الذى يبحث فى الاقتصاد الزراعى وينقسم ، إلى أربعة وعشرين فصلا^(١) . وهذا بالتقريب ما يقول المؤلف فى هذا الصدد :

« يتكلم الفصل الأول عن السنة والفصول المختلفة والبرد والحر والعلامات الدالة على الرياح والمطر . ويبحث الثانى فى الماء والأرض والطقوس الحارة والباردة . ويشير الثالث إلى نوع الأرض التى تناسب كل نوع من أنواع النبات ، والفترات التى تصلح لكل منها والوسائل التى يجب اتباعها ، وفوائد أخرى من هذا القبيل . ويدور الرابع حول كل ما يتعلق بالقنوات ورى الأرض . والخامس . . . والسادس . يعالج الحبوب والجذور ، وطريقة تمييز جيدها من رديئها . ويتكلم السابع عن النباتات التى يجب بذرها والتى يجب غرسها .

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ .

والثامن عن شتى الأشجار ذات الفاكهة وغير ذات الفاكهة ، المنزرعة
أو البرية ، سواء أكانت مما ينبت في بلادنا أم خاصة بأجواء أخرى . ويبحث
التاسع في تطعيم الأشجار وفوائده . والعاشر في استخدام السماد ، وفي أنواعه
المختلفة ، وفوائده وشتى خواصه . والحادي عشر في أنواع الشام والخضر والأعشاب
الغذائية . والثاني عشر يذكر بعض التفاصيل عن زراعة القمح والشعير ، وعن
شتى أنواع الحيوان ، والفائدة التي نجنحها من كل منها . والثالث عشر في زراعة
السكر والقطن والسمسم والكتان والنيلة والقنب ونباتات أخرى من هذا القبيل .
والرابع عشر في وسائل استبعاد الجراد والفيضان والنمل والأفاعي والعقارب
وغيرها من الحيوانات الضارة . والخامس عشر في كل ما يتعلق بالحمام والدجاج
وسائر الطيور الأليفة ، والطريقة التي يتكاثر بها كل نوع منها . والسادس عشر
في مختلف أنواع الخيل والبقر والحمير ، وفي سائر الحيوانات المستأنسة والبرية .
والسابع عشر في شتى أنواع النحل ، ومختلف أنواع السكر التي ندين بها
للحيوانات أو نستنبطها من النباتات مع طريقة حفظها . والثامن عشر في العوارض
التي تعرض للأشجار والفواكه والنباتات ووسائل منعها أو علاجها . والتاسع
عشر في وسائل حفظ القمح وشتى الحبوب وأنواع السكر والنبيد والزبيب وغير
ذلك . والعشرون في القواعد التي يجب اتباعها في بناء المنازل والعائر المخصصة
لأعمال البر والحصون وسائر الأبنية . والحادي والعشرون في تشييد السفن
والسدود والجسور والمقابر . والثاني والعشرون في الصفات الخاصة بكل نوع

من أنواع الحيوان ، والمزايا التي يمكن استفادتها منه . والثالث والعشرون في فن استخراج المعادن وغيرها من المواد من المناجم ، مع طريقة استخدامها . والرابع والعشرون في طبيعة المعادن والأحجار ، وخصائص كل نوع منها ، وضروب الفوائد التي يمكن الاستفادة بها منها » .

ولم يصل إلينا هذا الكتاب

وليست هذه الكتب المختلفة ، مهما بلغ حجمها ، إلا جزءا من إنتاج رشيد الدين ، إذ أنه كان أكثر اشتغالا بالميتافيزيقا وعلوم اللاهوت منه بتلك المسائل . وقد ذكرنا فيما سبق أن مؤلفنا كان يشعر منذ شبابه الأول بميل خاص نحو التأمل في العقائد الدينية ، والمعنى الصوفي للقرآن ؛ ولكن تواضعه الجرم وحياءه الطبيعي قد منعه من نشر ثمرات تفكيره إلا في وقت جد متأخر . وتنحصر أول رسالة كتبها عن المسائل الدينية في رسالة طويلة بعض الشيء ، أراد أن يبرهن فيها على أن أمية محمد أمر مقصود من العناية الإلهية ، ودليل حاسم على صدق رسالته . ويقول رشيد الدين إن النبي أراد أن يجازيه على حسن اجتهاده ، فأثار بصيرته ، ووهبه ملكة التفكير في أعوص المسائل الدينية بسهولة فائقة . ومنذ هذا الحين ، أغنى منذ سنة ٧٠٥ ، ١٣٠٥ — ٦ ، ازدادت ثقة مؤلفنا في نفسه ، ولم يعد يخشى نشر الأفكار العديدة التي يوحى بها إليه خياله الخصب ومثابرته الطويلة .

وفي هذه الأثناء رغب السلطان ألبايتو^(١) إلى رشيد الدين في أن يفسر بعض آيات القرآن ، فسارع بالقبول وزود تفسيراته بكل ضروب البسط التي يمكن أن تحملها . وكان قد كتب عدة رسائل في مسائل مختلفة ، فجمعها كلها في مجلد واحد سماه « التوضيحات » . ويتكون هذا المؤلف الذي بين أيدينا من مقدمة وتسع عشرة رسالة . ويتكلم في المقدمة عن البواعث التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب . وتدور الرسالة الأولى حول تفسير اسم الله ، والثانية عن تقسيم الموجودات ، والثالثة تحتوي على تفاصيل أوسع حول الموضوع نفسه ، والرابعة في تفسير الآية القرآنية : « ... قَالُوا آمَنَّا ... »^(٢) ، والخامسة في تفسير الآية : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ »^(٣) ، والسادسة في تفسير الكلمات القرآنية : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ » ، والسابعة في تفسير سورة : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »^(٤) . وتشتمل الثامنة على ذيل للتفسير السابق ، والتاسعة في الرد على المطاعن التي وجهها أعداء المؤلف إليه ، وفي العاشرة مناقشة عميقة لمسألة المعراج ، والحادية عشرة في تفسير الحديث : « الأرواح جنود مجندة ... » ، وتشكلم الثانية عشرة عن نسب النبي ، وعن تفسير قوله تعالى : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ... »^(٥) ، وتقدم الثالثة عشرة عرضا واضحا لمسألة أمية النبي محمد ،

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقه ٥٥ ظهر ، وورقة ٦٩١ وجه .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١٥ .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٨٦ .

(٤) سورة الكافرون ، آية ١ .

(٥) سورة الكوثر ، آية ١ .

وفي الرابعة عشرة رد على منتقدي الإمام الغزالي ، والخامسة عشرة تبحث في سمو العقل والعلم ، والسادسة عشرة . . . والسابعة عشرة تتكلم في رؤيا رآها المؤلف ، والثامنة عشرة تبحث في الإحسان ، وأخيرا تشتمل التاسعة عشرة على مدح للعلماء . وكان في عزم رشيد الدين أن يكتب تفسيراً شاملاً للقرآن ، يبسط فيه كل آية بأوسع تفصيل ، فيقول في هذا الصدد : « كان هذا عزمي ، ولكنني لم ألبث أن أدرك أن تفسير هذا الكتاب المقدس بحر لا شاطئ له ، وأني إذا انغمست في عبابه ، فقد وجب علي أن أبذل كل جهدي لعبوره في أقرب مدة ، والوصول إلى شاطئه في أسرع وقت ، ولذلك رأيت أنه يجدر بي اتباع طريق أقصر حتى أستطيع الوصول إلى هدي في أوجز فترة . وفي الحقيقة إذا كان للإنسان أن يفخر بإتمام شيء ما ، فإنه لا يجوز أن يستغرق منه هذا الشيء أكثر من بضع سنين . فكيف يصح لنا أن نأخذ على عاتقنا عملاً يستغرق حياة طويلة ، ونحن لا نستطيع أن نقدر لأنفسنا في الوجود إلا أقصر مدى ؟ هذا ، وإذا مد الله في عمري ، استطعت أن أجنى ثمار ما أنجزته في زمن وجيز . أما إذا شرعت في تأليف كتاب ضخم ، ولم يهينني الله من طول الحياة ما يكفي لإتمامه ، فإن عملي يظل ناقصاً فيعتريه الإهمال وينجم عليه النسيان . وذلك فضلاً عن أنه من الأكيد أن الإنسان دائماً على أبواب الموت ، ولا يجوز له أن يعول على غير اللحظة التي هو فيها .

ولذلك فإني لو أردت القيام بتفسير كامل للقرآن ، لوجدت لزاماً علي أن

أقوم بتأليف كتاب كبير ، في حين أنى قد لا أستطيع أن أفى لنفسى بتوفير الفراغ الذى يلزم له . نعم يمكن الإنسان أن يقول نفس هذا القول فيما يتعلق بتفسير آية واحدة ؛ ولكن مما لا شك فيه أنه يكون أقرب إلى الصواب حين يأمل فى إتمام عمل يستغرق وقتا قصيرا مما لو زج بنفسه فى عمل يستغرق السنين الطوال . وقد حدث بى هذه الأفكار وأمثالها إلى أن أختصر طريقى جهد الطاقة . ولما أنعمت النظر فى كتب المؤلفين والمفسرين المتبحرين فى العلم والمشهود لهم بالسبق ، وجدت أن الأواخر لم يقوموا ، فى غالب الأحيان ، إلا بتكرار تفاسير الأوائل مع صوغها فى عبارات جديدة . فلما تيقنت من ذلك ، قلت لنفسى : إنى إذا خطوت خطوهم ، أنفقت فى عملى وقتا طويلا دون أن تكون له فائدة تذكر . وإلا فأى فائدة يجنيها المرء من قراءة كتابى ، إذا قصرت جهدى على تكرار الآراء السديدة التى تطويعها كتب القدامى فى بطونها ؟

وبعد ، فهذه هى الطريقة التى رأيت اتباعها : إذا طرأت فى ذهنى فكرة تتمشى مع القعل السليم وتتفق والسنن الصحيحة ، طرحت بها فورا على الورق ، مع تجنب الانسياق فى مناقشات طويلة ؛ ولكنى ، من جهة أخرى ، رأيت أنى لو أهملت آراء المفسرين الذين سبقونى إهمالا تاما ، لجاء كتابى ناقصا ، وقصرت عن بلوغ الهدف الذى رسمته لنفسى . والحقيقة أن ملاحظات هؤلاء العلماء مختلفة النواحي ، فبعضها يهتم بمعنى الجملة ، وبعضها يعنى باشتقاق

الكلمات ، وبعضها بصيغها وترتيبها في الجمل المختلفة ، وبعضها بالمشا كل النحوية ، والبعض الآخر يقصر همه على الدلالات الحقيقية والمجازية . وكل منها جيد في بابه ، مفيد لقارئه ، بل وبعضها ضروري لا بد منه لحسن فهم النص . وقد استقر رأيي ، بعد كل هذا التفكير ، على أن أبدأ في تفسير الآية بجمع آراء العلماء السابقين وترتيبها تبعا للنظام الذي ساروا عليه ، ثم أتبعها بأفكارى الخاصة .

هذا هو المسلك الذي سلكه رشيد الدين في شتى مؤلفاته الدينية والميتافيزيقية . فلم يكذب يتهمى من الكتاب الذي تكلمنا عنه حتى بدأ عدة كتب أخرى أنهاها بسرعة لا يكاد يصدقها العقل . وأول ما سار فيه من تلك الكتب هو « مفتاح التفاسير » . وهو ينقسم إلى قسمين ، أولهما يشتمل على رسالتين ، يبرهن في أولهما على كمال بلاغة القرآن ، وعلى أن تفسير هذا الكتاب المنزل يفتح الطريق إلى آراء وأفكار لا حصر لها . وتبحث الثانية في المفسرين ، وطبقاتهم ، والقواعد التي يجب عليهم اتباعها .

ويتكون الجزء الثاني من ست رسائل : الأولى تعالج مسألة الخير والشر ؛ والثانية في الجزاء على الأعمال الصالحة ، والعقاب على الأعمال الطالحة ، وأنواع الصبر المختلفة ؛ وينحصر موضوع الثالثة في الكلام على طول الحياة البشرية وقصرها ، والإسراع أو البطء في نهاية أعمارنا ؛ وتهدف الرابعة إلى

حل مسألة القضاء والقدر ؛ والخامسة تحتوى على تفنيد التناسخ ، والبرهان التام على بعث الأجسام ؛ والسادسة فيها مناقشة للكلمات : الرعاية الإلهية ، والفلاح ، والسعادة ، والحظ ، والطالع ، ثم للكلمات التى تدل على المعانى المضادة لتلك .

وقد بدأ الكتاب المسمى « بالسلطانية » فى يوم الثلاثاء التاسع من شهر رمضان سنة ٧٠٦ ، ١٣٠٦ - ٧ ، عقب اجتماع عقد لدى السلطان أجايتو^(١) . وهو لا ينقسم إلى رسائل ، بل يتكون من متن وذيل . وقد سبق المتن بمقدمة فى مدح السلطان أجايتو وعرض للأعمال الجليلة التى قام بها . ثم يتلو ذلك بحث عميق حول كلمات : الوحي ، والإلهام ، والمعجزة ، والرسالة الإلهية ، والنبوة ، وحول الأسباب التى جعلت بعض الأنبياء يلقبون بـ « أولى العزم » ، ومميزات خاتم النبيين ، والفروق التى توجد تلك الدرجات المختلفة . ويتلو هذه القطعة بحث آخر فى أن الصالحين سيخلدون فى الجنة ، وأن بعض أهل النار لن يمحشوا فيها أكثر من أيام فى حين أن الآخرين سيتلاظون بحميمها أبد الآبدين . أما الذيل فينقسم إلى قسمين ، ويحتوى على تفاصيل مسهبية حول الفوارق التى توجد بين الأنبياء والصديقين والخلفاء ، ومع ذلك أنساب كل طائفة من هؤلاء وأولئك .

ويتكون كتاب « لطائف الحقائق » من أربع عشرة رسالة . فى الأولى منها يتكلم المؤلف عن رؤيا رآها فى الليلة السادسة والعشرين من شهر

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢١٤ وجه .

رمضان سنة ٧٠٥ ، ١٣٠٥ ، ورأى فيها أنه قدّم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ؛ والثانية تعالج الأحاديث الغامضة وتبرهن على أن الرجل الملهم يستطيع ، في بعض الظروف ، أن يكتب بسهولة وسرعة تبلغ حد الإعجاز ، والثالثة تتكلم في تفسير الآية القرآنية : « قل لو كان البحر مدادا . . . » ؛ والرابعة تبحث فيما إذا كانت الأرض مسطحة أم كروية ؛ وتعالج الخامسة مسألة البعث وتفسير السبب الذي من أجله يبعث الناس اثنين اثنين معا ؛ والسادسة تتكلم عن غفران الله ومسائل أخرى متعلقة به ؛ وتحتوى السابعة على الإجابة على ثلاثة أسئلة متعلقة بوحداية الله . . . الخ ؛ والثامنة عن معجزات النبي ؛ والتاسعة التي يدور موضوعها الأساسى حول غفران الله تعرض وجوها جديدة لما قيل في السادسة ؛ والعاشر تتكلم في درجات الكمال المختلفة التي يمكن للنفس أن تصل إليها ، وتنتهى ببيان فضل درجة خاتم النبيين وآخرهم ؛ وفي الحادية عشرة حل لبعض المسائل ؛ وفي الثانية عشرة استعراض المزايا التي نستطيع جنيتها من مختلف الظروف ، والحسنات التي نألها ؛ وفي الثالثة عشرة جواب على سؤال اقترحه السلطان حول ماورد في الحديث من أنه : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » ؛ والرابعة عشرة تبحث في تفسير الأعداد .

تكون الكتب الثلاثة التي تكلمنا عنها ، مضافا إليها كتاب « التوضيحات » ، مايسمى « بالمجموعة الرشيدية » . وتوجد بالمكتبة الملكية مجموعة رائعة منها باللغة العربية . وهو مجلد من القطع الكامل ذو حجم هائل ،

وخط جميل ، وقد شكل تشكيلا تاما . ويحتوى على ثلاثمائة وسبعين وست صفحات ، وقام بنسخه ، فى سنة ٧١٠ ، محمد بن محمد المعروف بـ «زود نويس» ، أى سريع الكتابة « ونقرأ على رأس المجموعة شهادات لسبعين من علماء المسلمين يقررون فيها أن ما احتواه هذا المجلد يطابق أنقى مبادئ الاسلام ، ويوجهون أسمى آيات المديح إلى مؤلفه . ونجد هذه الشهادات بأسرها مكتوبة بالعربية فى مخطوطة فارسية تحتوى على قطعة من ترجمة المذكرات التى كان السلطان بابر^(١) قد كتبها بالتركية . أما كتاب « لطائف الحقائق » الذى يكون جزءا من المجموعة آنفة الذكر ، فإنه يوجد باللغة الفارسية بين المخطوطات التى أحضرها من الهند المرحوم السيد « أنكىتل دى پرون . Anquetil de Perron . وقد أخطأ هذا العالم ، حين أعلن أن هذا الكتاب من تأليف سيد على الهمدانى^(٢) . وقد عثرت بين مخطوطات مجموعة المرحوم الأستاذ ريو التى توجد الآن فى مكتبة سان بطرسبورج الامبراطورية على مجموعة من الخطابات التى كتبها رشيد الدين وبعث بها إلى أصدقائه وأبنائه ، وعددها خمسة وعشرون خطابا^(٣) .

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٠٧ ، ورقة ١ - ٧٠ .
(٢) زند اوستا الجزء الأول من المجلد الأول ، ص ٥٣٣ .
(٣) فهرس المخطوطات العربية ، ص ١١ .

وهكذا كان رشيد الدين يشتغل بتفسير القرآن ، ويعالج المسائل التجريدية البحتة في الأخلاق والميتافيزيقا . وفي الوقت الذي كان يجب أن توفر له هذه المؤلفات نفسها تقدير المسلمين العاملين جميعا وعرفانهم ، تراها تجر عليه عاصفة من الهجوم تسبب له أبلغ ضروب الحزن والألم . ولندع رشيد الدين نفسه يعبر عن حنقه في الرسالة التي خصصها لسرد هذه الحادثة ^(١) : « مؤلف هذا الكتاب ، العبد الحقير فضل الله رشيد الدين ، يعرض على إنصاف أعظم علماء الإسلام تلك المفتريات الظالمة التي رماه شخص جاهل حقود ، أراد بزيفه أن يبهز العامة ويشق طريقه نحو الجاه والمال . وقد بلغت به الجرأة أن شمل بمفترياته طائفة من جلة العلماء ذوى الشهرة الراسخة الذين يعتبرون اليوم من عمد الدين ، فنسب إليهم نوايا لم يعرفوها ، ورماهم بالمروق من الدين . وأراد بذلك أن يحط من قدرهم في نظر المسلمين ، وأن يجعلهم موضعاً لأقذع حديث . وأمر نبد ، بينما يحظى هو بطيب الأحذوثة وذيوع الصيت ، إذ يومه الملاءم بثوقه من قوته إلى حد أنه استطاع أن يصدر آراء تناقض ما قال به فطاحل العلماء . وسنورد هنا الاتهامات ، ونفندها بأدلة مقنعة تتفق مع العقل السليم وصحيح الأثر . ونرجو من ذوى العلم في جميع الأمصار أن يتأملوا هذا الأمر بعناية فائقة ، وأن ينتقموا لنا وللعلماء الذين أشرنا إليهم من مفتريات هذا الجاهل . ولنا أن نأمل في أن كل من يقرأ هذه الرسالة منهم يسارع بالرد على المسائل

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ ظهر ووجه ، ١٢٠ ظهر ووجه .
١٢١ ظهر .

التي تنطوى عليها ، متبعا للصدق وقواعد الإنصاف وساعيا جهده في التمييز بين الحق والباطل .

وبعد أن عرض رشيد الدين أسلوب حياته حتى تلك اللحظة وميله دائما إلى التفكير في عقائد الإسلام والمهام العديدة التي كانت تستغرق كل وقته ، واصل كلامه على هذا النحو قائلا : ظلت منذ أن اعتلى السلطان ألبايتو العرش ، لأجد أية فرصة لتسجيل فكرة من الأفكار التي طرأت في ذهني عن المسائل المتعلقة بالدين . وكنت في هذه الفترة قد بدأت بعرض نتائج تفكيري ، أحيانا ، في اجتماعات أعقدها مع رجال من ذوى الكفاءة النادرة . وذات يوم ذهبت في زيارة « لتاج الدين مؤمنى » الذى شغل منصب الوزارة مدة طويلة بمحاضرة مقطوعة النظر ، ثم هجر الجاه والمجد والثروة ، ليلجأ إلى تلك العزلة التي يقيم فيها منذ أربعة وعشرين عاما ، لا يشغله فيها غير التفكير والانكباب على العبادة . واتفق أن جرننا الحديث إلى الكلام عن أمية محمد ، فطرأت في ذهني فكرة عرضتها على تاج الدين ، وهذه هي فحواها : لقد أطال العلماء القول حول هذا الموضوع ، ومما لا ريب فيه أن آراءهم فائقة . غير أنه يبدو لي أن تعليقاتهم غير كافية ، حينما يتعلق الأمر ، بصفة خاصة ، بكائن سام كالنبي . وأدت بي هذه الملاحظة إلى النظر في الأمر بإمعان ، فألهمنى الله طائفة كبيرة من الفكر ، كلها تلتقي لدى هدف واحد ، وهو إظهار ميزة هذه الأمية . وعضدت رأيي بأدلة مفحمة ، كفيلة بإقناع أعصى العقول وأشدّها

إنكاراً . فأضفت أفكارى إلى أفكار العلماء الذين سبقونى ، وجمعتها كلها فى مجلد واحد ؛ وأطلعت تاج الدين على عملى فرضى عنه كل الرضاء ، ثم قال لى : لقد جئت بفكرة جديدة لم يسبقك إليها أحد ، وبينت حقيقة ذات أهمية عظمى . فشجعتنى هذه الشهادة ، وأقبلت من فورى على تحرير رسالتى عن أمية النبى . وفى هذا الحين كان يوجد فى تبريز عدد كبير من العلماء ، بعضهم من أهل هذه المدينة والبعض الآخر ممن وفدوا عليها من أقطار بعيدة كمصر والشام ، وكان من بينهم قاضى قضاة ذائع الصيت بعث به ملىكه فى رسالة خاصة . فلم يكدهؤلاء الأفاضل يسمعون برسالتى ، حتى طلبوا منى الإذن بنسخها وحملها إلى بلادهم ، ليقدموها هدية لعلماء الإسلام .

ولما كان من شأنى أن أكون دائماً مقتصداً فى كلامى ، حريصاً على ألا أحاكى الكافرين الذين يتواصون بالكذب ، لم أدع مطلقاً أنى تلقيت وحياً فى المنام أوفى اليقظة ؛ ولكن ما أستطيع أن أوكد من خبرته ومعرفة ، أنى منذ اللحظة التى بدأت فيها بتحرير هذه الرسالة ، شعرت بنور منبعث من النبى يضىء جوانب ذهنى ويهينى القدرة على التفكير فى حقائق الدين والوصول إلى أطيب الثمار . واستطعت ، بفضل هذه الهبة الثمينة التى كانت فى تزايد مستمر ، أن أنفذ إلى غور بعض الأسرار الربانية وأن أكتشف ، حول تفوق محمد ، عدة اكتشافات جديدة لم يفتن إليها أحد ممن سبقونى . وهذا الذى أقرره هنا حقيقة لا ريب فيها ، ويستطيع من شاء أن يحكم على صدقه بالمؤلفات الضخمة

الثلاثة التي أنجزتها، والتي تضم بين دفتها جحفا من الأفكار البكر والمناقشات العميقة حول أهم نقط الدين .

« ومن اليسير ، إذن ، أن يدرك المرء أن الأنوار التي تطلبها تأليف هذه الكتب كانت هبة من الله ، وأثرا من آثار رعاية رسوله . وهذا ما أقر به العلماء الذين تكلمت عنهم ، وقرروا بالإجماع أنه لا يمارى في هذا الامر إلا جاهل حسود أحق .

« وبالرغم من أن هذه المؤلفات قد كتبت في فترة جد وجيزة ، فقد حازت إعجاب عدد كبير من العلماء الذين أجمعوا على الشهادة بأن كثيرا من الكتاب البارعين لم يستطيعوا أن يصلوا بعد البحث الطويل والتفكير العميق إلى ما وصلت إليه أنا في ذلك الزمن القصير .

« ولكننا نعرف بالتجربة أن كثيرا من الناس الذين جاءوا إلينا في فترات مختلفة يلتمسون مطالب غير عادلة أولا أساس لها ، ولم تحقق لهم رغباتهم لاستحالة تحقيقها ، امتلأت نفوسهم بالحقد علينا ، وحصبوا همهم في الانتقاص من قدرنا ، فراحوا يشيعون عنا المفتريات ويكيلون لنا زائف التهم . ولما كان سلوكنا ، والله الحمد ، لا يتيح لهم أى مطعن في طهارته ، فقد راحوا يتهموننا بأننا ندين باليهودية ، بالرغم من أنه لم يبد علينا نحو هذا الدين إلا النفور والبعد الشديد . وكنا حين نعلم بهذه المفتريات المغرضة نألوعلى أنفسنا ألا نرد عليها ، تاركين مجازاة أصحابها إلى الله ورسوله . ومع ذلك فإنه يحسن

بينا هنا أن نوجه النظر إلى ظاهرة في غاية الغرابة : وهي أنهم كانوا ينظرون إلى ، قبل أن أكتب شيئاً عن تفوق النبي وأبحث بعض المسائل الدينية الهامة ، على أنني مسلم صادق الإسلام ، ولم يطعن أحد في نقاء ديني . أما اليوم ، وقد بينا بالحجج الدامغة مقام النبي محمد وسموه على جميع الأنبياء ، وفندنا بالحجج القاطعة مزاعم اليهود والنصارى ، وبرهنا لهم أن دينيهما قد نسخا ، وأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد ؛ أما الآن وقد حظيت مؤلفاتنا بالرضاء الشامل واستحقت ثناء أجل العلماء في عصرنا ، فقد قام بعض الجهلة بالتهجم علينا واتهامنا بمفتريات من الأولى أن توجه إليهم هم أنفسهم . وكان من أيسر الأمور علينا أن نعاقبهم ، ولوعاقبتهم لما كان في سلوكنا شيئاً لا تعضده مبادئ القرآن الكريم والحديث لصحيح وفتاوى الفقهاء ؛ ولكننا رأينا أن خير انتقام لنا هو فشل هؤلاء المغتايين فيما قصدوا إليه ، وأنهم لم ينجحوا من سوء قصدهم إلا العار الأبدى والتردى في وهدة الكفر واستحقاق جهنم التي تنتظرهم يوم القيامة .

« أما الرجل الذي تكلمت عنه في بداية هذه الرسالة والذي لا أرغب في ذكر اسمه ، فإنه لم يقيم بمهاجمتي إلا مدفوعاً بهذه البواعث : وذلك أننا لما أخذنا في تنفيذ وصية المغفور له السلطان غازان خان ، عينا عددا من العلماء وجعلنا لهم الحق في نصيب سنوي من ثمره الأوقاف الخيرية لهذا الأمير . ولما كانت هذه الأنصبة أضخم من جميع الأنصبة الأخرى التي من هذا القبيل ، فقد حرص الجاهل الذي تكلم عنه على أن يفوز منها بنصيب ، ووسط إلى عددا

من الأشخاص ليكلموني في هذا الصدد. فأجبتهم بأن الاختيار قد تم وانتهى،
وأنه لوجاءني قبل ذلك لاستطعت أن أجيبه إلى طلبه ، ولكن القائمة الآن
قد تمت وأغلقت . وقلت إن جميع الأشخاص الذين شملتهم ، كلهم من العلماء
الممتازين ، ولذا لا يصح لى أن أعمل على حرمان أحد منهم من شيء يستحقه
بكل جدارة . ثم أضفت قائلاً : هذا فضلاً عن أنى أعلم علم اليقين أن الشخص
الذى ترجونى من أجله ، وإن كان من سلالة أسرة جلييلة ويظهر الكثير من
الورع والتقوى ، فإنه يقرض ماله بالربا ويرتكب أفعالا يحرمها دين الإسلام .
ورجل هذا سلوكه ، لا يصح له أن يتطاع إلى إحسان خصص لأعمال البر وحدها ،
ولاسيما إذا لم يكن فى حاجة إليها ، وكانت المدينة ملاءى بالفقراء . ونزید على
ذلك أن أخاه الأكبر قد جاءنى هنا مرارا عديدة يشكو إلى منه مر الشكوى ،
ويقص على أفعاله التى يندى لها الجبين . فبعد كل هذا ، كيف يتأتى لرجال
أفاضل أن يهتموا هذا الاهتمام بشخص لازمة له ولادين ؟ أنا أعتقد أنه من
الأولى أن ندعوه إلى الإقلاع عن هذه الحياة التى انغمس فيها حتى الآن . فإذا
ارعوى عن غيه وسار فى طريق الفضيلة ، ثم ترك أحد الذين تضمهم القائمة
مكانه شاغرا ، استطعت أن أمنحه إياه عن طيب خاطر . ولما نقل هذا
الحديث إلى أسماعه ، امتلأت نفسه غلا على ، وعلى أولئك الذين أوصوا بمن
أدرجنا أسماءهم فى قائمتنا وتوسطوا لهم فى الحصول على هذا التكریم . ولما
عجز عن إيجاد وسيلة للانتقام ، هداه وهمه السقيم إلى أن يشيع ضدنا ريبا مختلفة
لأصل لها .

« وكان السلطان أجايتو ، ذلك الأمير المستنير ، يكرر لى دائماً ، فى أثناء الأحاديث التى كانت تجرى بينه وبينى ، أن العالم هدف دائم لهجوم الجاهلين والحاسدين ، وأنى لابد أن أكون عرضة لذلك ، ما دمت أحتل منصبا هاما وأملك ثروة ضخمة ، ويقول : لذلك يجب أن تراعى فى مؤلفاتك وأحاديثك أقصى الحذر ، حتى لا تفتح لعدوك أية ثغرة للطعن فىك . وأجبتة بأن الكاتب لا يمكن أن يعبد الحاسدين والطاعنين ، وأن الأنبياء أنفسهم وأجلة الأئمة المسلمين لم ينجوا من أخط الاتهامات ، وأن الغزالي والإمام فخر الدين الرازى ، وهما من أعلم أهل الأرض ومن انتشرت كتاباتهم الرائعة فى كل مكان ، لم يساما من كيد الحاسدين ودس الجاهلين الذين نجحوا فى العمل على إحراق جزء من مؤلفاتهما ؛ ولكن ذلك لم يمنع ذوى العقول المنيرة أن يعملوا منذ هذه الفترة على تلقى نتائج قرائح هذين العالمين الكبارين ببهجة لاتعادلها بهجة ، حتى أن الكتاب الواحد من كتبهما يبع فى بعض الأحيان بخمسمائة وبألف دينار ذهبى . وأضفت أن هذا الشئ نفسه قد وقع لعدد كبير من العلماء ، وأن السوء الذى ينبجم عن المكائد والأعمال الخبيثة لابد أن يرتد إلى مرتكبه . هذا ولما كانت مدينة تبريز مقر الملك وملتقى لجحافل المشاهير والرجال الممتازين بالعلم والنورانية وفطاحل القضاة ، فإنى أضع تحت أيديهم مؤلفاتى ، لكي يقرؤوها ويفحصوها بكل عناية . والحقيقة التى لامراء فيها أنه لا يمكن لرجال كرسوا السنين الطوال من حياتهم لتحصيل العلوم وسبر أغوارها إلا أن يكونوا

قضاة عدولا مستنيرين ، ولا يسع عاقلا أن يظن فيهم السكوت على فكرة أو عبارة تصيب حقائق الدين الأساسية بأقل غبار . ولست أشك في أنهم إذا وجدوا في مؤلفاتي خطأ أو إهمالا ، فلن يتوانوا عن تصحيحه ، وأن مؤلفاتي ستصبح بعد فحص هؤلاء الرقباء الأجلاء لها جديرة بدخول مكتبة السلطان .

ولما وافق أجليتو على اقتراحي ، أرسلت من فوري إلى تبريز كتاب «التوضيحات» الذي يحتوي على تفسير بعض آيات القرآن ، ومعه عدة رسائل تدور حول المسائل الميتافيزيقية . وكتبت إلى كبار علماء هذه المدينة أرجوهم أن يقرأوا كتابي ويصححوا كل ما يجدون فيه من خطأ أو ضلال . ولما أتموا قراءته ، كتب كل منهم إلى شهادة مفصلة مفعمة بالمديح عبر فيها عن رضائه عن طريقتي ، وشهد بحقيقة آرائي ، وحثنى على تكريس أوقات فراغي لتأليف مثل هذا الكتاب . وكان من بين علماء تبريز الذين وجهت إليهم رسائلي هذا الطاعن نفسه الذي قرأ كتابي وأقره كما فعل الآخرون . ولما رد إلى الكتاب مصحوبا بشهادات هؤلاء الأغلام ، عرضته على ذوى العلم والقضاة الذين كانوا في البلاط السلطاني ، فرضوا عنه جميعا دون استثناء ، ووجهوا إلى عملي أسمى آيات التكريم ، واستهلوا شهاداتهم بعبارات تجمع بين روعة البلاغة ورقة المديح . هذا إلى أنهم قد أكدوا ، في حضرة السلطان ، كل ما كتبوه عنى بهذا الصدد ، وقدموا له تقريرا مشرفا عن جودة كتابي وامتياز الآراء التي اجتواها . ولما عقد الرجل الذي تكلمت عنه عزمه على مهاجمتي ، سعى لدى

كثير من العلماء ليحماهم على معاونته في جهوده . ولكنه لما لم يجد أحدا يتابعه
في عدوانه ، ذهب ذات يوم إلى مجلس وعظ للإمام جلال الدين البخارى ،
وإن لم يكن من عادته قبل هذه الفترة أن يذهب إلى مثل تلك المجمع .
وكان قد حمل معه بضع جمل صنعها بنفسه وزعم أنها صادرة عنى ، فناولها إلى
أحد الحاضرين ورجاه أن يسأل الواعظ رأيه فيها . ولما لم يكن في وسع البخارى
أن يجيب إلا على السؤال الذى وجه إليه ، فقد أعلن استنكاره للآراء التى
عبر عنها . ولكن أحد العقلاء استوقفه لدى نزوله من فوق المنبر وقال له :
ياسيدى ، أسمعت قط مثل هذه الأفكار تصدر عن رشيد الدين ، وهل قرأت
شيئا من هذا القبيل فى الكتاب الذى أصدره حديثا ؟ فأجابه البخارى بالنفى .
ورد عليه ذلك الرجل قائلا : إذن كيف جاز لك أن تصدق أقوال تمام ، وتقول
حماقلته فى جمع عديد ؟ وفى نفس الوقت أحضر له كتابى ، فقرأه البخارى حتى
آخره ، وسر به إلى أقصى حد . وقال : معاذ الله أن يتعرض مؤلف مثل
هذا الكتاب للهجوم والنميمة والنقد الجائر ! أما من جهتي ، فإنى لم أكن سىء
النية فى كل ما قلت ، ولم أفعل إلا أن أجبت على سؤال وجه إلى . ولم يكتف بذلك ،
بل صعد المنبر مرة أخرى وسحب الكلام الذى أعلنه فى الجلسة السابقة معتذرا
بأن الذى وجه السؤال والذى أملاه عليه قد غررا به ؛ لأنهما مسخا معنى الفقرة
مسخا تاما ؛ وفى نفس الوقت أشاد بكتابى أيما إشادة . ولما رأى خصمى أن محاولته
قد فشلت ، صعد هو المنبر وألقى على الجمهور حديثا مقعما بالمفتريات الشيعة
(١١ - جامع التواريخ)

يرمينى فيها بالكفر، أنا وجميع العلماء الذين حبذوا عملى وسجلت شهاداتهم فى رأس كتابى . وكان يأمل ، حين تستر وراء أدلته الخداعة الغامضة وعرض الأمر على مستمعيه بصورة مضللة ، أن يخدعهم ويثيرهم على هؤلاء العلماء وعلى . ويقدمنا طعمة سائغة لأفخس الأقوال ، وأن يحصل فى نفس الوقت على حسن الأحدثوة وذيوع الصيت لنفسه . ورأى بعض ذوى العقول الراجحة أنه لا يمكن أن يكون هذا العمل إلا نتيجة الغل والحسد ، فاستدعوا هذا المختاب للمثول أمام عدد من ذوى الشخصيات البارزة ، وأرغموه على توضيح مقاله وعلى بيان البواعث التى دفعته إلى القيام بهذا العمل والإدلاء بما لديه من أدلة تثبت صدق مادعى . فأنكر ماسبق له أن قاله ، وأجاب بحديث مصنوع مليء بالزيف والزخرف . ولما لم يكن هناك عالم أو شخص آخر يستطيع الكلام باسمى ويرغمه على إيضاح موقفه بصورة قاطعة ، فقد انتهى الاجتماع دون الوصول إلى نتيجة .

ولما أخبرت بمفتريات خصمى ، أدركت على الفور أن حقه على منبعت . عن رفضى لطلبه . ومن حيث إنى أعلم أن فطاحل العلماء فى كل عصر لم يسلموا من مفتريات الحقد والنميمة ، رأيت أن أحتقر كلام هذا الخصم ومساغيه ، وألا أظهر أى أكثرات بها ؛ ولكن كبار الرجال المعروفين بالمعيتهم وعظاء الفقهاء أجمعوا على أن السكوت فى هذا الظرف الذى أريد فيه الخط من قدر العلم وذويه يعتبر جريرة لا تغتفر ويخالف مبادئ الدين ؛ فاجتمعوا

وحرروا مذكرة عرضوا فيها الأمر على حقيقته ، وسجلوا فيها كلماتي بنصها
وكلام خصمي وفندوه بنداً بنداً . وختموا كلامهم بالقول بأن الرجل الذي
يجرؤ على إصدار هذه المفتريات يجب أن ينظر إليه على أنه نجس وكافر .
وأحضروا إليّ هذه المذكرة مذيّلة بتوقيعاتهم . وطلبوا إليّ أن أضعها في ذيل
رسالتي ، وأن أترك مكاناً أبيض لكي أتيح الفرصة لذوي العلم في جميع المدن
وفي كل العصور ليسجلوا فيه آراءهم ، ثم قالو : وذلك لأننا مقتنعون بأنهم
جميعاً ، دون استثناء ، سيشاركوننا رأينا ، وسيجيئون نفس جوابنا على الأسئلة
المعروضة عليهم .

وقد ألف رشيد الدين ، فضلاً عن الكتب التي تكلمنا عنها ، مؤلفاً
لم يصل إلينا ، وعنوانه « بيان الحقائق » . وهو يتكون من سبع عشرة رسالة
يفصل لنا المؤلف مضمونها على النحو التالي :

الرسالة الأولى في سؤال للسلطان أجايتو ؛ الرسالة الثانية في نصيحة
السلطان ؛ الرسالة الثالثة في سوءات العلماء ؛ الرسالة الرابعة في تفسير آية :
« وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا ... » ؛ والخامسة في تفسير الآية : « وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ » ؛ والسادسة في تفسير سورة : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » ؛ والسابعة
في بيان حقيقة الألوان ، تفسير آية : « اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » ؛

الرسالة الثامنة . . . ؛ الرسالة التاسعة في بيان فوائد زيارة المشاهد ^(١) ومقابر
الأكابر ؛ العاشرة في نصيحة الإخوان ؛ الرسالة الحادية عشرة في تحقيق
سبب الجدرى، والاعتراضات على ما قاله الأطباء ؛ الثانية عشرة في بيان حقيقة
الحرارة وأنواعها ؛ الثالثة عشرة ذيل نفائس الأفكار في بيان دوام الخلود في
الجنة والنار ؛ الرسالة الرابعة عشرة في بيان حقيقة الخرقه ^(٢) ، ومناسبة نسبتها

(١) كلمة مشهد تقابل الكلمة الإغريقية الكنسية المرادفة للكلمة اللاتينية : Martyrium
(انظر دى جانج De Gange Glossar mediæ et infimæ graecitatis ،
مجلد ١ ، مجموعة ٨٨٣ ، ٨٨٤ ؛ Suiceri Thesaurus ecclesiasticus
مجلد ٢ مجموعة ٣١٩ ، ٣٢٠ ؛ ورشيد ، Rasweyde ، Onomasticon ad vitas ،
Patrum . Clossar. ad scriptores mediæ et infimæ latinitatis
مجلد ١٦٧٨ ، مجموعة ٤٧١ ؛ Godex Theodosiamus ،
كتاب ٩ ، قسم ٧ ، مجلد ٣ ص ١٥٢ ؛ ثم ملاحظات جد فروا Godefroy ، (على
هامش ص ١٥٣ من هذا الكتاب) . وهو يدل على المكان الذى دفن فيه رجل مات
وهو يحارب في سبيل الدفاع عن الدين الإسلامى . ويطلق الشيعة هذا الاسم بوجه خاص
على الأضرحة المقامة تكريماً لذكرى أئمتهم .

(٢) فى المخطوطة « الخرقه » ، ولكنى رأيت أن أقرأها (الخرقة) ، وتدل كلمة الخرقه
على رداء من النسيج الخشن يتميز الصوفيون بلبسه وينتقل بينهم من الشيخ إلى مريد .
وكثيراً ما تذكر الكلمة بهذا المعنى فى الكلستان لسعدى وفى غيره ، وتقرأ فى الكامل لابن
الأثير (المخطوطة ، جزء ٦ ، ص ١٣٠) « لبس خرقه التصوف » ؛ وفى تاريخ قضاة مصر
لأسخاوى (مخطوطة عربية رقم ٦٩٠ ، ورقة ٥ وجه وظهر) : « لبس الخرقه
الصوفية » ؛ وفى (ورقة ٩٩ وجه) : « لبس الخرقه » ؛ وفى ورقة (١٠٩ ظهر)
« لبس منه الخرقه الصوفية » . ويمكننا أن نرى تفاصيل واسعة عن هذا النوع
من اللباس فى الكتاب العربى المسمى « عوارف المعارف » (مخطوطة عربية رقم ٢٧٥
ورقة ٣٧ وجه وما يليها) . ويميز المؤلف نوعين من الخرقه . الأولى تسمى « خرقه
الإرادة » ، ويلبسها البتدئون . والثانية تسمى « خرقه التبرك » ويلبسها الأشخاص الذين
يحبا كونهم فى ممارسة رياضات الحياة التأملية . (المرجع السابق ورقة ٣٩ ظهر) . ويعتقد
بعض المتصوفة أن الخليفة على كان أول من لبس الخرقه وأنه خلعها على الحسن البصرى . =

إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ الرسالة الخامسة عشرة في شرح حديث :
« أنا مدينة العلم وعلى بابها » ؛ الرسالة السادسة عشرة في شرح المعقول
والمنقول ؛ الرسالة السابعة عشرة في النسخ والنسوخ .

يجدر بنا ، بعد أن تكلمنا عن مؤلفات رشيد الدين ، أن نبين الاحتياطات
التي اتخذها لمنع ثمره عمله وبجته من أن تندثر إلى غير رجعة ، ويحل بها نفس
المصير الذي حل بالكثير من الكتب الممتازة التي يأسف لضياعها كل من
يعلقون شيئا من الأهمية على الثقافة والأدب . فلكي يتجنب رشيد الدين مثل
هذه الكارثة ، لم يهمل اتخاذ أى إجراء توحى به الحيلة . ولدينا الدليل على
ذلك في وصية له نجدها على رأس مجموعة كتبه الدينية ، وهذه خلاصتها :
هذا ما يقوله ^(١) . . . فضل الله رشيد الدين بن أبي الخير . . . وأنه قد
صنف غير هذا كتبا أخر في كل فن ، وقد كتب من كل منها نسخا كثيرة
مفردة ؛ وكثير من الفضلاء قد طالعوها واستكتبوها لأنفسهم . وأيضا قد

== (انظر مال كولم Malcolm ، تاريخ فارس History of persia ، ص ٣٩٤-٣٩٦ ؛
والسيد البارون - سلفستردى ساس « پند نامه » أى كتاب النصائح ، ص ٦٣ ؛ ملاحظات
على المخطوطات ومقتطفات منها Notices et extraits des manuscrits ،
مجلد ١٢ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦) . ولما كان المتصوفة يعتبرون عليا أعظم متبع لمذهبهم ،
فإنهم يلقبونه بـ « شاه ولایت » ، أى ملك الأولياء . انظر دولتشاه (تذكرة الشعراء ،
مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ورقة ١١٠ وجه) ؛ وخوندمير (حبيب السير) وغيرها .
(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١ وما يليها .

أمرنا بنسخ توضع في المسجد الذي أقناه في تبريز ، والذي هو جزء من
الربع الرشيدى ، لينسخ منها من أراد . وأيضا ، جعلنا بعضها في جلد
واحد مجموعة ، وبعضها مفردا ، كما يجيء تفصيلها . وأيضا ، لما أردنا أن
نضع صور الأقاليم على قاعدة الحكماء ، على وجه أقرب إلى الفهم وأبين ،
وأن نضبط المواضع التي لم يضبطها أحد كما ينبغي ، وأن نبحت عن
الولايات على وجه يستند إلى مشاهدة الثقات وأرباب الخبرة والعيان
وكما هو الواقع ، بحيث يقع المطالع المتأمل فيها على أحوال المسالك والممالك
أكثرها ، وكان من الضروري أن تكون أوراقها أكبر ليحصل الغرض
المذكور أسهل وأيسر ، فلا جرم جعلنا أوراقها بحيث كل منها مقداره ستة
أطباق من القطع البغدادى المعهود ^(١) . ولما تيسر مثل ذلك القطع الكبير ،

(١) كلمة قطع تستعمل لدى كتاب العرب في غالب الأحيان بمعنى صحيفة من الورق نفسه ،
فنقرأ في السلوك للمقرئى (مخطوطة عربية رقم ٦٧٢ ، مجلد ١ ، ص ٥٦٢ : « الكتاب
هو من قطع نصف البغدادى » وفي كتاب خليل الدهرى (مخطوطة عربية رقم ٦٩٥ ورقة
٤ ظهر) : « الكتاب مشتمل على ستين كراسة من قطع الكامل » . وفي كتاب
الإشياء (مخطوطة عربية رقم ١٥٧٣ ، ورقة ١٢٠ ظهر) : « أكبر ما يكون من قطع
الورق » . وأيضا : « ما وضع في النقطة من القطع الكامل » . وفي تاريخ مصر لأبى
المحسن (مخطوطة عربية رقم ٦٦٣ ، ورقة ٤٩) : « الكتاب مكتوب بخط غليظ في
تصف قطع البغدادى » . وأخيرا نجد عبارة « قطع البغدادى » في تاريخ مصر الذى يملك السيد
مارسل مخطوطة منه ، وتفضل بإعارتى لها . (انظر ورقة ١٠٦) . ويذكر السخاوى في
تاريخه عن قضاة مصر (مخطوطة عربية رقم ٦٩٠ ورقة ٨ ظهر) كتابا يتكلم في أمور
مختلفة ، ويتكون من أربعين مجلدا . وكانت هذه المجلدات مكتوبة على لوحات مربعة من ورق
بلاد الفرنجة ومصر . وكانت خمسة من هذه المجلدات مكتوبة على أكبر ما يكون من =

= القطع ، وتكون من نصف قطع الشام ، وكانت ثلاثة منها أو أقل مكتوبة على قطع الكامل .

ويقول ابن خلدون في المقدمة « وكانت السجلات ، أولا ، لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك مع ذلك ؛ فاقصر على الكتابة في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا إلى الصحة والإتقان . ثم طما بحر التأليف والتدوين ، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه ؛ وضاق الرق عن ذلك ، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد . وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه . واتخذ الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية . وبلغت الإجادة في صناعته ماشاءت » . ونجد في كتاب « الإنشاء » الذي أشرت إليه من قبل تفاصيل واسعة عن هذا الموضوع ، تلخصها فيما يلي (انظر المخطوطة العربية رقم ١٥٧٣ ، ورقة ١٧٦ وجه وما يليها) . : « كلمة ورق اسم الواحدة منها ورقة وتجمع على ورقات ، ثم جاء جمع آخر هو أوراق ؛ ومن الكلمة اشتق لفظ « ورق » . والقرآن يستخدم للدلالة على الورقة كلمة « قرطاس » (في الآية) : « ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس » . (سورة ٦ آية ٨) ؛ والجوهري يكتبها « قرطس » دون ألف . ويستعمل أيضا كلمة صحيفة للدلالة على نفس المعنى في قوله : « إن هذا لفي الصحف الأولى » (سورة ٨٧) . وتجمع صحيفة على صحائف . وسمى الكتاب مصحفا ، لأنه يجمع صحائف عديدة . ويسمى الورق أيضا « كاغدا » و « طرسا » و « مهرقا » . ويؤكد الجوهري أن هذه الكلمة الأخيرة من أصل فارسي واتخذت الطابع العربي . ويسمى أيضا سجلا ، كما في الآية القرآنية : « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب » (سورة ٢١ ، آية ١٠٤) ، كما أن القرآن أيضا يسمى الجلد بالرق في قوله « في رق منشور » (سورة ٥٢ ، آية ٣) .

« ويجدر بنا أن نعرف أن الشعوب القديمة كانت تستعمل مواد مختلفة للكتابة : فالصينيون كانوا يستعملون ورقا مصنوعا من الخيش والكلا ؛ وعنهم تعلم العالم صنع الورق . وكان الهنود يكتبون على نسيج من الحرير الأبيض والجلود المدبوغة والأحجار البيضاء الرقيقة المعروفة بالخفاف ، وعلى عسيب النخل وعظام كثاف الجمال والغنم . (أعتقد أن هذا الكلام لا بد أن يكون قد داخله خلط أو سقط ، وأن هذا الذي ينسب إلى الهنود يراد به الفرس) . ولما كان العرب يجاورون هذا الشعب ، فإنهم اتبعوا طريقته وظلوا يتبعونها حتى عهد النبي . فإن رسول الله كان يستخدم الجلود دائما تقريبا لكتابة رسائله . وقد أجمع الصحابة على كتابة القرآن على الرق ، لما لأنه أكثر من غيره مقاومة للبلل ، ولما لوجوده لديهم بكثرة . ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة ، اقتصر على استخدام الرق في ديوانه ، لكي يحترق المكتوبات الصادرة منه عن غيرها . وقد بقي الحال على هذا النوال حتى عهد الرشيد . =

وفي هذه الفترة كان الورق قد شاع، فأمر الرشيد بالاعتصار على استخدامه، لأنه يمكن نحو الكتابة التي على الرق والمواد الأخرى التي من قبيله وإحلال غيرها محلها، في حين أنه لا يمكن نحو ما كتب على الورق دون أن يترك ذلك آثاراً ظاهرة. ومنذ ذلك الحين انتشر استعمال الورق في جميع الأقطار. وكان يصنع الورق من نبات القنب الذي تبلغ أقصر سيقانه طول عود القصب الفارسي. وهو يسمى أيضاً الخندريس كما تسمى بذوره بالشدائق. وهذا النبات ينمو أيضاً في بلاد الفرنجة كما ينمو في بلاد الشرق. وقد تكسر أعواد القنب وتبرى حتى تدق، ثم تصنع منها حبال تستخدم في توجيه السفن. وجنبا تفقد قوتها تباع لمصانع الورق لتصنع منها هذه المادة. وتتوقف جودة الورق على رطوبة الأرض التي يصنع عليها، والفصل من السنة الذي يصنع فيه، وكذلك على درجة تقعه في ماء الجير والعناية بغسله وبقاء الماء الذي يستعمل في ذلك ونضج النبات المستعمل ومقدار صقل الورق نفسه بحكمة من الجهتين بالزجاج. وأجوده ما صنع في فصل الربيع. وهناك عدة أنواع من الورق. والذي يستخدم منه في الدواوين على ثلاثة أنواع: النوع الأول الورق البغدادي الذي يرد من مدينة بغداد، وهو أندر الورق. ولا يستخدم إلا في الإقطاعات والصكوك والولايات والرسائل السلطانية. فقد كان الأمراء فيما مضى لا يكتبون رسائلهم إلا عليه، ولكن قدرته المتزايدة وجهت الأذهان إلى إنشاء مصنع في دمشق كان إنتاجه يكاد يضاهي ورق بغداد. والنوع الثاني هو ورق الشام الذي يصنع في دمشق، والموجود منه ثلاثة أصناف: أولها الورق المحوى الذي احتفظ بهذه التسمية، لأنه كان في بادئ الأمر يصنع في مدينة حماه، ولكن مصنعته نقل بعد ذلك إلى دمشق. وهو لا يستعمل في الدواوين إلا قليلاً. والثاني ورق الشام المشهور في هذا القطر، والورقة منه تسمى «الفرخة»، والدست يسمى «الكفة». وهو يستخدم في دواوين الشام والأقطار الشرقية واليمن وبلاد الروم (اسيا الصغرى) والحجاز. ولا يستخدم هذا الورق في الديوان السامي إلا في نسخ التذاكر وما هو من قبيلها. وقد يستعمل في ديوان الرسائل، ولكن من أجل السجلات فحسب، ومع ذلك فقد كانت تستعمل أحياناً في المراسلات والأوامر السلطانية بالتولية: غير أن ذلك لم يكن يحدث إلا في أثناء الرحلات التي يقوم بها رجال الديوان في صحبة السلطان وعند انعدام الورق المصري، بل وفي هذه الحالة كان على كاتب السر أن يطلب الإذن من السلطان، وأن يصدر السلطان إليه أمره الصريح بذلك؛ إذ أنه كان للورق المصري مكانة خاصة في كل الأقطار وفي قصور الملوك جميعاً. وكان كافل السلطنة وحاً كم كركها وحدها اللذان لها الحق في استخدام الورق الأحمر في خطاباتهم إلى القصر. البصنف الثالث ورق الطير الذي يسمى أيضاً ورق البطائق. وهو ضيق الهامش إلى أقصى حد، ولا يستخدم إلا في كتابة البطائق التي ترسل تحت أجنحة الحمام. أما النوع الثالث =

== من الورق فهو الورق المصرى ، ويعرف منه ثلاثة أصناف : الصنف الأول هو الورق المنصورى الذى يعتبر أوفى الأوراق وأرحبها حجبا ، ويستخدم فى كتابة دروج الولايات وفى المراسلات الرئيسية لديوان الرسائل . والورقة منه تسمى فرخة . وكل خمس وعشرين ورقة منها تكون دستا ، فإذا اجتمعت خمسة دسوت كونت رزمة . وفيما مضى كانت الورقة الواحدة تسمى طومار - والجمع طوامير ، وهى كلمة مشتقة من « طمر » بمعنى أخفى ، وذلك لأن الخطاب المسمى « درجا » كان يطوى حتى لا يمكن قراءة محتواه . أما من جهة الحجم ، فإن هذا الورق يشتمل على صنفين . أولهما ما كان يستخدم فى بغداد لعهد الخلفاء ، وينقسم إلى خمسة أقسام . فيذكر محمد بن عمر المدائنى فى « كتاب القلم » أنه كانت تستخدم ثلثا الورقة للكتابة إلى الخلفاء ونصفها للكتابة إلى الأمراء ، وثلثها للكتابة للرؤساء والكتاب ، وربعا إلى التجار ومن فى درجتهم ، وسدسها بالنسبة إلى العدادين والمساحين . ويقول المؤلف إن هذا هو أصل الأحجام التى لا تزال تستعمل فى عصره ، وثانيهما ما كان يستخدم فى دواوين الرسائل حتى عهد المؤلف ، وينقسم من حيث الحجم إلى تسعة أقسام ، الأول الطومار الكامل الذى كان الدرج منه ذراعا ونصف ذراع من ذلك الذى يستخدم فى قياس النسيج ، وكان أول صنعه فى عهد الملك المؤيد شيخ ٨١٥ ، ١٤١٢ - ١٣ على نهج الورق البغدادى ، وهذا هو الورق الذى تلقى عليه شيخ أمر ولايته من قبل الإمام المستعين بالله أبى الفضل العباسى ، وذلك أن هذا الأخير ، حينما كان خليفة وسلطانا فى آن واحد ، كان قد منح « شيخا » جميع الحقوق فيما عدا حق الخلافة ، وذلك قبل أن يخلع على شيخ لقب السلطان رسميا . ومنذ ذلك الحين أصبحت جميع الوثائق التى من هذا القيل تكتب على الطومار الكامل . القسم الثانى هو الورق الذى فى حجم البغدادى ، أى الذى عرضه ذراع واحد مما يستعمل فى قياس النسيج . وهذا هو الورق الذى كان أمراء مصر ، منذ بداية العصر التركى ، يكتبون عليه العهود ، كما كان خانات إيران وتوران يكتبون عليه رسائلهم . أما الرسالة التى كتبت فى سنة ٨٣٢ ، ١٤٢٨ - ٢٩ لمحمد خان عاهل خوارزم ودشت قاپتشاق فقد كانت على الورق المنصورى الذى يقل أصبعين عن حجم الكامل ، وذلك لعدم وجود الورق البغدادى . القسم الثالث الورق البغدادى الناقص الذى ينقص أربع أصابع عن قطع البغدادى الكامل . وهو الورق الذى كان يستخدم فى مصر لدى سلاطين دولة المماليك الثانية . وعليه كتب أمر ولاية الناصر فرج حينما جلس على العرش لتعذر الحصول على البغدادى فى هذا الأوان . ومنذ ذلك الحين اتخذ سلاطين مصر لمراسلاتهم . القسم الرابع الورق المسمى بالثلثى ، أى الذى يبلغ ثلثي القطع المنصورى الكامل ، وعرضه ثلثا ذراع . وهو الذى يكتب عليه تقليد النائب الكافل بالشام وكبار الحكام ومناشيرهم وتقليد صاحب ديوان الإنشاء والوزير والأستادار والكتخدا والمعارض وقضاة القضاة ==

== الأربعة وحاكم الإسكندرية . والقسم الخامس يشمل الورق الذي قطعه نصف القطع المنصوري الكامل ، وعرضه نصف ذراع . ويستعمل لكتابة بعض رسائل التقليد والتفاويض ومعظم المساميح وأوامر السلطان لأمرأء الطبلخانة ومقدمي الألف المعينين بالشام والرسائل الموجهة للطبقة الثانية من الملوك وأصحاب المناصب الدينية والإدارية وشيوخ المشايخ وكبار رجال الدين والإدارة بمملكة الشام ومدينتي دمشق وحلب . والقسم السادس يبلغ قطعه ثلث قطع المنصوري : فعرضه ثلث ذراع . ويستخدم في كتابة الجزء الأكبر من الحواشي والمساميح والبراءات الصغيرة الموجهة إلى حكام الحصون وأمرأء الطبقة الثالثة ومن في درجتهم مثل أمرأء الفرس الذين كانوا في خدمة ملك الفرس ، وكذلك يستعمل في كتابة تفاويض الأمرأء العشراوات ورجال الدين والإدارة من الطبقة الثالثة . ووراق الديوان هو الذي يحتفظ بهذا الورق ويجمعه . ولا يخرج ورقة واحدة من الحزمة إلا إذا عرف أنها ستوجه حقيقة إلى الشخص المرسل إليه ، ولا يفعل ذلك إلا بأمر رئيس الديوان . وحجم الورقة يتناسب مع سمو المكان ، لا مع الشخص الذي يشغله . والقسم السابع ينحصر في الورق العادي أو قطع العادة ، كما يسميه المؤلف ، ويبلغ اتساع الورقة منه ربع ذراع وقيراطا . وهو يستخدم في كتابة التواقيع والرسائل الصغيرة والبراءات الخاصة بقواد جنود الحلقة وبراءات الأمرأء الصغار بأقاليم الشام والتركمان الذين يرسلون لمحاربة الكفرة وبعض المساميح وأوامر العفو وصيغ الخطب المنبرية وأوراق الحلف والطريق باستثناء ما كان يوجه منها إلى الملوك . ويعتبر استخدام هذا النوع من الورق أكثر شيوعا في فروع الديوان المختلفة . القسم الثامن ورق اللطافات ويستعمل لهذا الغرض في معظم الأحيان ورق الطير (الورق الخفيف) ، ولكن اتساعه غير محدد بصورة ثابتة ، بل يترك ذلك لتقدير رئيس الديوان الخاص الذي يراعى فيه توفير الحذر والمحافظة على السر . والقسم التاسع ورق البطائق التي ترسل تحت أجنحة الحمام ، ويبلغ عرضه ثلاث أصابع متلاصقة متوازية ، وحجمه ثابت لا يتغير، سواء أكان الملك هو الذي يكتب عليه بيده أم غيره ، وهو من ورق الطير الذي يحفظ في دواوين البطائق . ورئيس الديوان الخاص هو الذي يدفع ثمنه من حاصل مصبغة الحرير الموجودة بالقاهرة . وهناك وراق، مهنته أن يكتب في ديوانه على كل نوع من أنواع الورق ، ويعمل معه أشخاص بعدد أنواع الورق من كل صنف ، ورئيس هذا الديوان يسمى « الدواتدار » .

وكان يصنع في بعض بلاد الامبراطورية الإسلامية ورق آخر غير ورق بغداد . فكثيرا مايرد على لسان الكتاب مثلا ذكر ورق « سمرقند » .

ويقول مؤلف كتاب الفهرست : « فأما الورق الجراساني ، فيعمل من الكتان . ويقال إنه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية . وقيل إنه قديم العمل ، وقيل إنه =

أردنا أن تكتب جميع مصنفاتنا في جلد واحد ليبقى تذكرة منا لمن بعدنا . ولكي
يعم نفعه العرب والعجم ، جعلنا كل ماهو بلغة الفرس معربا ، وكتبنا منها نسخا
عربية مفردة ومجموعة ، وضمننا منه نسخة في المجلد الكبير . وفي هذا المجلد
الكبير أيضا ، جعلنا كل ماهو بلغة الفرس معربا ليعم نفعه . وسمينا المجموع
« بجامع التصانيف الرشيدى » .

— حديث . وقيل إن صنعا من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصينى . فأما أنواعه :
فالسليمانى والطلحى والنوحى والقرعوى والجعفرى والطاهرى .
أقام الناس ببغداد سنين لا يكتبون إلا فى الطروس ، لأن الدواوين نهبت فى أيام محمد بن زبيدة
(الأمين) . وكانت فى جلود ، فكانت تسمى ويكتب فيها ، قال : وكانت الكتب فى جلود دباغ
النورة ، وهى شديدة الجفاف ؛ ثم كانت الدباغة الكوفية تدبج بالتمر وفيها لين (*) .
ويذكر ابن أبى أصيبعة (مخطوطة عربية رقم ٧٥٧ ورقة ١٢٠ ظهر) بعض التفاصيل
عن الورق الذى استخدم فى كتابة مؤلفات خنيز بن إسحاق .

أما كلمة وراق التى قابلناها أكثر من مرة فى النصوص السابقة ، فإن عبد اللطيف
البغدادى يستعملها بمعنى صانع الورق ، (Historæ Aegpti Compendium ص ١٤٦) . وهناك كتاب غيره ينسبون إليها معنى مختلفا بعض الشيء . فيذكر ابن خلدون
فى المقدمة أن الوراق هو الشخص الذى يعمل فى نسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها .
ويقول المقرئ فى كتاب السلوك : « . . . كانوا أولا فى دمشق وراقين يورقون
المكاتيب » . ويرد على لسان ابن خلكان (مخطوطة عربية رقم ٧٣٠ ، ورقة ٤١١
وجه) ذكر النحاة والنسائين والقراء والمؤرخين والوراقين المشهورين ، والكتاب المجلين .
ويقول فى موضع آخر (ورقة ٤٢١ ظهر) : « كان يعمل ، والوراقون يكتبون » .
وكثيرا ما ترد هذه الكلمة فى كتاب الأغانى . ومن هنا جاءت كلمة « الوراق » للدلالة
على فن الوراق ومهنته . فنقرأ مثلا فى المنهل الصافى لأبى المحاسن (ج ٤ ، مخطوطة عربية
رقم ٧٥٠ ، ورقة ١٤ وجه) : « برع فى معرفة الوراق » . ويقول ابن خلدون :
« الكتابة وما يتبعها من الوراق » ، كما يقدم لنا عن هذه المهنة بعض التفاصيل المنبهة .
ويقول المقرئ : « . . . إذا فرغوا من الوراق . . . » والفعل منه « ورق » ، ويستعمل
منه المزيد بالهمزة أى اشتغل بنسخ الكتب وتجليدها . يقول المقرئ : « يورقون المكاتيب » .
ويقول الأغانى : « كان يورق لإسحاق » .

(*) النص عن طبعة التجارية ، ص ٣٢ ، القاهرة .

وبعد أن قدم لنا رشيد الدين فهرستا عاما مفصلا لجميع مؤلفاته ، أخذ يواصل كلامه ، فقال : « وقد رأينا أن نضيف إلى مجموعتنا كتباً مفردة غير مشتملة على مجلدات ، ولم تكن لها نسخ موجودة في هذه الممالك إلى الآن . وقد سعينا فيها سعياً كثيراً حتى حصل نسخها ، ونقلت من لسان أهل « الخطا » إلى لغة الفرس ثم إلى لغة العرب :

الكتاب الأول : طب أهل الخطا من العلويات والعمليات .

الكتاب الثاني : الأدوية المفردة الخطائية مما هي مستعملة عندنا ومما ليس بمستعمل .

الكتاب الثالث : الأدوية المفردة من القسمين المذكورين .

الكتاب الرابع : في السياسات وتدير الملك وصلاحه على ما جرت به عاداتهم » .

وهكذا بعد أن استكتب المؤلف عدة نسخ من كتبه ، مفردة وجمعة ، بالفارسية والعربية ، وبعد أن استكتب ذلك المجلد الضخم الذي كان يضم كل مؤلفاته بالفارسية والعربية ، وضع هذه النسخ جميعها في البناية الرحبة التي أعدها لتكون مدفناته بين العائز العديدة التي أمر بتشييدها جميعها خارج مدينة تبريز ، وعرفت باسم الربع الرشيدى . وجعل لكل إنسان الحق في أن ينسخ منها ما شاء ، وفضلاً عن ذلك أمر بأن يؤخذ من حاصل أوقافه ما يكفي لكتابة نسخة في كل عام من مجموعة مؤلفاته كلها على قطع بغدادى كامل

لترسل إلى إحدى المدن الإسلامية الرئيسية. وسنذكر هنا بالنص وبغير تعديل، عقد الوقف الذي أصدره رشيد الدين :

« ومن جملة الشرائط التي اشترطها المصنف ، عز نصره ، في وقفية أبواب بره الموسومة بالربع الرشيدى .. هي أن المتولى لتلك الأوقاف يستكتب كل سنة نسخة مكملة من مصنفاتى - من صورتين : واحدة بالعربية وواحدة بالفارسية . (أما) كتاب جامع التواريخ ، (فإن) عدد مجلداته موكول إلى رأى المتولى وعلى حسب المصلحة بحيث لا يندرس سريعاً . .

فيستكتب بموجب ما شرحناه كل سنة نسخة مكملة على قرطاس في غاية الجودة واللطافة بقطع كبير بغدادى بخط مليح صحيح ، ثم يقابل بنسخة الأصل الموضوعة في الربع الرشيدى على وجه لا يبقى فيه غلط (أ) وتصحيف . وينبغى أن تكون هذه النسخ بأسرها متكلفة على منوال النسخ الأصول ، وأن تكون جلودها من أديم أو ما شاكله . وأجرة الكتابة ووجه المصالح تجعل من نصف حاصل موقوفات المسجد المتعلقة بأبواب برنا هذه . ويجب أن يختار المتولى الناسخين السريعى الكتابة ، الجيدى الخط ، الفضلاء الأدباء ، بحيث تتم جميع النسخ التي يجب كتابتها في السنة بتمام تلك السنة مجلدة مذهبة مهذبة ، لئلا يقع التأخير والإهمال . ومواضع أولئك الناسخين ومساكنهم ، إنما يعينها المتولى من جملة أبواب البر التي لم تتعين لطائفة معينة أو لأمر معين . وإذا تمت تلك النسخ ، أحضر جميعها في صفة الروضة ، ويوضع كل منها على مرفع بين المنبر والمحراب . ويدعى للمصنف بهذا الدعاء : اللهم ياملهم

الأسرار ويا معلم الأخبار والآثار ، كما علمت عبدك المفتقر إلى رحمتك الواسعة ،
رشيد الطيب ، لتصنيف هذه الكتب المشتملة على التحقيقات المقوية
لقواعد الإسلام ، والتوقيعات الممهدة لبيان الحكم والأحكام ، المفيدة
للمتأملين في بدائع المصنوعات ، النافعة للمتفكرين في غرائب المخلوقات ،
ووفقته أيضاً لأن وقف بعض أملاكه ، شارطاً أن يتخذ من مالها نسخ من
هذه الكتب ، لينتفع بها المسلمون من أهل البلدان في كل حين وأوان : فتقبل ،
اللهم ، كله منه قبولا حسناً ، واجعل سعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً واغفر
للساعين في إتمام هذا الخير ، والمستفيدين بهذه الكتب ، والناظرين فيها ،
والعاملين بما في مطاويها ، وآتة الحسنة في الدنيا والآخرة ، إنك أهل التقوى
وأهل المغفرة .

وأيضاً يكتب في آخر كل نسخة من تلك النسخ هذا الدعاء المذكور ،
ثم يكتب بعد ذلك ، هذا التحميد وهذه الكلمات :

أما بعد حمد الله الملك العلام ، الدائم نعمه بلا انقطاع وانصرام ، والصلاة
والسلام على نبيه المبعوث إلى كافة الأنام ، محمد وصحبه الكرام : فإنه يقول
العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى ، فضل الله بن أبي الخير بن حال .
الهمداني ، المشهور بالرشيد الطيب ، جزاه الله خيراً : إني ، بتوفيق الله وحسن
تيسيره ، صنف هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر ، وتذكراً لمن أراد أن يذكر .
واستكتبت هذه النسخة من حاضل ما وقفته من أملاكى ، وشرطت أن

يتخذ كل سنة من حاصلها نسخة من هذا الكتاب وسائر الكتب التي هي من مؤلفاتي ، ليكون وقفا على المسلمين من بلدة كذا . والمأمول من كمال أفضال العلماء المحققين ، أن يشرحوا ويبينوا للمبتدئين ما يتعسر منه عليهم ، بحيث يقفون على جميع ذلك وقوفا تاما ، ولا يبقى لهم فيها شك وارتياب . وإن وجدوا فيها سهوا أو غلطا أصلحوه ، تفضلا وتسكرا . ثم يكتب المتولى على ظهر ورق كتب عليه هذه الكلمات : إن هذا الكتاب الفلاني إنما كتب لا هل البلدة الفلانية في أيام دولة فلان ، ليكون وقفا عليهم ، ثم على صوم المسلمين الذين يسكنون هناك .

ويجب على كل متول أن يكتب نسبه أبا عن جد إلى الواقف ، لئلا ينسى الناس الواقف في الدعاء . ثم تعرض تلك النسخ على قضاة تبريز ، ليثبتوا صورة الحال على مكتوب ، ويشرفوه بتوقيعهم ويساموه إلى المتولى . وينبغي أن يكون عند كل قاض من قضاة تبريز مكتوب مشتمل على هذه المعاني . ويجب أن يكون خط المتولى والمشرف والناظر الذي هو شبيه نائب للمتولى ، أو خط نواب هؤلاء على ذلك المكتوب ، ليكون هذا الأمر مضبوطا كل سنة ، لا يتطرق إليه وهن ولا خلل .

الشرط الآخر أن هذه النسخ ، بعد تمامها ، إنما يبيعها المتولى لتلك الأوقاف إلى بلدة من معظمات بلاد الإسلام : العربية إلى بلاد العرب ، والفارسية إلى بلاد العجم . ويبتدىء من البلاد بمعظمها ثم بما هو دونها على

وفق رأيه ، ليكون وقفا على أهل تلك البلدة بالموجب المذكور . وإذا حملت تلك النسخ إلى تلك البلدة ، يجب أن توضع في مدرسة لها مدرس مشار إليه بفنون العلوم باختيار قضاة تلك البلدة وأئمتها وعلمائها ليقرأ المتعلمون الراغبون فيه على ذلك المدرس . وإن شاء أحد منهم أن يستنسخها ، دفعها إليه ذلك المدرس بعد أن يأخذ الرهن ، وكذا إن أراد استعارتها لأجل المطالعة ، أخذ الرهن أيضا .

وكما فرغ المتولى من بعث جميع النسخ إلى جميع معظمات البلاد ، استأنف العمل . ويبعث مرة أخرى على الترتيب الأول . وعند كل بعث ، توضع النسخ في الصفة الكبيرة التي هناك في الروضة ، بين المنبر والمحراب على مرفع ، ويقرأ الدعاء المذكور على القاعدة المذكورة . ويجب أن يكتب على ظهر كل نسخة يراد بعثها إلى بلدة هذه الشرائط التي ذكرناها . ومصالح هذه النسخ وما يحتاج إليها وأجرة كتبتها ، إنما يعينها المتولى في كل زمان على ما يرى فيه المصلحة .

وأيا قد شرطنا أن يستنسخ المتولى من جملة هذه الكتب ، دون الأصل الموضوع في قبة الربع الرشيدى ، من الكتاب الموسوم بالجموعة الرشيدية وكتاب بيان الحقائق وكتاب الآثار والأحياء ، من كل منها نسخة فارسية ونسخة عربية ، غير ما اشترط استنساخها للبعث إلى البلدان . وهذه النسخ تكون دائما عند المدرس الساكن في روضة الربع الرشيدى ،

وهذه النسخ تكون دائماً عند المدرس الساكن في روضة الربع
الرشيدى ، ويدرس كل يوم منها شيئاً . وكل فقيه يكون في تلك البقعة يجب
أن يكتب من تلك الكتب نسخة بقطع كبير بغدادى ، إن شاء بالعربية ،
وإن شاء بالفارسية . ويجب أن يكتبها ذلك الفقيه في مدة شرط إقامة الفقهاء
فيها ؛ فإن أتمها قبل الميعاد المذكور ، أو يكتب أكثر من واحدة ، كان سعيه
أجمل . وكل فقيه يقصر في كتابتها ، وجب على المتولى أن يخرجها من تلك
البقعة ، وينصب مكانه فقيهاً آخر غير مقصر . وإذا تمت تلك النسخ ، كانت
ملكاً لذلك الفقيه ، ولا منازعة لأحد في ذلك ؛ إن شاء وهبها ، وإن شاء
باعها ، وإن شاء حفظها لنفسه . وكما أننا أجزنا ورخصنا في الاستنساخ من
نسخة الأصل الموضوعة في القبة بشرط ألا تخرج من الربع الرشيدى ، فكذلك
أجزنا أن يستنسخ الراغبون من هذه النسخة التي عند المدرس ، لكن بالشرط
المذكور ، وهو ألا تخرج من الربع . والفقهاء والساكنون في البقعة مقدمون
على غيرهم إذا أرادوا الاستنساخ .

فهذه الشروط كانت قد سقطت من القلم ، وقد كتبناها على سبيل
الإلحاق . « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

وحكم هذه الشروط المذكورة هو حكم سائر الشروط التي سبق ذكرها
من أنها يجب على المتولى تقديمها على سائر التصارف . وكل متول لا يسعى في
(١٢ - جامع التواريخ)

ذلك بموجب تلك الشرائط ، كان ذلك مخلا بتوليته ؛ فمن أبطلها أوسعى في إبطالها أو إبطال شيء منها ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فليطلب الراغبون في مطالعة هذه الكتب نسخها من أبواب برنا الموسومة بالربع الرشيدى ، ولينتفعوا بها إن شاء الله تعالى . وليعلم أن الخدم المصنف ، عز الله أنصاره ، لما صنف هذه الكتب وأشار إلى كتابة نسخ كثيرة منها ، فالناسخون قد اتفق لهم في بعض المواضع تصحيقات وأغلاط ، ولم يمكن للمصنف ، زيدت أقداره ، أن يفرغ لها اشتغالا بمهام الممالك وتدير الأقاليم . وهذا الملازميه المشتغلين بخدمته ، فمن حصل له الوقوف على دقائق تلك المصنفات ، فصدرت الإشارة العليا بأن الناسخين يقابلون تلك النسخ ؛ ولا يخفى أن أكثرهم قاصرون عن درجة العرفان ، فتصرفوا في بعض المواضع بإلحاقات من تلقاء أنفسهم ، وعلى شهوة منهم ؛ ولذلك وقع في بعض المواضع تحريفات وتصحيقات . ونحن إنما كتبنا هذا المعنى ، لئلا ينسب المطالعون لهذه الكتب تلك التحريفات إلى المصنف زيدت أقداره . والدليل على براءة ساحة المصنف ونزاهة جنبه ، ضاعف الله جلالة ، عن ذلك ، أنه لا يخفى على من له أدنى تمييز ومعرفة أن المؤيد من عند الله بأمثال تلك الحقائق ، والمخصوص من فضل الله بأشكال هاتيك الدقائق ، لا يصدر من جانبه شيء غير مفهوم أو كلام غير منظوم . نعم ، لو وجد في كليات هذه المباحث وأصولها نكت أو شبه ، فالجواب عنها إنما يلزم المصنف ، دام ظلاله . وكل ما سوى

ذلك ، فهو من غلط الناسخ وتحريفه وسهوه وتصحيفه . والدليل على ذلك أنا وجدنا في بعض النسخ تحريفا يخالف تحريف نسخة أخرى ، ومن البين أن ذلك إنما يكون من اختلاف الناسخين . وقد أصلحنا منها ما أمكن إصلاحه ؛ فإن كان شيء من ذلك باقيا ، فليصلح أو يعذر « والله المستعان » .

تركت رشيد الدين يتكلم بنفسه وحرصت على الاحتفاظ بنص عباراته ، لكي أبين للقارئ مقدار الاحتياطات التي أخذها مؤلفنا لمنع مؤلفاته من الضياع . فإنه لم يهمل شيئا مما يمكن أن يساعد على تجنب مثل هذه الكارثة ؛ وكان يبدو أن تلك الضروب من العناية الفائقة لا يمكن أن تخطيء مرماها ، وأن مؤلفات رشيد الدين ، وقد قدر لها أن توضع في كل المكاتب العامة بالعالم الإسلامي ، وأن يدرسها جميع المتعلمين في هذا العالم ، لا بد أن تصل إلى أيدي الخلف . ولكن هذه النوايا الحسنة كلها لم تحقق بالدقة الواجبة .

فقد فقدنا الجزء الأكبر من مؤلفات هذا المؤرخ العالم . ولم تنل كل تلك الاجراءات التي اتخذها من النجاح أكثر مما نالت الاحتياطات التي اتخذها الإمبراطور تاسيت Tacite لضمان الاحتفاظ بمؤلفات قريبه العظيم . فإن عوادي الزمن ووحشية البشر ، هذين الوبائين اللذين حالاً بين الكثير من ذخائر العصور القديمة وبين الوصول إلينا ، قد امتد أثرهما التخريبي أيضا إلى مؤلفات رشيد الدين .

مقدمتہ
رشید الدین فضل اللہ
لکتاب
جامع التواریخ

جَامِعُ التَّوَارِيخِ

مُفَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرست كتاب السير والتواريخ ، وفذلك حساب البيانات يجب أن
يفتتح بالحمد والثناء لله تعالى خالق العالم . وكذلك عنوان كتاب الروايات ،
وطراز لباس الحكايات ينبغي أن يبدأ أيضا بالصلوات والتحيات على الروضة
المطهرة ، خاتم النبيين ، وعلى خلفائه الراشدين ، وعموم آله وأصحابه والتابعين .
« سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ » (١) .

أما بعد ، فالغرض من ترتيب هذه المقدمة ، وتحرير هذه الديباجة ، أن
مسودة هذا الكتاب المبارك المشتمل على ذكر تواريخ ملك العالم چنگيزخان
وآبائه وأجداده العظام وأولاده وأسرته المشهورين كما سيأتي شرح ذلك في
مقدمة الكتاب ، قد ألقت ورتبت بأمر السلطان السعيد غازان خان - أنار الله
برهانه - من الأوراق والطوامير المبتورة المتفرقة ، والجرائد والديساتير المختلفة

(١) قرآن كريم ، سورة الصافات ، الآيات ١٨٠ - ١٨٢

المتنوعة . وكذلك في عهد دولته التي كانت تغبطها وتحسدها أدوار وعمود « دارا » ^(١) و « أردوان » ^(٢) و « أفر يدون » ^(٣) و « أنو شروان » ^(٤) ، كان قد شرع في تبييض بعض الأجزاء من هذا الكتاب . ولكن قبل أن تتم الكتابة ، وقبل الفراغ من التحرير ، وفي تاريخ ١١ من شوال سنة ٧٠٣ في حدود قزوين التي هي باب الجنة صعدت الروح المطهرة لذلك الملك العادل مليية نداء ربها : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ » ^(٥) . واستقرت في غرفات جنة الخلد ، وشرفات أعلى عليين : « فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ » ^(٦) .

(١) المقصود دارا الأول ، وهو أعظم ملوك الدولة الأكينية أو الهخامنشية . وربما كان أعظم ملوك إيران قبل الإسلام . كون إمبراطورية فسيحة كانت تمتد من نهر السند حتى البحر الإيحيى ، ومن المحيط الهندي حتى بحر قزوين ، ونظم ملكه على أساس متين ، اعتبر مثلاً أعلى في العهود التي تلت دولته . (المترجم)

(٢) يقصد أردوان الخامس وهو أحد الملوك الإشكانيين أو البارثيين الذين كانوا يحكمون إيران قبل قيام الدولة الساسانية ، وذلك عندما كانت إيران مقسمة بين ملوك الطوائف : وكان أردوان أقوى هؤلاء الملوك إلى أن تغلب عليه أردشير بابكان في سنة ٢٢٤ أو ٢٢٦ م وأسس الدولة الساسانية . (المترجم)

(٣) تمثل سيرته في الأساطير الفارسية غلبة الخير على الشر ، وذلك بعد أن قتل الضحاك ، وخلص الإيرانيين من شروره ومفاسده . وتروى المصادر أنه تغلب على الضحاك في أول شهر « مهر » فاتخذته الناس عيداً لهم وسموه « مهرگان » . (المترجم)

(٤) المقصود كسرى أنو شروان أعظم ملوك الدولة الساسانية (٥٣١ - ٥٧٨ م) ، والذي اجتمعت فيه صفات القائد المحنك وخصائص الإداري الحازم ؛ إذ كون إمبراطورية واسعة وقام بإصلاحات عديدة . وبالإضافة إلى ذلك كان مثلاً أعلى للملك العادل فلا غرو أن اشتهر في التاريخ باسم « كسرى العادل » . (انظر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب ، ص ٣٤٨ وما بعدها ، القاهرة ١٩٥٧) . (المترجم)

(٥) قرآن كريم ، سورة الفجر ، آية ٢٧ ، ٢٨

(٦) « « « « القمر ، آية ٥٥

شعر :

« - لما كان قدره أعلى من قدر الدنيا ،
فقد صار مكانه حيث جناب القدس الأعلى .
- وفي كل لحظة تهب الريح ،
تحمل من الله مئات الآلاف من التحية على روحه » .

وقبل وفاته بعدة أيام ، وبمقتضى الوصية التي كانت تمتاز ببراعة الفصاحة ،
وبلاغة الآثار الممزوجة بالحكمة والمثيرة للمحبة ، جدد هذا السلطان وأكد العهد
الذي كان قد قطعه على نفسه منذ خمس سنوات أو ست فيما يخص اختيار ولي
عهده . وبحضور جمهور الأميرات والأمراء ، وجميع أركان الدولة وأعيان
الحضرة ، وبإيجاء فكره الثاقب ورأيه الصائب ، أملى رغباته بلسان فصيح
وبيان مليح ، وبالغ في حض الجميع على رعاية تلك الدقائق لأن الحق محض
الحقائق ؛ فأصر على أن يكون ولي عهده أخاه الأكبر السلطان الأعظم ،
الخاقان الأكرم ، شاهنشاه الإسلام ، مالك رقاب الأنام ، الإيخان العدل ،
صاحب الدنيا الأكمل ، والى الأقاليم المظفر ، جامع تفاصيل السعادة ، والفارس
الشجاع في ميادين رعاية الدين ، السلطان الباسط العدل في الممالك ، المهمد
لقواعد الحكم ، المشيد لمباني الفتح والمظفر ، مركز دائرة الاستيلاء على العالم ،
مدار نقطة صاحب القران ، زبدة فوائد التكوين ، وإبداع خلاصة نتائج
الأجناس والأنواع ، باسط بساط الأمن والأمان ، موطن أساس الإسلام

ص ١٤ والمسلمين ، مظهر شعار الشريعة النبوية ، محيي مراسم الملة المصطفوية ، منبع
 زلال لطف الله الأزلى ، مطلع هلال فيض ذى الجلال ، منظور نظر التوفيق
 الربانى ، المخصوص بعناية الله وتأيده ، السلطان الحامى للدين ، ظل لطف
 الله ، السلطان محمد خدا بنده خان لا زال مقرون العهد بالدوام ، مظفر الأولوية
 والأعلام ، ممدود الظل على كافة الأنام ؛ فإنه مقصود ظهور دولة چنگيزخان ،
 ص ١٦ وموعد دفع فتور أمة الإسلام ، وإن حياته لتفيض بالكرم والجود .

شعر :

« — ذلك الذى له قدرة القضاء وتدير القدر ،

ذلك الذى له همه الفلك وبصر الملك .

— ذلك الذى من ماء وتراب دولته ،

تكون النجوم شعاعا والسماء غبارا » .

ذلك الملك السعيد الحظ المسعود الطالع ، الذى يبنى زحل بيت سلطانه
 فى ميزان الإقتان ، ويثبت المشتري سجل السيطرة على ممالك الربع المسكون
 باسمه . المبارك دون تزيف ؛ ويستل المريح من غمد الانتقام خنجره الشبيه
 بالصمصام فى هيكله لمهاجمة جيش العدو اللئيم ومتابعته ، والشمس التى تنير
 الدنيا ، تجمل وجههما الوضاء بأشعة أنوار رأيه الذى هو زينة للعالم ، وتعزف
 ص ١٨ الزهرة الزهراء على الربط لحن النوى لإطراب محفله الممتع ، ويقوم عطارده
 بتدبير حسابات الديوان وتنميتها دون تساهل أو تقصير ، والقمر قد أحيط
 بالهالة ليرسل رسالة الصيت الذائع لمحاسن أخلاقه إلى أطراف الآفاق عن

طريق ولى العهد ، وارث عرش السلطنة ووالى التاج وخاتم الدنيا .

شعر :

« به صار الملك مضيئاً ، كما صار الدين قوياً ،

وبه أيضاً صار العرش مشرقاً والحظ فتياً » .

وبعد وصول الرسل بالأخبار ، نهض الشاهنشاه الميمون بعون التأييد
الإلهي ، من ناحية ممالك خراسان التي كانت معسكرا لعاكره المنصورين ،
ومقاما لجنوده العديدين ، قاصدا العراق وآذربيجان حيث مقر عرش السلطنة
ومستقر ايات الحكم .

شعر :

« الإقبال من الأمام والنصر من الخلف ،

والعصمة في القلب والنصرة في الجناح » .

وبسبب كمال شفقتة الملكية ، ووفور عاطفته السلطانية كان يرسل في كل
لحظة ، أثناء السير في الطريق ، الرسل متعاقبين ومتواترين بقصد الترفيه عن
الخدم والحشم ، وليبشروا الناس برحلته المباركة ووصوله الميمون . وكان السلطان
يضع بلسم رحمته على القلوب الجريحة ، كما كان يدخل السرور على الجميع ،
ويزيد في شد أزهرهم ومعاونتهم ؛ فكانوا يقومون فوجا فوجا بمراسم استقباله ؛
وهم فارغوا البال ميسرو الحال ، ويسعدون بشرف تقبيل الأرض بين يديه ،
والمثول أمامه في مقره الذي هو ملجأ السلطنة . وفي يوم الاثنين الثاني من

شهر ذى الحجة-من السنة المذكورة ، وصل السلطان إلى معسكره
الكبير بجانب مدينة الإسلام « أوجان » .

شعر :

« جاء إلى فلك الدولة موقفاً وناجحاً ،
ذلك الذى هو ملجأ السلطنة وشمس الملوك » .

كما لحق بتلك الحضرة الشريفة العليا ، مجموع الخواتين والنبلاء ، فغنى
هاتف الإقبال من وراء حجاب الغيب :

شعر :

— « أيها الزمن أبشر ، لأنه من سماء الملك ،
عادت شمس الشريعة إلى أفق الكبرياء .
حيثما ظهر أبطال الظلم وحساد الإسلام ،
يصل برهان عدل الملك الفاتح .
أجل ! لقد وجدت الدنيا عوناً ، والدين ملاذاً ،
والدولة راعياً ، كما واجه الظلم زوالاً والفتنة فناً .
كانت زهرة الإقبال قد ذبلت ثم نضرت ،
حين بلغها ماء عدله لسقيهاها » .

وفى خلال عدة أيام نظر السلطان فى مختلف الشؤون العامة ،

وتفقد مصالح الممالك ، وقدم شرائط التثبيت والتدبير ، وأقام وظائف اليقظة والأمن .

وبعد ذلك عُقد مجلس الشورى الكبير في أسعد الأوقات وأهنا الساعات ،
في صباح يوم الاثنين الموافق منتصف ذي الحجة سنة ١٣٠٣/٧٠٣ .
شعر :

« بفأل مبارك وكوكب سعيد ،
وبحظ وافر وسعد مزيد .
جلس على العرش كجشمشيد^(١) ،
وأمامه الإنس والجن وقد حزموا أو ساطهم .
واصطف الجمع في حضرته ، بين جالس وواقف ،
وهم من الأمراء المجريين والملوك الظافرين .
لقد جعل الفلك دورانه حسب أمره ،
وسارت الدنيا حسب توقيعه » .

والحق يقال أنه منذ بدء العالم ، وأول ظهور ذرية آدم ، لم يشرف عرش
السلطنة في أي قرن من القرون بمثل هذا السلطان العظيم ؛ لأنه سخر أكثر

(١) جمشيد في الأساطير الفارسية هو أحد ملوك الپيشداديين ، وحاله يشبه حال سليمان من حيث القوة وبسطة العيش ، وسعة النفوذ ، وتستخير الإنس والجن لمشيئته . ولكنه في نهاية عمره طغى وتكبر وادعى الألوهية ففضى عليه الضحاك ، واستولى على ملكه وحكم إيران فعمها شره وطفياته .

ممالك العالم بضربة سيفه المنقى الدم والقاتح القلاع . وإذا كان بعض هذه الأقاليم قد آل إلى أصحابه عن طريق الإرث ، فإنه لا يستقر في أيديهم دون منازع أو مخاصم . هذا ما لوحظ بوجه خاص في العصر المغولي ؛ فقد ثبت بالتجربة والمشاهدة للجميع ؛ مدى ما كان يحدث في كل انقلاب من اضطرابات وثورات ، وكم أراق السيف البراق من دماء على الأرض بسبب التهاب نار الفتنة ، ومبلغ ما أطاح به من الرؤوس التي كانت تطير في الهواء . وبينما راجت سوق الغارات كسدت الأجناس والأنواع من كل متاع ، وبواسطة القتل والنهب هلكت نفوس وضاعت ممتلكات لكثير من سادة العصر وأعيانه . وقد استمرت الحال على هذا المنوال إلى أن جلس السلطان على العرش . فقد ظلت قواعد ذلك الأمر متزلزلة لمدة طويلة ، وفي كل يوم كانت تحدث حادثة موجبة للتشويش والتفرقة ، ولم تكن توجد حالة استقرار وهدوء . فلما وصل دور السلطنة إلى عهده المبارك وأيام دولته المديدة ، وجدت رقعة الممالك العريضة الواسعة الأمن من جميع المخاوف والمهالك ، وأصبحت في قبضة نواب حضرة السلطان مضبوطة ومرتبطة وفق قانون مكمل ومهذب ؛ فأثبت لسان القلم النائر الدرر على الرغم من السيف اللامع البراق - هذين البيتين على صفحة حال الزمان :

شعر :

« أيها العدل ، أنت الذي في أيام عدلك ،

لم يخرج السيف رأسه من غمده .
والدنيا بفضل دولتك صارت بحيث أنه ، حتى يوم الحشر ،
لا يعمل السيف إلا إذا كان مرادفاً لمـدحك » .

ومن قبيل هذه الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة علم على وجه اليقين ،
أن ملك الملوك يتمتع بمنزلة خاصة ، وأنه قد اختص بعين العناية الإلهية بشكل
واضح يبين ، وأن أساس تلك الخصوصية محكم ومتين .

ولقد تأمل أحد الأكابر الأفاضل في هذا العصر - وكان يعد بسبب
كمال فصاحته سحبان عصره ، وبسبب مدائح السلطان كان يعتبر « حسان »^(١)
زمانه - فجوى الاسم المبارك للسلطان بمقتضى هذا القول : « الألقاب تنزل من
السماء » فنظم هذه المعاني شعراً وقال :

« - ليلة أمس كنت أفكر ،
في اسم الملك « خر بنده »^(٢)
- ما عسى أن يكون معنى هذا الاسم ،
الذي قد يغفل عن إدراكه القارىء .

(١) يقصد حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) لقب السلطان أو لجائتو (٧٠٣ - ٧١٦) بهذا اللقب وهو لفظ مركب من كلمة
« خر » بمعنى حمار ، و « بنده » بمعنى تابع ، والمراد (المكارى) . كما أنه لقب أيضاً
بلقب خندا بنده ، وهو لفظ مركب من « خدا » بمعنى الله ، و « بنده » بمعنى عبد ، أى
« عبد الله » .

- وبينما أنا في هذه الحيرة إذ وصل إلى سمعى ،
هذه العبارة : « يامؤيد الملك السعيد » .
— إن المعنى موجود في حروف هذا اللفظ
وهو ملائم جدا لهذا الملك
— فاحسب عن طريق « حساب الجمل » ^(١) ،
القيمة العددية لكل حرف من حروف كلمتي « شاه خربنده » .
حتى تعرف معناها فإنها تعطى نفس المعنى ،
لهذه الكلمات : (سايه خاص آفريننده) ^(٢) .
— تسعة حروف تلك وخمسة عشر حرفا هذه ،
ولكنهما في الحساب متشابهان ومتساويان .
— ويمكن أن تقول إن ذلك الاسم يتكون من تسع أصداف ،
قد ملئت بخمس عشرة جوهرة .
— أو أن هذا الاسم المبارك طاسم ،
علق على باب كنز الله .
— فلما عرفت سِرَّ ذلك الاسم ،
تجمع خاطري المشتت

(١) لمعرفة طريقة هذا الحساب انظر الراوندى : كتاب راحة الصدور ، ص ٤٤٩ -

٤٥٠ ، ليدن ١٩٢١ .

(٢) أى « الظل الخاص للخالق » ، وقد أبقينا على الكلمات الفارسية دون ترجمتها لأن قيمتها العددية محسوبة وفقا لحروف هذه الكلمات (انظر حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، نشر الدكتور بياني ، ص ٤٠ ، طهران ، ١٣١٧ هـ . ش) .

- فأدركت المعنى وقالت :

« ليدم الملك » خربنـيـه « :

- ولتظل شمس جلاله وملكه ،

مضيئة من الفلك الدائم .

وبالجملة فإنه بعد إقامة مراسم الابتهاج ، وبسط بساط الحبور ، تفحص
السلطان مليا القانون والتقاليد^(١) ، والعادات والرسوم التي كانت على عهد
أخيه السلطان السعيد غازان خان أنار الله برهانه ، كما أطلع على كيفية إصدار
الأحكام والقيام على تنفيذها . ونظرا لما كان يكنه السلطان لأخيه الراحل
من غاية الإخلاص والمروءة ، والاعتراف بأفضاله الكثيرة عليه ، فقد رأى من
من الصواب أن يظل أمراء الدولة وأركانها متمتعين بكامل النفوذ والاحترام
كما كانت الحال في القرار السابق والرسم السالف في عهد أخيه ، وأن يشغل
كل منهم المنصب الذي كان يشغله من قبل ، ويواصل نفس العمل الذي كان
له ، وأن تسير شئون المملكة ومصالح الولاية على نفس الطريقة السابقة ؛
بحيث تكون بعيدة عن شوائب التغيير والتبديل والزيادة والنقصان وقد
أيقن الجميع أنه يمين هذا التدبير استقرت الأمور ووصلت إلى حد
الكمال .

(١) ترجمة الكلمتين المغولييتين يساق بمعنى القانون ويوسون بمعنى التقاليد .

(١٣ - جامع التواريخ)

شعر :

ص
٣٦

« إن شئون المماسكة تجري بمثل هذا الترتيب الدقيق من الآن فصاعدا ،
بحيث لا يضطرب أحد بغير طرر الحسان شبيهات القمر » .
ثم إنه عند ما حظيت أجزاء هذا التاريخ بمطالعة السلطان العظيم ، أمره
بإصلاحها إصلاحا تاما وضبطها ضبطا دقيقا ؛ وذلك لما رزقه من كمال العقل
والكياسة ووفور العلم والفراسة .

وحيث إن هذا التاريخ بأ كمله قد تم تبليغه في عهد هذا السلطان المبارك ،
الذى يزيد إقباله على مر الأيام فقد بدا أول الأمر أن يقدم باسمه المبارك ،
وأن يرصع بذكر ألقابه السلطانية . ولكن أخلاقه الحميدة وسروءته الأصيلة ،
جعلته يحجم عن الموافقة على هذا الاقتراح ، إذ أمر بأن يقدم الكتاب باسم
السلطان السعيد غازان خان - أنار الله برهانه - وأن تظل مقدمته موشحة بذكر
ألقابه . فلم أتردد في تحرير الكتاب على هذا المنوال وفق أمر سيد الدنيا المطاع .

ولما كان ملك الإسلام - خلد الله سلطانه - متصفا بعلو الهمة ، فإنه كان
يميل دائما إلى البحث والاطلاع على أنواع العلوم والتفحص والاستقصاء لفنون
الحكايات والتواريخ ، ولما كان يمضى أكثر وقته الميمون في اكتساب
صنوف الفضائل والكمال ، فإنه بعد أن قرأ هذا التاريخ وراجعه ، قال لى :
« إنه حتى هذا الوقت لم يؤلف فى أى عهد من العهود كتاب يشتمل على
التاريخ العام لجميع سكان العالم وشرح أحوالهم ، ومعرفة طبقات الناس

ص
٣٨

وأجناسهم ، كما أنه لا يوجد في هذه الديار كتاب قط يحتوى على أخبار سائر البلاد والأمصار ، ولم يبد ملك من الملوك السابقين اهتماما بهذا العمل ومباشرة . أما الآن فيحمد الله ومنه دخلت أقاليم الربع المسكون تحت سيطرتنا وسيطرة أبناء چنگيزخان . وقد اجتمع في حضرة السلطان السامية الحكماء والمنجمون والعلماء ومؤرخو الأديان والشعوب من أهالي الخطا والماجين والهند وكشمير والتبت والأويغور^(١) ؛ وأقوام الأتراك الآخرين والأعراب والإفرنج . وكان مع كل واحد منهم كتب تشتمل على تواريخ وحكايات ومعتقدات أمته ، وهو لاشك واقف على بعضها ومطلع عليه .

وهكذا اقتضى رأى السلطان الذى هو زينة للدنيا ، أن يكتب من مفصل تلك التواريخ والحكايات مجمل واف يحمل الاسم المبارك لمليكننا ، وأن تدون بعد هذا صور الأقاليم ومسالك الممالك في مجلدين يكونان ذبلا للتاريخ المذكور . ولكى يكون مجموع ذلك الكتاب الفريد جامعا لجميع أنواع التواريخ يجب أن تغتنم الفرصة لإنشاء مثل هذا المؤلف الذى لم يتيسر الحصول عليه فى أى عهد من عهود الملوك السابقين ، وإتمامه دون إهمال وإمهال ليكون وسيلة لتخليد اسم مؤلفه ودوام شهرته .

(١) قوم من الأتراك كانوا يدينون بالمسيحية والبوذية والمناوية . وهم بصفة عامة أكثر أقوام الأتراك والمغول تمدا . كانوا يقطنون شمال شرقى تركستان وشمال نهر تارىم . وأهم مدنها تورفان وبيش باليغ وبر قول وقبره شهر وآمالايغ . . وكان لهم خط خاص بهم هو الخط الأويغورى . وعند ما اختلط بهم المغول أخذوا عنهم هذا الخط ودونوا به كتاباتهم . (المترجم) .

ولتنفيذ هذا الأمر شرعت في الإتصال بجملة الفضلاء والبارزين من الطوائف المذكورة ، واستطلعت آراءهم ، واقتبست من مضمون كتب المتقدمين . ومن هذه المادة كتبت مجلدا آخر يتعلق بالتاريخ العام لأهل الأقاليم ، ومجلدا ثالثا في بيان صور الأقاليم ومسالك الممالك وجعلت هذين المجلدين ذيلًا لهذا التاريخ المبارك ، وأطلقت على مجموع الكتاب اسم « جامع التواريخ » .

وقد أثبت في الفهرس الذي يلي هذا الفصل تفاصيل الحكايات والتواريخ والطريقة التي سرت عليها في تدوينها .

وإنه لمن الحق أن المؤرخ لا يشهد بعينه القضايا والحكايات التي يكتبها ويقررها في مؤلفه ، كما أنه لا يستقى معلوماته عن طريق المشافهة من أفراد تلك الطائفة الذين هم أصحاب القضايا والحوادث ، وكان التاريخ سجلا لسرد أخبارهم ولكنه يكتب ما ينقله الرواة وما يذيعونه .

وإذن فالنقل نوعان :

النوع الأول هو النقل المتواتر ويؤدي إلى العلم وليست فيه شبهة . فمثلا قد وصل إلينا بطريق التواتر وجود الرسل والملوك وعظماء الرجال الذين عاشوا في القرون الغابرة ، وكذلك وجود المدن البعيدة مثل مكة ومصر وغيرها من البلاد المشهورة النائية . ورغم أننا لم نشهد هؤلاء الأشخاص ، ولم نر تلك البقاع ؛ فإننا نؤمن بما ورد إلينا من أخبار في هذا الشأن بطريقة لم يبق معها

أى شك أو تردد . وإن بناء جميع الشرائع والأديان ليقوم على هذا النقل المتواتر ، ولهذا النقل اعتباره فى بعض القضايا عند عامة الخلق ، وعند طائفة مخصوصة فى بعضها الآخر .

وأما النوع الثانى فهو النقل غير المتواتر ، ويسمونه الأحاد ، وهو محتمل الصدق والكذب . وأغلب الحكايات والأحوال التى يعلمها الناس تكون بهذه الطريقة غير المتواترة ؛ بحيث إن القضية التى وقعت أمس إذا رواها صاحبها اليوم فإنها قطعاً لا ترد إلى خاطره كما حدثت ، بل إنه عندما يعيدها ^ص ٤٢ فى كل مجلس يقع تغيير فى العبارة والألفاظ . ولهذا السبب نلاحظ أنه رغم توخى الدقة والاحتياط التام فى الشرعيات قد وقع فيها اختلاف كثير لدرجة أن بعض الأحاديث النبوية أيضاً يشك فيها وذلك لاختلاف حال الرواة . وقد قرأ الأئمة السابقون تلك الأحاديث ودرسوها دراسة مستفيضة فاطمأنوا إلى بعضها واختاروها ، وأسموها الصحاح ، ووقفوا إزاء الباقى موقف التحير والتردد . وأكثر اختلاف الأئمة فى المسائل الشرعية يتوقف على هذا المعنى . ومع هذا لا يجوز إنكار المسائل التى اختلف فيها كلية لأنه قد يتطرق الخلل إلى دين من ينسكرها .

وعلى هذا فمن المؤكد أن تاريخ عدد من الأقوام المختلفين فى العهود المتطاولة لا يمكن أن يعرف مطلقاً عن طريق القطع واليقين ، وأن الروايات التى رويت وتروى فى هذا الشأن ليست بدرجة متساوية من الصحة ولا متفقاً

عليها ؛ ففي كل لحظة يروى كل شخص ما وصل إليه بطريق التواتر أو ماسمعه على سبيل الإخبار ، وكثيرا ما يزيد الراوى وينقص حسب هواه . وإذا لم يقل أيضاً الكذب المحض فإنه يبالغ إلى حد ما في العبارة التي تتضمن وقوع الاختلاف .

ولما كانت السنة الإلهية تجري على هذا النحو الذى سبق ذكره ، وقد جبلت الطبيعة البشرية على هذا الأسلوب ؛ فكل مخلوق يريد أن يقرر خلاف هذه المعاني يكون تفكيره ضربا من الحمال ، كما يكون قوله زائفاً .

وهكذا إذا فكر المؤرخ فى أن ما يكتبه لابد وأن يكون محققا ومقطوعا بصحته ، فإنه لن يستطيع أن يكتب أى تاريخ ، لأن كل ما يورده من أخبار إنما يرويه عن جماعة من العظماء قد شاهدوها أو نقلوها عن الآخرين ، أو طالعوها فى كتب المتقدمين . وعلى كل حال فكما سبق أن ذكرت يكون ذلك محلا للاختلاف . ولو فرض أن المؤرخين استنادا على هذا السبب تركوا الكتابة والرواية ظانين أن الناس ربما يعترضون عليها ولا يستسيغونها ، فإن جميع القصص والأخبار وتواريخ العالم تبقى فى كل فترة متروكة ومهملة ، ويحرم جميع الناس فوائد ومزاياها .

فوظيفة المؤرخ إذن أن ينقل ويكتب حكايات وأخبار كل قوم وكل طائفة على نحو ماوردت فى كتبهم ، وبالطريقة التي رويت بها من الكتب المشهورة المتداولة بين هؤلاء القوم ، ومن أقوال مشاهيرهم والبارزين فيهم ،

والعهدة على الراوى . وكما سبق أن شرحنا فإن كل صنف من الناس وكل طائفة من الخلق ، ينقلون الأخبار والروايات على حسب معتقداتهم . وفى كل وقت يرجحونها على معتقدات الآخرين ، ويبالغون جداً فى إبراز حقيقتها .

وإذن فلا يمكن أن يتفق جميع الناس فى كل القضايا . وهذا المعنى واضح وظاهر لدى الجميع . وعلى هذا فعندما ينقل المؤرخ عن الأقوام المختلفين فلا بد وأن يبدو اختلاف فى أقواله ، وقد يختلف بعض الناس فى بعض المواضع والحكايات ؛ ولكن الخير والشر والعيب والمدح ومثل هذه الأمور لا ترجع إلى المؤرخ ، لأنه كما سبق أن ذكر إنما يقرر تاريخهم وأخبارهم . وهو بالتأكيـد يستطيع القيام بتحقيق حقيقى دقيق فيما يقول ويقرر وذلك كما سبق أن قلنا .

ولاشك أن النقل المتواتر معتبر ومقبول باتفاق الجمهور . وإذا كان التواتر عند المسلمين أكثر اعتباراً منه عند جميع الأمم ؛ فإن بناء تاريخ الأقوام المختلفين لا يمكن أن يقوم على هذا الأساس .

ومن المسلم به أن كل ما ينقل بالتواتر يجب أن يكون معتبراً لدى كل طائفة ، فقد قلنا إن المتواتر إما أن يكون له اعتبار لدى عموم الخلق أو عند طائفة مخصوصة . أما ما ينقل عن طريق غير المتواتر ، ويكون محتملاً الصدق والكذب ، فإن واجب المؤرخ كما ذكر — أن ينقل ويكتب بقدر ما يستطيع من أقوال الثقات ومن الكتب الصحيحة المتداولة . فإذا تصرف فيما ينقله وفق تصويره فإن عمله بلاشك يكون عبثاً وخطأ .

والغرض من هذه الكلمات أنه حينما أمر هذا الضعيف بتأليف كتاب جامع التواريخ هذا ، وضع تحت بصره وسمعه كل ما جاء في الكتب المشهورة لدى كل طائفة ، وكل ما اشتهر لدى كل قوم عن طريق النقل المتواتر ، وكل ما قرره العلماء والحكماء البارزون في كل طائفة حسب معتقداتهم ، ثم كتب على هذا المنوال دون تصرف أو تغيير . ومن المحتمل أنه بسبب قصور فهم الراوى وإهماله أن تنسى بعض هذه الأمور ، ومع هذا فإنه يود أن يجتهد بقدر ما في وسعه في تنقيح معلوماته حتى تجيء بقدر المستطاع في صورة تامة ، ولكن لم يتيسر له زيادة السعى والاجتهاد في هذا الباب ؛ إذ لا يخفى أن مثل هذه الأعمال يجب أن تتوفر فيها الاستعداد التام والمهارة في جميع العلوم . وفي الحقيقة لم ير المؤلف هذه الشروط متوفرة فيه . ثم إن إخراج هذا العمل إلى حيز التنفيذ كان في حاجة إلى فترة طويلة من مرحلة الشباب ، كما كان يلزم له الفراغ الكافي بقدر المستطاع . وقد اتفق للمؤلف أن يقوم بهذا العمل في آخر سن الكهولة في الوقت الذي أريد لهذا الضعيف أن ينخرط في سلك نواب الحضرة ، وأن يكلف بمباشرة عظام الأمور . ومع أنه لم يرزق الاستعداد للقيام بهذا العمل الكبير ، ولم تكن قوة العقل والفكر كافية للتهوض به ، فإنه وجد من اللازم أن يمثل لهذا فينهض لمباشرة هذه المهمة ، وعرف كذلك أن الواجب يحتم عليه أن يبذل قصارى ما في جهده في هذا السبيل . ولكن إذا كانت قوة الذهن لا تفي بشئون الديوان فكيف تفي أيضاً بجمع التواريخ التي هي من عظام الأمور ؟ !

و بناء على هذه الأسباب والأعذار التي أبديتها ، فإنني آمل بفضل اللطف
الغني لعظماء الرجال الذين يطالعون هذا الكتاب ، أن يتجاوزوا ويغضوا
أعينهم عما يكون موضعاً للخطأ والخلل ، وموقفاً للسهو والزلل ، وأن يتفضلوا
بإصلاح وإضافة كل ما يرونه لائقاً ومناسباً ، وأن يعذروا هذا المؤلف الضعيف
الذي ينفذ ما أمر به . .

وإذا كانت تواريخ بعض الأقوام من الكفار وعبداء الأصنام مشحونة
بأباطيل خيالاتهم وأضاليل حكاياتهم غير المعقولة ؛ فإن الغرض من إيرادها
أن تكون عبرة لأولى الأبصار ، وأن يقف أهل الإسلام والإيمان بمطالعتها
على المعتقدات الفاسدة لأرباب الضلالة ؛ فيجتنبوا تلك الخرافات ، ويقوموا
بأداء وظائف الشكر على نعمة الهداية ونور الإيمان اللذين هما خير ما في
الأنطاف الربانية والكرامات : « والله تعالى هو المستعان وعليه الإعانة
والتكلان » .

بعد أن قدمت أنا عهد الدولة هذه المقدمات التي تعبر عن قصوري
والتمهيد لعذري وعذر غيري من المؤرخين ، وذكرتها في مقدمة كتاب
« جامع التواريخ » عرضت الكتاب على الحضرة ، فلما شرف الكتاب
بمطالعة السلطان شملني هذا بعطفه وإنعامه وصرح قائلاً : « كل ما كتبته
المؤرخون قبل هذا الكتاب يمكن أن يكون فيه زيادة ونقصان في هذا
الموضوع . وما ذكرته أنت كان مبرراً لعذرهم ، كما أنك تكون معذوراً في كل
وقت . وإن ما كتبته عن أهم الوقائع منذ عهد چنگيزخان حتى الآن ،

وما ذكرته عن شرح شعب القبائل كان غاية الجميع ، وقد أفادنا فائدة كبيرة ،
وكله صحيح وصادق ، ولا يستطيع أحد الاعتراض عليه ، ولم يقدر مؤرخ آخر
على أن يكتب تاريخاً مثله . وإن الأشخاص الذين وقفوا بأنفسهم على هذه
الحكايات ، وعلى كل جزء من أجزاء هذا الكتاب قد اتفقوا على هذه الحقيقة
ولم يستطيعوا إنكارها . كما أنه لم يكتب شخص قط أصح ولا أضبط ولا أوضح
من هذا التاريخ .

وحيث أن الكتاب قد حاز القبول والمدح على هذا النحو في حضرة
سلطان الإسلام - خلد الله سلطانه - فقد شكرت الحق تعالى .

وإذا كنت قد اعترفت بتقصيري وعجزى في جميع أبواب الكتاب ،
ومع هذا نال الإعجاب في حضرة السلطان ، وشملة بعين القبول والرضا ، فكيف
أستطيع أن أشكر الله على هذه النعمة . أعاد الله تعالى نفعه على جميع
المستفيدين والناظرين فيه بمنه وكرمه ، وأدام بظل رحمته هذا السلطان
الزؤوف بعبده .

فهرست هذا الكتاب المسمى جامع التواريخ والموضوع على ثلاثة مجلدات

المجلد الأول : الذى أمر بإتمامه فى هذا الوقت شاهنشاه الإسلام
السعيد أولجايتو - خلد سلطانه - على أن يظل مقدما باسم أخيه السلطان
غازان خان - أنار الله برهانه - هذا المجلد يشتمل على باين :

الباب الأول : فى بيان الحكايات المتعلقة بظهور أقوام الأتراك ، وكيفية
انشعابهم إلى قبائل مختلفة ، وشرح حال آباء وأجداد كل قوم منهم بصورة
مجملة ، ويشتمل هذا الباب على ديباجة وأربعة فصول :

الديباجة : فى ذكر حدود مواضع الأتراك ، وتفصيل أسماء وألقاب كل
شعبة مما عرف عن هؤلاء القوم .

وأما الفصول : فى شرح أحوال هؤلاء القوم المذكورين وهى على هذا
الترتيب :

الفصل الأول : فى ذكر حكايات أقوام الأوغوز^(١) الذى كان حفيدا

ص
٥٢

(١) يريد مؤرخنا بأقوام الأوغوز تلك الشعوب التركية المختلفة التى تقرر الروايات أنها
تنحدر لما من ذلك الملك القديم ، أو من بين أقاربه وحلفائه الذين هبوا لنجدة بسلاجهم ،
وتشمل هذه التسمية الأوينور والقبچاق والقلبيج والخرجية والقرلق والأعاجرية . (كاترمير
س ٥٢)

لأبو بجه خان المسمى يافث بن نوح عليه السلام ، وتاريخ الأقسام الذين كانوا معه من أعمامه .

الفصل الثاني : في ذكر أقوام الأتراك الذين يطلق عليهم المغول ، لكن في قديم الأيام كان لكل قوم منهم اسم ولقب خاص ، كما كان لكل رئيس وأمير .

الفصل الثالث : في ذكر أقوام الأتراك الذين كان لكل منهم ملك ورئيس على حدة ، ولكنهم لم يكونوا على صلة قرابة بالأقسام الذين سبق ذكرهم في الفصل الثاني .

الفصل الرابع : في ذكر أقوام الأتراك الذين كانوا يلقبون قديما بالمغول وهذا الفصل ينقسم بدوره إلى قسمين : ص ٥٤

القسم الأول : في ذكر مغول دزلكين .

القسم الثاني : في ذكر مغول نيرون .

الباب الثاني : في بيان حكم ملوك المغول والأتراك وغيرهم ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : في بيان تاريخ آباء چنگيزخان وأجداده ، وحكاياتهم وشرح أحوالهم . وهذا الفصل يشتمل على تواريخ عشرة أشخاص :
(١) تاريخ دويون بايان .

- (۲) تاریخ الاقوا وأولاده الثلاثة .
- (۳) تاریخ بوذنجیر بن الاقوا .
- (۴) تاریخ دوتومین بن بوذنجیر .
- (۵) تاریخ قایدوخان بن دوتومین .
- (۶) تاریخ سنگقور بن قایدوخان .
- (۷) تاریخ تومینه خان بن سنگقور .
- (۸) تاریخ قبل خان بن سنگقور .
- (۹) تاریخ برتآن بهادر بن قبل خان .
- (۱۰) تاریخ ییسوکا بهادر بن برتآن بهادر .

الفصل الثانی : فی تاریخ چنگیزخان وأبنائه وأحفاده المشهورین الذین

نصب بعضهم سلاطین ، وأعطوا لقب « خاقان » فی کل عهد ، بينهما لم یصل البعض الآخر إلى مناصب الحكم . مع ذکر مجمل لتاریخ ملوک العالم الذین كانوا یعاصرونهم حتی هذا الوقت .

- ۱ - تاریخ چنگیزخان بن ییسوکا بهادر .
- ۲ - تاریخ اوکتای قاآن الابن الثالث لچنگیزخان وولی عہدہ .
- ۳ - تاریخ خوجی خان الابن الأكبر لچنگیزخان وأمرته .
- ۴ - تاریخ چغتای خان الابن الثاني لچنگیزخان وأمرته .

- ٥ - تاريخ تولوى خان الابن الرابع لچنگيزخان ووارث أملا كههم .
- ٦ - تاريخ كيوك خان الابن الأكبر لاوكتاي قاآن والذي اختير شاهنشاهها
ص ٥٦
بعد أبيه .
- ٧ - تاريخ منگوقاآن الابن الأكبر لتولوى والذي صار شاهنشاهها
بعد كيوك .
- ٨ - تاريخ قوييلاى قاآن بن تولوى خان الذى تولى عرش المغول
بعد منگوقاآن .
- ٩ - تاريخ تيمور قاآن حفيد قوييلاى قاآن والذي كان ملكا فى
ذلك الوقت .
- ١٠ - تاريخ هولاجو خان الابن الثالث لتولوى خان والذي صار
ملكاً لإيران .
- ١١ - تاريخ آباقا خان الابن الأكبر لهولاجو خان الذى تولى العرش
بعد أبيه .
- ١٢ - تاريخ تنكودار أحمد بن هولاجو خان الذى صار ملكاً بعد أخيه
آباقا خان .
- ١٣ - تاريخ أرغون خان الابن الأكبر لآباقا خان الذى تولى العرش
بعد أحمد .
- ١٤ - تاريخ كيخاتو خان بن آباقا خان الذى صار ملكاً بعد أرغون خان .

١٥ - تاريخ السلطان غازان خان الابن الأكبر لأرغون خان والذي تولى العرش بعد كيكخاتون خان .

١٦ - تاريخ الجلوس المبارك لسلطان الإسلام أوجايتو - خلد الله ملكه وسلطانه -

المجلد الثاني : الذى أمر بتأليفه شاهنشاه الإسلام السلطان أوجايتو - خلد ملكه - وكتب باسمه ، وهو يشتمل على باين :

الباب الأول^(١) : فى تاريخ سلطان الإسلام من ولادته حتى زمن تأليف
هذا الكتاب (فى سنة ٧٠٦) ^(٢)

الباب الثانى : وينقسم قسمين :

القسم الأول : يشتمل على فصلين :

الفصل الأول : فى مجمل تاريخ كافة الأنبياء والخلفاء والسلاطين ،
وسائر طبقات الناس وأصنافهم من عهد آدم عليه السلام حتى هذا الوقت
يعنى سنة سبعمائة هجرية وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار .

الفصل الثانى : فى تفصيل تاريخ كل قوم من أقوام أهل العالم الذين
يقطنون الربع المسكون على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وأصنافهم . ورغم أن

(١) هذا الباب محذوف من جميع النسخ الخطية ، ويرجح أن يكون قد ضاع عقب الإغارة على الربع الرشيدى بعد قتل رشيد الدين . (المترجم)

(٢) انظر مقال Browne فى J R A S . عام ١٩٠٨ ص ٢٢ .

بعض هذه الروايات قد ورد مفصلا ومجملا في التواريخ السابقة ، فإن أغلبها لم يسبق ذكرها . وإذا فلا يفهم مطلوبها إذا بحثت تلك التواريخ . والبعض الآخر من التاريخ لم يحصل عليه مؤرخو هذه البلاد في عهود الملوك السابقين ، ولم يستطيعوا الوقوف على حقائق الأحوال ، حتى جاء هذا العهد المبارك فكتب المؤلف بناء على إشارة السلطان ذلك التاريخ على هذا النحو من التفصيل والترتيب المبين هنا وحصل معلوماته من موجز كتب كل قوم ، ومن أفواه العلماء لكل طائفة بعد أن قام بقدر المستطاع بتحقيقها وتمحيصها .

القسم الثاني : في ذكر التاريخ المبارك لسلطان الإسلام أوجايتو خلد الله

ملكه منذ الوقت الذي تم فيه تأليف هذا المجلد في سنة (٧٠٦)^(١) إلى سنوات عديدة غير متناهية ، والتي سوف تكون عمر ذلك السلطان . وهذا القسم الأخير يكتبه المؤرخون الذين يلازمون السلطان ويجعلونه ذيل لهذا المجلد الثاني .

المجلد الثالث^(٢) : في بيان صور الأقاليم ومسالك الممالك .

وفي هذا المجلد أثبت المؤلف بعد تتبع وتحقيق - كل ما سبق معرفته عن هذه الممالك ، وما شرح في الدفاتر ، وما أعد من خرائط وصور . وأضاف إليه كل ما وجده في هذا العهد المبارك في كتب الحكماء والعلماء من الهند والصين والملاخين وبلاد الإفرنج بعد أن قاموا بتحقيقها وتقريرها .

(١) انظر Browne في J R A S. ، يناير ١٩٠٨ ص ٢٠ .

(٢) هذا المجلد مفقود من النسخ الخطية وربما كان مجرد فكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ . وإذا كان قد ألف بالفعل فيحتمل أن يكون قد ضاع عقب الإغارة على الربع الرشيدى .

ذكر تأليف الكتاب الموسوم بالتاريخ الغازاني^(١)

لا يخفى على أرباب الفطنة والكياسة ، وأصحاب الروية والفراسة ، أن التاريخ عبارة عن ضبط وترتيب كل حالة غريبة ، وحادثة عجيبة يتفق وجودها نادرا ، وتثبت في متون الدفاتر ويطون الأوراق .

ويسمى الحكماء ابتداء تلك الحادثة « تاريخا »^(٢) ، وبواسطته يعرفون كمية الزمان ومقداره . وبناء على هذا المعنى يعين تاريخ ابتداء كل ملة ، وأول كل دولة . وأية حادثة أو قضية ، كانت أعظم في هذا الزمان من ظهور دولة چنگيزخان حتى يمكن اعتباره تاريخا ! إذ أنه في فترة قصيرة ، سخر بلاداً

ص ٦٢

(١) في الأصل مقدمة سابقة على هذه التي نجدناها هنا . وقد حذفها كاترمير من نسخته لعدم جندواها ، فهي تدور حول الدعاء ، وذكر إبراهيم والإسلام ، ومديح ملوكة المبالغة لاسلطان غازان .

(٢) يذكر كاترمير فقرة من « الآثار » لليروني يعرف فيها اصطلاح التاريخ بقوله : « التواريخ هي مدة معلومة تعد من لدن أول سنة ماضية كان فيها مبعث في آيات وبرهان ، أو قيام ملك مسلط عظيم الشأن ، أو هلاك أمة بطوفان عام مخرب ، أو زلزلة وخسف مبيد ، أو وباء مهلك ، أو قحط مستأصل ، أو انتقال دولة ، أو تبدل ملة ، أو حادثة عظيمة من الآيات السماوية ، والعلامات المشهورة الأرضية التي لا تحدث إلا في دهور متطاولة وأزمنة متراخية ، تعرف بها الأوقات المحددة فلا غنى عنها في جميع الأحوال الدنياوية والدينية . ولكل واحدة من الأمم المتفرقة في الأقاليم تاريخ على حدة تعدها من الأزمنة ، أزمنة ملوكهم أو أنبيائهم أو دولهم أو سبب من الأسباب التي قدمت ذكرها ، ويستخرج بها ما يحتاج إليه في المعاملات ومعرفة الأوقات وتفرد به دون غيره » .

كاترمير ص ٦٠ .

كثيرة من ممالك العالم برأيه الثاقب ، وتديره الصائب ، وكال كياسته ، وفرط سياسته ، وقع طائفة المفسدين الذين كان كل واحد منهم « فرعونا » في الطبيعة ، « ضحّاكاً »^(١) في السيرة ، ينادى من فرط غروره : « أنا ولا غيرى » ، فداسهم بأقدام بطشه ، وأسلمهم إلى الفناء ، وبذلك جعل العالم على وجه واحد ، والقلوب على رأى واحد ، ونظف بيضة الملكة ، وحوزة السلطنة ، من تصرف المتغلبين الجائرين ، وظلم المتعدين المتجبرين ، وأورثها أولاده المشهورين ، وأحفاده العظام ، وبايعهم سعود الأفلاك على الدوام والاستمرار .

وكان من رسم الحكماء وعادة العلماء ، أنهم يؤرخون معظمات الوقائع خيرها وشرها في كل زمان ، حتى يعتبر بها أخلافهم وأعقابهم ، إن كانوا من أولى الأبصار ، ويعلموا أحوال القرون الماضية فتفيدهم في أدوار المستقبل . وبواسطة التاريخ كذلك يبقى ذكر الملوك المشهورين ، والأكاسرة المظفرين مؤيدين ومخلدا على صفحات الدهر ؛ لأن الوقائع والحوادث تندرس وتنطمس على مرور الشهور وامتداد الأعوام والدهور .

من
٦٤

شعر :

« إن ذكر الأعوام في دوراته ،

يمحو ما سطر من التاريخ »

(١) يشير بذلك إلى الضحّاك الذي يمثل في الأساطير الفارسية الشخصية التي اجتمعت فيها كل أنواع الشرور ، والذي قضى على الملك جمشيد ، واستولى على ملكه ، وحكم إيران إلى أن تار عليه الفرس ، وولوا بدله افريدون بعد ثورة گاوه المشهورة .

والدليل على صدق هذا المعنى ، هو أنه قد توفر للسلطان محمود الغزنوى من الممالك العديدة العريضة ، والحشمة المستفیضة ، والنعم الوافرة ، والأموال التى لا حصر لها ، والخزائن الجمة ، والدفائن الكثيرة ، وأسباب السعادة والنعم فى هذه الدنيا ، ما لم يتوفر لغيره من سلاطين إيران ، ومع هذا لم يبق بعده من هذه الأسباب والأموال ، غير الذ ذكر الجميل الذى تبقى فى نظم العنصرى ^(١) والفردوسى ^(٢) ، وفى كلام العتبى ^(٣) .

شعر :

ص
٦٦

— « إن آثار محمود الغزنوى وحسن سيرته ،

إنما بقيت فى الدنيا مسجلة فى الأشعار » .

ومن هنا صار معلوما أن أهل الأدب والمؤرخين ، هم أكبر وخير الداعين للسلطين .

(١) هو أبو القاسم حسن بن أحمد العنصرى البلخى . نال شهرة كبيرة فى عهد السلطان محمود الغزنوى حتى لقب بلقب ملك الشعراء . يعد العنصرى من أعظم شعراء القصائد فى الأدب الفارسى . توفى فى سنة ٤٣٦ هـ .

(٢) هو أبو القاسم حسن بن اسحاق الفردوسى . ولد فى المدة ما بين سنة ٣٢٣-٣٢٩ . ويقال إنه نظم الشاهنامه فى حدود سنة ٣٧٠ وأتمها فى سنة ٤٠٠ وقدمها باسم السلطان محمود الغزنوى . تعد الشاهنامه التى اشتملت على قصص الملوك والأمراء والأبطال الإيرانيين منذ أقدم العصور حتى الفتح العربى أثرا خالدا فى اللغة الفارسية .

(٣) المقصود أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى الرازى (٣٥٠ - ٤٢٧) المؤرخ المعروف فى العصر الغزنوى . ألف كتاب « اليمى » أو « سيرة اليمى » المشتمل على تاريخ سبكتكين وابنه محمود حتى وقائع سنة ٤١١ هـ .

وحيث إن الأقوام الموسومين باسم الترك ، مقامهم وسكنهم في البلاد البعيدة ، التي طولها وعرضها من ابتداء طرف ماء جيحون وسيحون ، إلى انتهاء حدود بلاد الشرق ، وانتهاء صحراء القبيحاق إلى غاية نواحي جورجية ص ٦٨ والخطا ، وفي تلك المواضع هم يسكنون الجبال والوهاد والأجام ، ولم يعتادوا السكنى في القرى والمدن . وحيث إنهم كانوا بعيدين عن بلاد إيران ، فإنه لم يأت في تواريخ المتقدمين من أحوالهم ذكر مفصل . نعم قد ورد في بعض الكتب شيء يسير من ذكرهم ، ولكنهم لم يجدوا من أرباب الخبرة أحدا يحقق أخبارهم ، ويتناول آثارهم وحكاياتهم كما ينبغي بالشرح والتفصيل .

ومع أن الأتراك والمغول وشعبهم يتشابهون ، وأطلق عليهم في الأصل لقب واحد ؛ فإن المغول صنف من الأتراك ، وبينهم تفاوت واختلاف شاسع ص ٧٠ كما سيبحث شرح كل ذلك في موضعه . وهذا الاختلاف أيضا إنما وقع بسبب أن تواريخهم لم تحقق في هذه الديار .

وحينما وصلت نوبة الخانية وملك العالم إلى چنگيزخان وأولاده العظام ، وخلفائه المشهورين ، وانقاد لهم أهل الممالك جميعها في الربع المسكون من بلاد الصين والماچين والخطا والهند والسند وما وراء النهر وتركستان والشام والروم والآس ^(١) والروس والجركس والقبيحاق والكلار والباشقرد ، تلك الرقعة الممتدة على سبيل الإجمال من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب .

(١) الآس ويعرفون عند بعض الكتاب بالآلان والاوزيت . وتكتب الكلمة أحيانا بالصاد فيقال الآص .

وقد أورد بعض علماء العصر وأفاضل الدهر في سابق الأيام ، شيئاً عن
أحوال تسخير الممالك وفتح القلاع ، وتنفيذ أوامر چنگيزخان وأولاده ، ولكنه
كان خلاف الواقع ، وخلاف ما يعتقده أمراء المغول . ويرجع سبب ذلك إلى
عدم وقوف هؤلاء العلماء على كيفية الأمور والأحوال ، وقلة معرفتهم لعظام
الوقائع وجلائل الحوادث لتلك الدولة .

ولكن وجد في خزائن أمراء المغول ، تاريخ صحيح يحوى أخبارهم عهداً
بعهد ، وهو مكتوب بالخط المغولى ، إلا أنه لم يكن مرتباً بل كان فصولاً
مبتورة حافظوا عليها ، وأخفوها عن أعين الأغيار والأخبار ، ولم يمكنوا كل
واحد من الاطلاع عليها حتى هذا الوقت الذى تشرف فيه تاج السلطنة وعرش
المملكة لبلاد إيران - اللذان كانا موضع غبطة جميع ملوك العالم - بوجود سلطان
الإسلام محمود غازان خان - خلد ملكه - فالتفت خاطره المبارك لفرط مارزقة
من علو الهمة وبعد النظر - إلى ترتيب تلك الأجزاء وتدوينها ، وكلفنى أنا
عبد هذه الدولة الإيلخانية ، والمعتصم بعون العناية الربانية ، مؤلف هذا التاريخ
فضل الله بن أبى الخير الهمداني ، الملقب بالرشيد الطيب - أصاح الله شانه ،
ووقاه عما شانه - أن أكتب تواريخ أصل المغول ، ونسب سائر الأثرى الذين
يشبهون المغول ؛ وذلك فصلاً بعد فصل ، وأرتب تلك الروايات والحكايات
التي تتعلق بهم ، مما كان موجوداً في خزائهم المعمورة ، ومما وجدته عند بعض
الأمراء والمقربين إلى الحضرة .

وحتى هذا الوقت لم يكن أحد قد جمع هذه المعلومات ، ولا تيسرت له سعادة هذا التصنيف ، وشرف هذا التأليف . فكل مؤرخ كان يكتب شطرا من ذلك عن غير معرفة بحقيقة الحال ، بل سمعه من أفواه العوام ، ونقله على وجه وافق طبعه واقتضاه رأيه ، ولم يحققه ويتيقن صحته أحد .

أما أنا فإني أورد عرائس الأبيكار ، ونفائس الأفكار ، وأوثق الأخبار والآثار ، التي بقيت محجوبة في أستار الكتمان حتى هذا الأوان ، وذلك بعد المبالغة في تصحيحها وتنقيحها ، والدقة والإتقان في ترتيبها وتدوينها ، بلفظ مهذب منسق ؛ فأجلوها بذلك لأعين النظر على منصة الإظهار .

وإن ما أجمله هذا الكتاب أو فصله مما لم يكن مذكورا في غيره ، قد استقيته من علماء الخطا وحكائهم ، ومن علماء الهند والأويغور والقبچاق وغيرهم من الأقوام والأعيان ، الممثلين لجميع الطوائف الذين كانوا يلزمون الحضرة الشريفة العالية ؛ خصوصا من خدمة الأمير الأعظم ، « والنويان » ^(١) المعظم ، قائد جيوش إيران وتوران ، مدير ممالك العالم « پولادچينگسانگ » ^(٢)

(١) نويان أو نويين كلمة مغولية معناها « رئيس تومان » أى رئيس فرقة مكونة من عشرة آلاف رجل (انظر كاترمير ، ص ٧٦) . وقال القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٣ : « أما الأمراء فقد ذكر في مسالك الأبصار أنهم عندهم على أربع طبقات : أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف ، ويعبر عنه « بأمير تومان » . إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف . ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة » .

(٢) پولادچينگسانگ رجل يتمتع بشهرة كبيرة لدى المغول . وكثيرا ما يرد ذكره في كتاب رشيد الدين ، ويوصف بمعارفه الواسعة وإحاطته التامة بتاريخ المغول ، فلا غرو أن كان أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها رشيد الدين في تأليف كتابه جامع التواريخ . =

ص ٧٨ دام معظماً ؛ فهو الذى لم يوجد مثله فى بسيط الربع المسكون فى أنواع الفضائل المختلفة، وفى معرفة الأنساب لأقوام الأتراك وتواريخ أحوالهم ؛ خصوصاً تاريخ المغول. واقتبست أيضاً من كتب التواريخ الاصطلاحات المتعارف عليها، وذلك حتى يكون كتابى من أوله إلى آخره، مفهوماً ومعلوماً للخواص والعوام. وبذلك تبقى نوادر الأحوال، وتصان معظمات الوقائع والحوادث التى حدثت فى عهد دولة المغول، فلا تنطمس بمرور الأيام، ولا تندرس بامتداد الشهور والأعوام، ولا تبقى محجوبة فى ستار الاختفاء ؛ إذ أنه فى هذا العهد لم يكن كل شخص واقفاً على تلك الأمور، وبمضى الزمن ينسى الشباب من أبناء الأمراء أسماء الآباء وأنساب الأجداد والأعمام والأخوال، ويفقدون عن مجريات الأحوال ووقوع الحوادث التى بعد بها العهد. وكيف يجوز لأولاد العظماء وأعقابهم من كل قوم، ألا يكونوا مطلعين على مجارى أحوال الآباء، وذكر أنسابهم وأسمائهم لاسيما أولئك الذين خصهم الحق تعالى بأنواع العناية، وجعل التوفيق حليفاً لا غلب ما قاموا

= ويقرر مؤرخنا أن الأمير يولاد آقا ينسب إلى قبيلة مغولية من « دوربان »، وكان أبوه الذى يدعى « بوركى » يشغل طاهياً (ياروجى) عند چنگيزخان، وكان ملحفاً بقصر « بورتاج قودجين » محظية چنگيز وتحت إمرته كتيبة مؤلفة من مائة رجل، وهذه بدورها تؤلف فرقة من الكتيبة المكونة من ألف رجل (هزاره) الخاصة بالخان. وكان يولاد ملحفاً بخدمة الخان الأعظم « قوبلاى ويجمع بين لقب چينگسانگ ولقب ياروجى (أى طاه) ثم أرسل سفيرا إلى إيران من قبل قوبلاى حيث أقام زمناً طويلاً. وكان أميراً ذا صفات عالية، كما كان يتمتع بشهرة لاحد لها. وقد وصل إلى بلاط المغول فى فارس فى بداية حكم أرغون خان، ونراه فى سنة ٧٠٢ من الهجرة يبلغ غازان خان حديثاً طويلاً مترناً عن ماهية السلوك السياسى. وقد مات فى سنة ٧١٢ فى مدينة أران. (انظر كاترمير، ص ٧٧)

من ٨٠ به من أعمال عظيمة ، ووضع زمام الأمور الصعبة في قبضة أيديهم وطوع
أمرهم ، وجعل تحت سيطرتهم الممالك البعيدة والقريبة التي لم يكن ليقدّر عليها
في عهد من العهود الأخرى - الملوك الباطشون والسلاطين الجبابرة ، يضاف
إلى هذا أن أقوام هذه الممالك لم يسمع عنهم تواريخ متواترة ولا محققة ، ولم
تعرف علومهم وثقافتهم .

وحيث إنه قد أتيت لا ببناء چنگيزخان هذه الدولة وتلك السعادة ،
ولما كان العلماء والحكماء والمؤرخون ملازمين للحضرة العليا دائماً ، وصار
كشف هذه المعاني ميسراً وسهلاً ، فكيف يجوز أن يبقى الحال على هذا
الوضع معطلاً ومهملاً ؛ فيذكر كل شخص رواية مجهولة ، ويكتب نكتة
فجة . وفي كل آونة لا يمكن أن يكون إحياء الذكرى الحسنة للآباء والأجداد ،
وتجديد ذكر أقوال الأسلاف وأعمالهم بغير سعى الأولاد المنتخبين ، والأحفاد
البررة الذين امتازوا واختصوا بالتأييد الرباني والتوفيق الإلهي .

شعر :

- بالابن يخلد اسم الأب ،

وتبقى أمنيته .

فلما صدر الأمر المبارك - لازال نافذاً ومطاعاً - بأن أقوم بإتمام هذا
الأمر الهام ، لم أجد مفراً من الامتثال لأمره ، ووقفت كل جهودى وخاطرى
وضميرى على معرفة تواريخ المغول ، ورواياتهم وحكاياتهم ، وبذلت في هذا

السبيل غاية السعى والاجتهاد . وبعد أن عكفت على مطالعة مضمون تلك
الأجزاء المبعثرة الموجودة في الخزينة ، قمت بتحقيقها وترتيبها وتبويبها ، وضممت^ص
إليها كل ما سمعته بالتفصيل من حكماء الدولة الملازمين للحضرة ، ومن العلماء
والمؤرخين من كل صنف ، وذلك بعد فحصه وتحقيقه . ولكي تستطيع
الأفهام المختلفة إدراكه بسهولة ؛ فسوف أكتبه بعبارة واضحة فصلاً فصلاً إن
شاء الله تعالى حتى يقع موقع القبول من تلك الحضرة ، فيكون موجباً لإدراكى
السعادة في الدنيا ، ونيل كل ما آمله وأتمناه ، والله المستعان .

تاريخ هولاگو خات

القسم الأول : (١) في ذكر نسبه . (٢) شرح وتفصيل أحوال نسائه

وأبنائه وأحفاده حتى الوقت الذي تشعبوا فيه . (٣) أسماء
أصهاره ، وصورته ، وجدول لشعب أبنائه .

القسم الثاني : (١) في مقدمة جلوسه (٢) صورة تمثل العرش والنساء

والأبناء والأحفاد وكذلك الأمراء أثناء جلوسه على عرش
المغول (٣) الحكايات التي حدثت في عهده ، وذكر
الحروب التي قام بها في كل وقت ، والفتوح التي
تيسرت له .

القسم الثالث : في بيان سير أخلاقه الحميدة ، والنصائح والحكم والأمثال

التي صرح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت
في عهده ، مما لم يدخل في القسمين السابقين . وقد جمعت
في أما كن متفرقة من كتب مختلفة ، وسمعت من كل صنف
من الناس .

القسم الأول

من تاريخ هولاغو خان

في ذكر نسبه وشرح وتفصيل نسائه وأبنائه وأحفاده
حتى الوقت الذي تشعبوا فيه وأسماء أصهاره
وصورته وجدول لشعب أبنائه

ذكر نسبه الرفيع

هولاغو خان هو الابن الرابع لتولوى خان (الابن الرابع لچنگيز خان) ، وأمه ^{ص ٨٦} هي سيورقوقيتى بيكى ، ابنة جاكى كىبىبى أخى أونك خان ملك أقوام « كرايت » .
وكان اسم جاكى كىبىبى الحقيقى « كِهْ بَدَاي » . وعند ما نزل فى ولاية تنكقوت ،
واحتل هناك منزلة سامية ، أعطاه ملوك « تنكقوت » لقب « جاكىبى » ^{ص ٨٨} يعنى
الأمير المعظم والكبير فى المملكة . ولما كانت الصداقة تقوم بين چنگيز خان
وبين أونك خان ، وتربطهما الصلات الروحية التى توجد بين الوالد وابنه ، فقد
طلب أن يزوج ابنه من ابنتى أخى أونك خان ؛ فكانت بيكسوتىبى لابنه
« چوچى » ، وكانت سيورقوقيتى لابنه الآخر « تولوى خان » . وقد أعقب ^{ص ٩٠}
منها تولوى خمسة أولاد وبنتاً واحدة ، كما ذكر فى تاريخه . وتزوج چنگيز خان
نفسه من ابنة أخرى لجاكىبىبى « ابغى بيكى » ، ولكنه ذات ليلة رأى
حلماً فوهبها على الفور « ليكيتى نويان » .

شرح وتفصيل أحوال نسائه

كان لهولا گو خان نساء وسرارى كثيرات ؛ منهن المشهورات اللاتي وصلن إليه عن أبيه بحكم الياسا (القانون) ، أو اللاتي تزوجهن بنفسه . ونحن نقصّل أسماءهن على هذا النحو :

امراته العظمى « دوقوز خاتون » من الأصل العريق لقبيلة « كرايت » . وهى ابنة ايقوب بن اونك خان . ولما كانت زوجة أبيه ، فإنها كانت مفضلة على نساءه الأخريات^(١) ، رغم أنه تزوج منهن قبلها ، ولم يتخذها زوجة له إلا بعد أن عبر نهر جيحون ، ولم يكن تولوى خان قد دخل بها . وكانت دوقوز خاتون تتمتع بمنزلة كبيرة ، كما كانت قوية الشخصية . ولما كانت من أقوام « كرايت » الذين كانوا مسيحيين فى الأصل ؛ فإنها كانت تعمل دائما على مؤازرة المسيحيين . وفى عهدها قوى حال تلك الطائفة ، وكان هولا گو خان يرعاهم ويعزهم إرضاء لها . وقد بلغ بهم الأمر ، أنهم كانوا يقيمون الكنائس فى جميع الممالك ، كما أقيمت كنيسة نخيم أوردو^(٢) دوقوز خاتون دقوا فيها النواقيس . وكانت وفاتها بعد وفاة

(١) كان من عادة المغول ولا سيما الأمراء ، أنه إذا مات أحدهم ، أصبحت زوجاته ميراثا لابنه الأكبر الذى يصبح له عليهن سلطة مطلقة ، فيتزوج منهن من يشاء باستثناء أمه به ويطرد منهن من يشاء ، أو يزوجهن من الآخرين (انظر كاترمير ، ص ٩٢) .
(٢) الكامة بمعنى الحيمة أو القصر أو المعسكر .

هولاكو بأربعة شهور وأحد عشر يوما وقبل جلوس آباخان . وسيأتي ذكر هذا التاريخ في موضعه . وقد منح آباخان قصرها لبنت أخيه « توفيتي خاتون »^(١) التي كانت محظية لهولاكو خان ، وكان يتصل بذلك القصر ، ويحافظ على الرسوم والتقاليد ، على نحو ماسينجيء في تاريخ آباخان . وقد توفيت في يوم الاثنين الثاني من شهر « ايكندى » من سنة لو (التنين) ، الموافق آخر صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة ، فأعطى قصرها إلى « كوكاجى خاتون » التي أحضرت من بلاط الخان . وكان يعظمها لأنها كانت تمت بصلة القربى إلى بولغان خاتون . وقد توفيت كوكاجى خاتون ، التي تزوجت من سلطان الإسلام غازان ، في شهر شعبان سنة خمس وتسعين وستمائة ، فأعطى قصرها إلى « كرامون خاتون »^(٢) ، التي توفيت أيضا فجأة في مشتى « هولان موران » على حدود « سراى حومه »^(٣) ، في يوم السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧٠٣ ، وقد تزوج الآن سلطان الإسلام عوضا عنها قتلغ شاه خاتون ابنة

(١) هي بنت أخت دوقوز خاتون .

(٢) هي بنت قتلغ تيمور وزوجة غازان .

(٣) النهر الذى يسميه المغول بنهر هولان موران ، والمكان الذى يسمونه « سراى حومه » ، يشار إليهما مرارا عديدة في كتاب مؤلفنا ؛ فنجدته يتكلم عن « سراى حومه » و « ساكورلك » مع بعض ضواحي همدان . وفي مكان آخر يتكلم عن شواطئ نهر « هولان موران » . بعد ذلك تقرأ له أن سكان هولان موران سمو باسم « الجايتوموق » ، وأن حصن « جوق » كان على بعد مرحلة من « سراى حومه » . وأخيرا نراه يتكلم عن سكان يسمون الجايتوموق ويقيمون على شاطئ هولان موران . ويقول إنهم هم الذين سبق ذكرهم . ويبدو أن هذا المكان الذى لم أجد عنه أى تفاصيل أخرى ، غير بعيد من مدينة همدان . (كاترمير ، ص ٩٦) .

ايرينجين بن ساروجه ، الذى كان ابن أخى دوقوز خاتون . ولا يزال هذا القصر قائماً .

زوجة أخرى لهولا گو ، هى « كويك خاتون » ، من أصل ملوك أقوام الأويرات ، وهى ابنة تورالجي كوركان ، وأمها ابنة چنگيز خان التى تدعى « چيجكان » .

وكانت أولجاي خاتون ^(١) أيضاً ابنة تورالجي ، ولكنها من أم أخرى . وكويك خاتون هى أول زوجة اتخذها هولا گو فى ولاية منغوليا . زوجة أخرى تزوجها هولا گو ، هى « قوتوى خاتون » ابنة ^(٢) من أصل ملوك أقوام القنقرات ، تزوجها بعد أن توفيت كويك خاتون فى ولاية منغوليا ، ومنحها مخيمها . زوجة أخرى له هى أولجاي بنت « بورالجي كوركان » ، من أصل ملوك أقوام الأويرات ، وهذه تزوجها أيضاً فى منغوليا . كذلك كان لهولا گو زوجة اسمها « سونجين خاتون » من قوم سيلدوس ، وقد تزوجها أيضاً فى ولاية منغوليا ، وكانت تقيم فى مخيم « قوتوى خاتون » ، وبقيت فى بلاد المغول إلى أن جاءت معه إلى إيران .

(١) المترجم : كانت زوجة لهولا گو أيضاً وأما لابنه منكوتيمور ، وبعد وفاة هولا گو آلت إلى ابنه آباخان حسب عادة المغول الذميمة (انظر جها نكشاى ، ج ١ ص ٣ من المقدمة) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من المتن .

ذكر شعب أبنائه وأحفاده

ص
٩٨

كان لهولا گوخان أربعة عشر ولدا وسبع بنات ، نذكر أسماءهم مع شرح مختصر لأحوال كل منهم ، وإيراد أسماء أحفاده منذ انشعابهم حتى اليوم .
آباقاخان هو الابن الأكبر لهولا گوخان ، وأمه « سونجين خاتون » كانت تقيم في منغوليا ، ثم قدمت مع أبيه إلى إيران . وكان آباقا مميزا على جملة إخوته الكبير منهم والصغير . وإذ ولي العهد ، وعين قائم مقام أبيه ، فقد أصبح وارثا للعرش والملك والرعية والجيش .

الابن الثاني لهولا گو هو « جومقور »^(١) . وأمه گويك خاتون ، وقد ولد في ولاية منغوليا بعد شهر من ولادة آباقاخان . وعندما شخص هولا گوخان إلى إيران ، ترك هذا الأمير الصغير مع حراسه في خدمة « منگوقاآن » ، كما أن الخيماة الأخرى التي كان قد أحضرها معه ، تركها في ولاية تركستان ، بالقرب من مدينة « الماليق »^(٢) وحينما دب الخلاف بين « أريق بوكا » و« قوبيلاي قاآن » ، كان جومقور في معسكرات منگوقاآن ، كما كان هناك أيضا أريق بوكا ، بينما كان قوبيلاي بعيدا عنها ، فوجد جومقور ضرورة في أن يقف إلى جانب أريق بوكا . ولهذا السبب تحالف معه ، وحارب جيش قوبيلاي

(١) ذكر في « جهانگشا » جومغار أوغول . كاترمير ص ٩٨

(٢) تكتب أيضا « المالينغ » ، مدينة كانت تقع بالقرب من مدينة كبله الحالية ، على شاطئ نهر إيلي ، الذي يصب في بحيرة بالكاش ، الواقعة في ولاية تين چان پلو في الصين الغربية (للحصول على معلومات مفصلة ، انظر حواشي بلوشيه على جامع التواريخ ص ٤١٠-٤١١) .

بعد ذلك أعلن أريق بوكا الحرب على آلغو وهزمه ، فتخلف عنه جومقور معتذرا بمرضه في أطراف سمرقند ، لأن آباخان لم يكن راضيا عن موقفه العدائي من قوبيلاي ، فأرسل إليه رسالة يأمره فيها بالكف عن مناصرة أريق بوكا . ومن هناك انضم إلى « قوتوى » ، ثم توجه ليكون في خدمة أبيه ، ولكنه مات في الطريق كما سيأتى شرح هذا في موضعه . وكانت له زوجتان : أكبرهما « تولون خاتون » ابنة بوقاتيمور ، الذى كان أخا لكويك خاتون ، وثانيتها « جاورجى خاتون » الأخت الكبرى لبولغان خاتون الأميرة الكبيرة ، ولها ولدان بهذا الترتيب جوشكاب وكينكشو . وبعد موت جاورجى خاتون ^(١)...

وكان لجومقور بنتان أكبرهما « اورغوتاق » من تولون خاتون . وقد تزوجت من شادى كوركان بن سونجاق ، وأنجبت منه أولادا كثيرين ^{١٠٣} من بينهم ولد اسمه جيش وبنتان إحداها كوتنجشكاب التى تزوجت من ملك الإسلام (أولجايتو خان) - خلد ملكه - وثانيتها « طوقوجاق » ^(٢) ولدت من محظية تدعى ايلقتاغ ، تزوجها السلطان أحمد عندما اعتلى العرش ، ووضع على رأسها طرحة (البقتاق) ^(٣) .

(١) هنا نقص في المتن الأصلي .

(٢) ذكر فيما بعد باسم طوقاجاق .

(٣) يكتب هذا اللفظ المغولى بعدة أشكال: يفتاق أو بوقتاق أو بوقتاق أو بقتاق ، وأتى بمعنى قلنسوة ترصع بالجواهر ، وتلبسها سيدات المغول العريقات . كاترمير ص ١٠٢ .

الابن الثالث لهولا گو اسمہ « یشموت » كانت أمه محظية من قصر
(أوردو) « قوتوی خاتون » ، اسمها « بوقاجین ایکجی » من الخطائین ،
وكان لها ثلاثة أولاد على هذا الترتيب الذي ثبته : سوکای وقرابوقای
ورینو . وقد توفي رینو على شاطئ جغاتو قبل توفیتی خاتون بشهر واحد .
ص ۱۰۴
أما سوکای وقرابوقا فقد قتلوا لعدم إخلاصهما .

والابن الرابع لهولا گو خان ^(۱) هو « ییکین » ولد من « قوتوی
خاتون » . وقد أصيب بغلة استرخاء المثانة ، فقام الأطباء الحاذقون بعلاجه مدة
طويلة ، فلم تنجح جهودهم ، وتوفي في نهاية الأمر .

وبعد وفاة جو مقور ، تزوج من تولون خاتون ، وأعقب منها ولدا اسمه
« سائی » ، كما أنجب منها بنتا اسمها أمينپور .

ولما توفيت اور قوتاق ، زوجه من « شادی کورکان » . وبعد وفاة
هولا گو نفسه ، تزوجها ابنه « عرب » ، ولكنها ماتت قبله تاركة ولدا
اسمه (۲)

الابن الخامس لهولا گو خان هو « طرغای » ، وأمها من محظية هولا گو
« بورقجین » ، من نخیم قوتوی خاتون ، في ولاية منغوليا . وفي الطريق إلى

(۱) في النص الذي أخذ عنه كاترمير تولوی خان ، ولكن كاترمير صحح الاسم كما
ذكرنا . كاترمير ص ۱۰۵
(۲) هذا الاسم ساقط من نسخة الأصل .

إيران، أصابته صاعقة سببت وفاته، بينما وصل إلى إيران أفراد معسكره مع قوتوى .
وكان لطرغاي ابن اسمه بايدو، حكم عدة أشهر بعد گيخاتوخان . وسوف نذكر
صورة هذه الواقعة، كما نذكر الأحداث الأخرى المتعلقة بهذا الأمير في موضعها .
وكان لبایدو هذا ابن اسمه قیچاق ، قتل مع والده . وأما والدته بایدو فاسمها
قراجين . وقد أعقب طرغاي أيضا ابنة اسمها « ايشيل »، تزوجت من توقتيمور
ابن عبد الله آقا . وبعد وفاته تزوجت من أخيه ، وهى تعيش حتى الآن .
الابن السادس لهولا گوخان هو « توسين »^(١) ، ولد من « بوقاجين »
والدة يشموت ، وكان له ابن اسمه « ساتى » .

الابن السابع لهولا گوخان هو أحمد ، وأمه « قوتوى خاتون »^(٢) ، وكان
اسمه فى بادئ الأمر « تاكودار » . وقد تولى العرش بعد آباقا خان ، وفى تاريخه
سوف يجرى ذكر أبنائه .

الابن الثامن لهولا گوخان هو « أجاي » ، وكانت أمه محظية اسمها
« أريقاق ايكاچى » ابنة « تنكر كوركان » ، وكانت فى مخيم « قوتوى
خاتون » . ولما جاء هولا گو إلى إيران ، عينها رئيسة لخمياته . وقد توفيت بعد
هولا گو بعشرة أيام، وكان لها ابن اسمه « إيلدر » ، قتل فى أوائل عهد سلطان
الإسلام غازان خان على حدود بلاد الروم .

(١) ذكر هذا الاسم فى مير خوند « روضة الصفا » : تشين أغول . كاترمير ص ١٠٦
(٢) فى روضة الصفا : تولى خاتون ، ثم بعدها يذكر : قولى خاتون . كاترمير ص ١٠٦ —

الابن التاسع لهولا گوخان هو «قونقرتای»^(١) كانت أمه محظية خطائية، اسمها «أجوجَه إيكاجی»، من قصر «قوتوی خاتون». وبعد مدة طويلة، وضعت الطرحة (البوقتاقي) على رأسها. وقد طعنت في السن، وماتت منذ مدة قصيرة. وكان «لقونقرتای» هذا ستة أولاد على هذا الترتيب:

١ - ایساتیمور أو (ایش تیمور)^(٢) ٢ - ایلداي أو (ایلدر)

٣ - جریك تیمور ٤ - گرای

٥ - طاشتیمور ٦ - إشیغ تیمور أو (إشق تیمور).

وكان «ایساتیمور» يدعى أيضا «خر بنده»، وكانت ولادته في نفس الليلة التي ولد فيها «ایلداي». وقد قتل الاثنان في عهد سلطان الإسلام غازان؛ بسبب ما كان في قلبيهما من غل. وأما الأولاد الآخرون گرای وجریك تیمور وغيرهما، فقد ماتوا في عهد الطفولة.

الابن العاشر لهولا گوخان هو یسودار، وكانت أمه محظية من مخیم «قوتوی خاتون»، اسمها «هسیجین» أخت أقرایيكي من قبيلة «گورلوت». وكانت لها ابنة زوجت من إيسين بوقا كوركاز بن بوقای یارغوچی^(٣). وبعد وفاة قرينها بسنة وشهرين أنجبت ولدا سمي «جیش» ونسب إلى یسودار.

(١) ذكر ميرخوند اسم هذا الأمير هكذا: قونقرتای، قونقرتای. وفي كتب أخرى ذكر الاسم: قنقردای وقونكفردای. كاترمير ص ١٠٧.
(٢) في روضة الصفا: ایتیمور. كاترمير ص ١٠٧.
(٣) یارغو ویرغو كلمة منولية بمعنى العدل والقانون، ويارغوچی بمعنى القاضي.

الابن الحادى عشر لهولا گو خان هو منگو تیمور ، ولد من أولجای خاتون ، وكان له ثلاثة أولاد على هذا الترتيب الذى نذكره : (١) انبارجى وله ولدان غير شقيقين وهما ايسن تیمور وقويجى . (٢) طانجو وله ابن واحد يدعى (١) قتل فى عهد غازان بسبب تمرد وعصيانه . (٣) گرای وله ولد واحد أيضا اسمه (٢) وقد مات طفلا ، بينما توفى گرای نفسه فى عهد گیخاتو . وأما بنات منگو تیمور ؛ فقد كن كثيرات ، كُبراهن الأميرة « گوردجین » أو (کردون جین) ، التى كانت فى بادىء الأمر زوجة لسلطان کرمان جلال الدين « سیور غاتمش » . فلما توفى زوجته من الأمير ساتالمیش بن بورالقى . ومن بعده أعطيت لابن عمه طغای .

وكان لمنگو تیمور ابنة أخرى اسمها (بیان آغا) ، زوجت من الأمير سوتای أو (موسوتای) الاختاجى (٣) ، وابنة ثانية اسمها قتلوق ، زوجت من طرقای کورکان ، فلما توفى أعطيت لطولادای إيداجى . وكانت زوجة منگو تیمور المفضلة ، هى إيش خاتون بنت الأتابک سعد بن أبى بکر ، أتابک فارس وابنة أخت الأتابک شاه یزد .

والابن الثانى عشر لهولا گو خان هو « هولاجو » (٤) ، وكانت أمه محظية

(١) هذا الاسم ساقط من نسخة الأصل .

(٢) هذا الاسم ساقط من نسخة الأصل .

(٣) اختاجى واختاجى كلمة مغولية بمعنى راعى الخيل والثائم على الإسطبل . (انظر تاريخ وصال ، ص ٦٥٩) . واخته بمعنى الحصان .

(٤) كان هولاجو يتمتع بمنزلة كبيرة لدى المغول . وقد رفض أن يلى عرش المغول فى ایران عند ما عرض عليه عقب وفاة آبا قاخان (انظر كاترمين ص ١١٠) .

من قصر توقوز خاتون ، اسمها « إيل إيكاجى » من قبيلة قنقرات ^(١) ، وقد أعقب منها ولدين : (١) سليمان وقد قتل بعد والده (٢) كوخك وقد توفى على أثر مرضه .

الابن الثالث عشر لهولا گو خان هو سياوجى (أوشينبادجى) ؛ وأمه « إيل إيكاجى » التى كانت أما لهولا جو أيضا . وقد مات سياوجى قبل وفاة أبيه بقليل ، فى نفس الشتاء الذى توفى فيه أبوه .

الابن الرابع عشر لهولا گو خان هو طغاي تيمور ، كانت أمه محظية من قصر قوتوى خاتون ومن قبيلة ^(٢) ، وكان له ولدان هما « قورمىشى » و « حاجى » .

والآن بعد أن فرغنا من ذكر أسماء وأنساب أولاد وأحفاد هولا گو خان الذين عرفنا بهم ، وتتبعنا أحوالهم بالشرح والتفصيل ؛ نشرع فى ذكر بناته وأصهاره بنفس الطريقة من الشرح والتفصيل ؛ ونسجلهم بالترتيب :
أما بناته فقد كن سبعا بهذا التفصيل :

الأولى « بولوقان آقا » ، وأمها « كويك خاتون » ، زوجت من « جومه كوركان » بن جوجى ، وهو من التتار ، كما أنه أخو بوقدان خاتون والدة كيخاتو خان ، وزوجة آباقا خان الكبرى . وقد جاء جوجى مع هولا گو خان

(١) إحدى القبائل المغولية (انظر جامع التواريخ) ، نشر برزى ، ج ١ ص ١٩٥ .
(٢) كلمة ساقطة من المتن .

إلى هذه البلاد ، وهو ابن ^(١) كوركان ، وقد تزوج من ابنة أونجي نويان ،
أخي چنگيز خان ، وتدعى جيجكان ، وكانت أما لجومه كوركان .

البنث الثانية لهولا گو خان هي « سَحي » وأما أولجاي خاتون .
ولما توفيت أختها بولوقان آقا ، زوجت من جومه كوركان .

البنث الثالثة اسمها منگوكان ، ولدت من أولجاي خاتون ، وتزوجت أولا
من جاقو كوركان ، ثم من توقا تيمور الذي كان من قوم أويرات ^(٢) . وقد جاء
توقا تيمور هذا مع هولا گو خان إلى إيران ، وكان أخا لأولجاي خاتون ، وأمه
هي أم كويك خاتون ؛ يعني جيجكان (بنث چنگيز خان) . وكان « طوقى »
ابن جاقو كوركان صهرا لمنگو تيمور ، وهو الذي هرب ولجأ إلى الشام .

والبنث الرابعة هي تودا كاج ^(٣) ، كانت أمها محظية من مخيم « توقوز
خاتون » ، وتسمى ^(٤) ، وقد زوجت من « تنگر كوركان » . من قوم
أويرات ، وكان من قبل زوجا لابنة « كويك خاتون » التي تسمى
ولما مات « تنگر كوركان » تزوجها ابن سولامش . أما الآن فقد تزوجها
حفيد تنگر المسمى جيجك كوركان .

البنث الخامسة هي « طرَقاي » . وأما « بغان إيكاجى » ، وزوجت

(١) حسب قراءة كاترمير ، ص ١١١ .

(٢) لإحدى القبائل المغولية (انظر جامع التواريخ ، نشر برزين ، ج ١ ص ١٠٠) .

(٣) يكتب هذا الاسم أيضا « بود كاج » و « بود وكاج » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من المتن الأصلي .

من « موسى كوركمان » من قوم قنقرات ، وهو ابن بنت چنگيز خان وابن ... (١) ، وكان يدعى بقا تيمور . وقد أطلق عليه عالم من مؤيديه اسم « موسى » . وهو أخو « مرقى خاتون » (٢) .

والبنت السادسة هي « قوتلقان » أو « قتلوقان » ، وأمها منسكليكاج إيكاجي ، وزوجت من « أيسوبوقا كوركمان » بن أوقوتو نويان من قوم « دوربان » . ولما توفي قرينها تزوجها ابنه توكيل .

والبنت السابعة « بابا » ، وأمها أولجاي خاتون ، وقد زوجت من لكرزي كوركمان ابن الأمير أرغون آقا من قوم أويرات . وبأمر منگوقاآن ، قدم أرغون آقا مع هولاكو خان إلى إيران ، بسمه كاتب (يتكجي) .

هذه الإحصائية التي ذكرتها لنساء هولاكو وأولاده وبناته وأصهاره ،
قد تدعو الضرورة إلى أن أضيف إليها حكايات أخرى عن بعضهم ، فتكون
الفرصة ملائمة للتحديث عنهم بالتفصيل . ولكن إجمال ذلك قد تحقق ، وفق
المنهج الذي سرت عليه . وسأحاول جريا على هذه الخطة — أن أعمل جدولا لشعب
الأبناء المذكورين وذلك باستثناء الذين حكموا منهم ، فهؤلاء سأتناولهم على حدة .

(١) هذا الاسم ساقط من المتن .

(٢) تزوجت هذه الأميرة من آبا قابخان .

القسم الثاني من تاريخ هولاكو خان

يشتمل على :

- (١) - مقدمة جلوسه
- (٢) - صورة عرشه والأميرات والنبلاء والأمراء وأبنائه وأحفاده وقت جلوسه على العرش .
- (٣) - تاريخه وحكاياته - حروبه التي قام بها في الأوقات المختلفة - الفتوحات التي تسرت له .

مقدمة جلوسه على العرش

لما كان منگوقاآن في موضع قراقورم وكلوران ، التي كانت المقر الأصلي
لچنگيز خان وعاصمة له ، جلس على العرش بعد اجتماع سائر النبلاء والأمراء ،
وبموافقة الجمهور . وبعد أن فرغ من نظر المظالم ، وجه عنايته إلى ضبط مصالح
الممالك وترتيبها ، وأرسل الجيوش إلى الأطراف والحدود . وكان قد قدم إليه
من الأماكن البعيدة والقريبة ، عدد كبير من أرباب الحاجات ، والراغبين في
شغل مهام الأمور من الأتراك والفرس ، واجتمعوا في بلاطه . وقد سمح

ص ١١٣

ص ١١٤

لهؤلاء جميعا بالانصراف ، بعد إنجاح مآربهم وتلبية مطالبهم ، كما هو مذکور في تاريخه .

بعد ذلك أرسل قائده بايجونويان من قبيلة^(١) ، على رأس جيش جرار ، للمحافظة على إيران . فلما بلغها أرسل رسولا إلى منگوقاآن ، يشكو^{ص ١٢٠} إليه الملاحدة وخليفة بغداد . وفي ذلك الوقت كان قاضى القضاة المرحوم شمس الدين القزوينى^(٢) موجوداً في بلاط الخان . وذات يوم ظهر للخان^{ص ١٢٢} مرتديا الزرد ، وأخبره أنه يلبسه تحت ثيابه خشية الملاحدة ، كما سرد له طرفا من اعتداءاتهم وغاراتهم . وكان الخان يتوسم في أخيه هولا گوخان مخايل الملك ،^{ص ١٢٤} ويرى في عزائمهم مراسم الفتح والغزو . وكان قد تفكر ؛ فرأى أن بعض ممالك العالم قد دخل فعلا في حوزة چنگيز خان ، وبعضها لم يستخلص بعد ، وأن رقعة العالم فسيحة لاحد لها ؛ فاستقر رأيه على أن يعهد بكل طرف من^{ص ١٢٦} المملكة ، إلى واحد من إخوته ، ليخضعها تماما لإرادته ، وليقوم بالمحافظة عليها ، بينما جلس هو هادئا منظرأ ، وسط دولته حيث المقر القديم للمغول ، وصار يمضى

(١) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الأصل .

(٢) يذكر الجوزجاني (انظر طبقات ناصرى ، ص ٤١٣ - ٤١٤) . أن شمس الدين هذا كان على اتصال بالمغول ، وكان إماما وعالما كبيرا . ذهب مرة إلى منگوخان ، وطلب منه أن يضع حداً لشر الملاحدة ، ويخلص الناس من فسادهم . وفي أثناء حديثه وبينما كان مندفعاً بحماسة المسلم المتدين ، صدرت منه كلمات جافة أغضبت منگوخان ، وكان لها أثر عميق في نفسه إذ نسب إليه الضعف والعجز ؛ لأنه لم يستطع أن يستأصل شأفة هذه الطائفة التي تدين بدين يخالف ديانات المسيحيين والمسلمين والمغول ؛ وما ذلك إلا لأنهم استطاعوا أن يغروا منگوخان بالمال ، بينما هم يتحينون فرصة ضعف دولته ، فيخرجون من الجبال والقلاع ، ليقضوا على البقية الباقية من المسلمين ويعفوا آثارهم .

١٢٨ ص
وقته في سعادة ورفاهية ، و يقيم مراسم العدل . وقد استخلص بلاد الأعداء
القريين بجيشه المقيم حول العاصمة .

ثم إنه بعد أن أعمل فكره، فوض إلى أخيه «قوبيلاي قاآن» ، إخضاع
ممالك الخطا والماجين وقراجانك وتنگقوت والتبت وجورجه وسولنقا
وكولى ، وبعض أجزاء من الهند المتصلة بالخطا والماجين . وكلف أخاه
هولا گوخان ، بفتح غرب إيران والشام ومصر وبلاد الروم والأرمن . وأمر
بأن يقود كل منهما جيشه ، ويكون موقعه القاب بين ميمنته وميسرته .

وبعد جلسة عظيمة لمجلس البلاط (قوريلتاي)^(١) ، أمر منگوخان أخاه
قوبيلاي قاآن ، بالمسير إلى حدود الخطا المذكورة ، ورتب له الجيوش اللازمة .
وأرسل هولا گوخان إلى إيران ، والممالك السالفة الذكر ، بعد موافقة جميع
الأمرء . ثم أصدر أمره بأن تسير الجيوش ، التي كانت من قبل قد أرسلت
إلى تما ، إلى إيران بقيادة « بايجو » « وجرماغون » لبتحتها ، وأمر تلك التي
كانت في تما ، بالسير إلى كشمير والهند بقيادة « طير بهادر » ، وأن تكون تابعة
لهولا گوخان . ولما توفي « داير نويان » ، تولى قيادة جيشه . .^(٢) ثم عهد به
بعد ذلك إلى « سالى نويان » ، من قوم التتار ، وهو الذى استولى على ولاية
كشمير ، وأسر عدة آلاف من أهلها . أما الآن فجميع هذه القوات التي كانت

(١) القوريلتاي في الاصطلاح المغول عبارة عن مجلس عظيم حافل يضم جميع الأمرء
وأركان الدولة ، وينعقد عند تنصيب أحد أعضاء الأسرة المالكة لمباطورا أعظم على
جميع المغول .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من المتن الأصلي .

تحت قيادة « سالى نويان » ، قد آلت حيناً وجدت بحق الإرث ، إلى أملاك
سلطان الإسلام الخاصة . وبعد أن فرغ منكو قاآن من أمر الجيوش سالفة
الذكر ، قرر أن يُختار اثنان من كل عشرة رجال ، لا يأتى دورهما فى العدد من
جنود چنگيزخان ، الذين قسموا بين أبنائه وإخوته وأبناء إخوته ، ويعطوا
لهولا گو ، ليكونوا بمثابة حرس خاص له ، ولكى يرافقوه فى حملته على إيران ^ص ١٣٢
ويلازموه هناك . كذلك صحب هولا گوخان أبنائه وأقاربه وعبيده ، ولهذا
كان يوجد فى هذا الإقليم ، أمراء منحدرين من نسل كل أمير من أبناء
چنگيزخان ، وكان ينصب كل منهم فى المنصب الذى آل إليه بالوراثة . ولما
أتم هذا التنصيب ، أرسل منكو الرسل إلى بلاد الخطا ، ليحضروا ألف أسرة
من المدرين على استعمال أدوات القتال ؛ من المجانيق وزارقات النقط ورمات
السهم . وقبل قيام الجيش بمهمته ، أرسل المرشدين فاختبروا الطريق الذى
سوف يمر منه عساكر هولا گوخان ، من قرار قورم حتى شاطى جيجون ، ^ص ١٣٤
واعتبروا جميع المزارع والمراعى مناطق محرمة ، وأقاموا الجسور على الأنهار
العميقة ، وعلى مجارى المياه السريعة . وأمر كذلك بأن يتحرك بايجونويان ، ^ص ١٣٦
والجيوش التى كانت قد وصلت من قبل مع جورماغون - إلى ناحية الروم ،
وأعد تموين الجيش من جميع أنحاء الدولة ؛ فخص كل جندي مائة من (تغار) ، ^ص ١٣٨
من الدقيق ، وقربة من النبيذ . بعد ذلك سار النبلاء والأمراء الذين وقع
الاختيار عليهم ، على رأس قواتهم المكونة من فرق ، يبلغ بعضها الآلاف ،
حرب بعضها المئات . وأرسل فى المقدمة كيتوبوقه نويان ، من قوم نايمان ، وهو الذى

كان يتولى نظارة الخاصة (باورجى) ، وذلك بمثابة استطلاع (يزك) ، مع قوة تعدادها اثنا عشر ألف رجل . وأقبل هذا القائد مستعدا للهجوم .
وحينما وصل إلى خراسان ، متربيا وصول الرايات الهمايونيه ، صرف وقته في فتح ولايات قهستان .
وحينما تم إعداد الطريق لحملة هولاجوخان ، أقام هذا الأمير ولائم فاخرة في معسكراته حسب المعتاد ، ولوداع قبل الرحيل . وكان يرافقه أخوه الأصغر « أريق بوكا » والأمراء الآخرون .

ص ١٤٠
وفي الربيع أقام له أمراء المغول مثل هذه الحفلات ، وجعلوها حافلة بالفرح والسرور ، وبكل أنواع اللذات .

ثم تقدم منكوقاآن مندفعاً بعاطفة الأخوة لهولاجو ، ونصحه قائلاً :
« إنك الآن على رأس جيش كبير ، وقوات لاحصر لها؛ فينبغي أن تسير من توران إلى إيران » .

شعر :

« سر من توران إلى إيران مظفرا ،

واعل باسمك إلى الشمس الساطعة »

« وحافظ على تقاليد چنگيزخان وقوانينه ، في الكليات والجزئيات ،

وخص كل من يطيع أوامرك ويحتب نواهيك ، في الرقة الممتدة من جيحون .

ص ١٤٢
حتى أقاصى بلاد مصر - بلطفك و بأنواع عطفك وإنعامك . أما من يعصيك؛

فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه ، وكل ما يتعلق به . وابدأ بإقليم

قمهستان في خراسان ، فخر القلاع والحصون .

شعر :

« اجعل كِرْد كوه وقلعة لبه سر^(١) ،

بحيث يكون رأسهما إلى أسفل وجسدهما إلى أعلى ،

— ولا تبق في الدنيا قلعة قط ،

ولا كومة واحدة من التراب »

« فإذا فرغت من هذه المهمة ، فتوجه إلى العراق ، وأزل من طريقك اللور

والأكراد ، الذين يقطعون الطرق على سالكيها . وإذا بادر خليفة بغداد بتقديم

فروض الطاعة ، فلا تتعرض له مطلقا . أما إذا تكبر وعصى ، فألقه بالآخرين

من الهالكين . كذلك ينبغي أن تجعل رائدك في جميع الأمور ، العقل الحكيم

والرأي السديد ، وأن تكون في جميع الأحوال يقظا عاقلا ، وأن تخفف على

الرعية التكاليف والمؤن ، وأن ترفه عنهم . وأما الولايات الخربة ، فعليك أن

تعيد تعميرها في الحال . وثق أنك بقوة الله العظيم ، سوف تفتح ممالك الأعداء ،

حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتي عديدة . وشاور دوقوز خاتون في جميع

القضايا والشئون » .

وكان منگوقاآن يعرف جيدا أن هولا گوخان ، يستطيع بجيشه الذي

(١) كان لطائفة الإسماعيلية قلاع حصينة تبلغ الحسين ؛ أشهرها ، وأمنها ثلاثة : الموت

وميمون دز ولته سر (انظر حمد الله القزويني : نزهة القلوب ، ص ٦١) . .

أُمر عليه أن يكون دائماً ملكاً مسيطراً و متمكناً في ممالك إيران ، وأن هذا الملك سوف يثبت بحالة وطيّدة مستقرة لهولا غوخان وأسرته المشهورة ، ولكنه مع هذا وصاه في الظاهر ، بأن يعود إلى مقره الأصلي حينما يفرغ من إنجاز مهمته .

وبعد أن قدم منكوقا آن نصائحاً ووصاياها ، أرسل إلى هولا غوخان ونسائه وأبنائه - هدايا وفيرة من الذهب والثياب والدواب ، لكل منهم على حدة ، وتعطف على جميع النبلاء والأمراء ، الذين عزموا على الرحيل مع هولا غوخان ، وأنعم عليهم . وقد اختار منكوقا أخاه الأصغر « سِنْتاي أو غول » من بين الأمراء ، ليكون في صحبة هولا غو . وفي آخر سنة الثور (هوكوريل) ؛ الواقعة في شهر ذي الحجة سنة خمسين وستائة ، قصد هولا غوخا معسكره . وفي خريف سنة الفهد ؛ المقابل لشهر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ، غادر هولا غو ثكناته بناء على أمر أخيه ، وتوجه بجيشه الجرار قاصداً تلك الديار . وقد أجد أمراء الأطراف المأكل والمشرب ^(١) في جميع المراحل ، وحرصوا على أن ينظفوا الطرق التي تقرر أن يمر منها الجيش - من الحجارة والأشواك ، كما أعدوا السفن لعبور الأنهار الكبيرة . وكان النبلاء والأمراء في تلك النواحي ، قد جهزوا الجيوش التي سوف تصحب هولا غو خان إلى ممالك إيران . وهكذا صار كل منهم مشغولاً بترتيب الجيش وإعداده . وسوف نذكر أسماءهم بالتفصيل .

(١) اللفظ المغولي : ترقو أو ترغو وهو المأكل والمشرب كاترمير ١٤٤ - ١٤٥ .

وأخيرا سار هولا گو خان مصطحبا معه زوجته الكبيرتين : « دوقوز خاتون » و « أولجای خاتون » ، وكذلك أبناءه العظام آباقا ويشمون ، وصاروا يقطعون المراحل والمنازل . وحينما وصلوا إلى حدود آلمالينغ ، جاءت « اورغنه خاتون » لا ستقباله ، وأقامت عدة ولأم متتالية ، وقدمت هدايا لائقة .^{ص ٩٤٨}

ولما غادرت الرايات المباركة هذا المكان ، بادر الأمير مسعود بيك ، صاحب تركستان وما وراء النهر ، وأمراء الأطراف ، بتقديم فروض الطاعة . وفي سنة اثنتين وخمسين وستمئة ، أقام الجند معسكراتهم الصيفية في تلك الجهات . وفي شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، نزل هولا گو في سمرقند بمراعي « كان كل » ، وهناك أقام له مسعود بيك خيمة منسوجة بالذهب ، حيث أمضى ما يقرب من أربعين يوما وهو منصرف للشراب . وفي خلال تلك الأيام شاء القدر القاسي أن يموت الأمير « سوتاي » . وفي تلك الفترة أيضا كان الملك شمس الدين كرت ، أسرع من سائر ملوك إيران ، إلى شرف استقبال هولا گو ؛ فخصه بأنواع عطفه وإنعامه . وقد رحل هولا گو من هناك ، ولم يتوقف إلا عند حدود « كيش »^(١) ؛ حيث وصل الأمير أرغون مع كافة الأكابر والأعيان والصدور في خراسان ، وقدموا خضوعهم وهداياهم . وفي كيش أقام^{ص ٩٥٠} هولا گو مدة شهر ، ثم أرسل عدة رسائل إلى الملوك والولاة في إيران ، تشتمل على تلك العبارات :

(١) تقع في الجنوب الغربي من سمرقند .

« بناء على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة . فإذا أسرعتم وساهتم في تلك الحملة بالجيش والعدد والآلات ، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم ، وستحمد لكم مواقفكم . أما إذا تهاوتم في امتثال الأوامر وأهملتم ؛ فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة ؛ فإننا لا نقبل عذرکم ، وتوجه إليكم فيجری علی ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم » .

وقد اختار هولاء كو خان لتنفيذ هذه المهمة ، رسلا شريعي السير . فلما شاع خبر وصول رايات الغازي في الأطراف ، أسرع السلاطين والملوك في كل مملكة من ممالك إيران ، إلى التوجه إلى هولاء كو لتقديم فروض الطاعة . وأقبل من بلاد الروم السلطانان عز الدين وركن الدين ، ومن فارس سعد ابن الأتابك مظفر الدين ، ومن العراق وخراسان وأذربيجان وأران وشروان وجورجيا ، الملوك والصدور والأعيان ، وكانوا جميعا يحملون الهدايا اللائقة إلى الحضرة الشريفة .
١٥٢
بعد ذلك صدر الأمر بتوقف جميع السفن وزوارق الملاحين ، وإقامة جسر . وعلى أثر ذلك ، شرعت القوات في عبور جيحون . وفي غرة ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، عبر هولاء كو النهر بجيشه للمظفر . ثم أنعم على أولئك الذين قدموا له خدمات ، ومنح الملاحين الضريبة التي كانت تؤخذ على السفن ، وألغى هذا الرسم . ولما عبر النهر كان يتجول على شاطئه ، بقصد التفرج والمشاهدة . و فجأة ظهر من بين الغابة كثير من الأسود ، فأمر هولاء كو فرسانه
١٥٤

حان تُضربوا حلقة حول هذه الحيوانات . ولما كانت الخيول تخشى الأسود؛ فقد ركب الفرسان الإبل البختية السكرى ، واصطادوا أسدين . وفي اليوم التالي استأنف الرحيل ونزل في مرعى « شبورقان »^(١) . وقد عقد العزم على ألا يقيم هناك طويلا . وكان ذلك في يوم عيد الأضحى حينما أخذ البرد يسقط من السماء فجأة ، وبدأ الثلج ينزل كذلك . واستمر المطر ينزل سبعة أيام متوالية ، وهلك كثير من الحيوانات بسبب برودة الجو . وقد أمضى هولاء في خان الشتاء في ذلك المكان ، وكان دائم الاشتغال باللهو والطرب والاستمتاع . وفي الربيع أعد « أرغون أقا » سرادقا للاستقبال مثبتا بألف مسمار ، ومنسوجا بخيوط الذهب ، وخيمة غالية ، مشتملة على كافة المرافق المناسبة لبلاط هذا السلطان العظيم ، وذلك بحيث يسهل نقلهما وتحويلهما ، وألحقت بهما قاعة للاستقبال ، كانت مزدانة بالأواني الذهبية والفضية، ومرصعة بالجواهر النفيسة . وفي يوم تمت فيه أسباب السعادة ، أعدت الخيمة وزينت قاعة المجلس بكل أنواع الزينة ؛ فأعجب هولاء في خان بذلك المنظر . وفي هذه الظروف المباركة ذات الطالع الأغر ، جلس على عرش السعادة ومسند التوفيق . وكان يحضر هذا الاجتماع الخواتين والنبلاء والأمراء وجميع أركان الدولة وأعيان الحضرة وملوك

(١) شُبورقان أو شُبورقان أو شُفرقان من توابع ولاية جوزجان وهي بلدة صغيرة قرب بلخ ، بينهما يومان . كانت في سنة ٦١٧ عامرة يقصدها التجار ويبيعون فيها الأمتعة الكثيرة (انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١٢ ص ٣٥٣ ، طبع بيروت ١٩٥٧ ؛ حمد الله القزويني : نزهة القلوب ، ص ١٥٥) .

الأطراف وحكامها ، فأدوا جميع المراسم والآيين . ولما انتهى الحفل عاد الأمير أرغون بناء على أمر هولاكو إلى بلاط الخاقان (قاآن) ، وترك في بلاط هولاكو خان ابنه « گرای ملك » وأحمد البيتكيچى^(١) ، والصاحب علاء الدين عطا ملك^(٢) ، وهم الذين عينوا لتدبير الأمور في ممالك إيران .

(١) يتكيچى كلمة مغولية بمعنى كاتب ومحرر .

(٢) عطا ملك الجويني بن بهاء الدين محمد ولد عام ٦٢٣ هـ والتحق بخدمة المغول منذ الصغر ، وصار من عمال الديوان للأمير أرغون حاكم إيران من قبل المغول . وعندما قدم هولاكو إلى إيران ، التحق عطا ملك بخدمته وصحبه في حادثة فتح بغداد ، ثم ولي حاكماً على العراق في عهد هولاكو وابنه آباخان إلى أن توفي في سنة ٦٨١ .

ألف عطا ملك باللغة الفارسية كتابه « تاريخ جهانگشاي » أي (تاريخ فاتح العالم) . والمراد به چنگيزخان . وبعد أحد الكتب الهامة التي ألقت في العصر المغولي الأول . (انظر شرح أحوال الجويني وقيمة كتابه ، في المقدمة القيمة التي كتبها محمد بن عبد الوهاب القزويني . تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ليدن ١٩١١) .

ذهاب كيتوبوقا نويان في طليعة جيش هولانغو خان

إلى قلاع الملاحدة ، ومحاولته الاستيلاء

عليها ، وقتل علاء الدين ، وجلس

خورشاه مكان أبيه

في شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وستمئة ترك كيتوبوقا نويان بلاط
منگوقاآن ، وذهب في مقدمة جيش هولانغو خان قاصدا بلاد الملاحدة . وفي
أوائل شهر المحرم سنة إحدى وخمسين عبر جيحون ، وشرع في الهجوم على
ولاية قهستان ، واستولى على بعض أجزائها . ثم سار على رأس خمسة آلاف فارس
 وخمسة آلاف من الرجال إلى أسفل قلعة « گرده كوه » ، وذلك في شهر ربيع
الأول سنة إحدى وخمسين وستمئة ؛ فأمر أتباعه بحفر خندق حول القلعة ،
أحاطوه بسور محكم ، وعسكر الجيش خلفه . وحول الجيش حفروا خندقا
آخر عميقا جدا ، كما أقاموا سورا مرتفعا للغاية حتى يبقى الجيش سليما
بينهما ، وحتى لا يستطيع أحد من الجانبين التردد . ثم ترك كيتوبوقا القائد
« بوری » هناك ، بينما ذهب هو إلى قلعة « مِهْرين » وحاصرها ، ونصب
عليها المجانيق . وفي اليوم الثامن من شهر جمادى الثانية من نفس السنة دخل
مدينة « شاه » ، وقتل عددا كبيرا من السكان ثم قفل راجعا .
أما القائد « هِرْكِتَآي » فقد ذهب على رأس جيش إلى ولايتي

طارم ورودبار ، وأحدث فيهما التخريب والتدمير . ثم قصد المغول أسوار المنصورية وآله بشين ، حيث أجروا مذبحة دامت ثمانية عشر يوماً . وفي التاسع من شوال سنة إحدى وخمسين وستمائة شنت حامية كرده كوه غارة ليلية ، ودمروا معسكر المغول الحصين ، وقتلوا منهم مائة شخص ، كما قتلوا قائدهم الأمير « بوري » . فما كان من كيتوبوقا نويان إلا أن شن هجوما عنيفا على ولاية قهستان ، وطارد جنوده جميع القوات الموجودة في نواحي « تون » و « ترشيز » و « زيركوه » ، وأباحوا فيهم القتل والغارة ، وأسروا كثيرا منهم . وفي العاشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، استولوا على تون وترشيز . وفي أوائل شهر شعبان سقطت في أيديهم قلعة مهران ، وفي السابع من رمضان أخذوا قلعة كالي . ثم وردت الأخبار من « كرده كوه » إلى علاء الدين محمد سلطان الملاحدة تنبيهه بأن وباء قد انتشر في قلعة « كرده كوه » سبب وفاة أكثر الحارين ، وأن القلعة قد تسقط قريبا ؛ فأسرع علاء الدين وأرسل « مبارز الدين على توران » و « شجاع الدين حسن السراباني » على رأس قوة عددها عشرة ومائة من المجاهدين المعروفين لمساعدة أهالي هذه القلعة ، وكان كل واحد منهم يحمل معه مئتين من الحناء وثلاثة أمان من الملح ، لأن الملح كان قد نفذ من القلعة . ومع أنه لم يرد في كتب الطب أن الحناء تدفع الوباء ، إلا أنه قد لوحظ هنا أن ابنة أمير قد تزوجت ، فحضبوا يدها وقدميها بالحناء ثم غسلوها . ولما كان الماء عزيز الوجود ، فقد شربت طائفة من الناس ذلك الماء الملوث ، فلم يمت واحد منهم قط بهذا الوباء . وبهذا

وضحت لهم فائدة هذه التجربة فطلبوا الحناء .

وبالجملة فقد اخترق هؤلاء المجاهدون البالغ عددهم عشرة ومائة رجل ، صفوف المحاصرين ، ومروا دون أن يصاب واحد منهم قط بأذى ؛ اللهم إلا رجلاً واحداً سقط في الخندق وكسرت ساقه فحمله رفاقؤه على أكتافهم ، وذهبوا به إلى القلعة . وبهذا صارت غرده كوه محكمة مرة أخرى .

وفي ليلة الأربعاء الأخير من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، قتل علاء الدين حاجبه حسن المازندراني ببلطة في مكان يدعى « سر كوه » بينما كان غارقاً في نومه وهو سكران ، وذلك بالاتفاق مع خورشاه بن علاء الدين . فعين خورشاه حاكماً للإسماعيلية مكان أبيه . وقد اتهم عدة أشخاص بقتل علاء الدين . ورغم أن حسن المازندراني هو الذي قتله بناء على مشورة ابنه خورشاه ، إلا أن هذا الأخير لم يستطع الاعتماد عليه ؛ فكتب إليه رسالة ، وأعطاه فداثياً حتى يذهب إليه ويسلمها إياه . فلما شغل حسن المازندراني بالقراءة ، قتله ذلك الفداثي . ثم أعلن خورشاه أنه قتل « حسنا » لأنه هو الذي قتل والده ، وأمر بحرق أولاده في الميدان . وبعد ثلاثة أيام ، أي يوم الأحد السادس والعشرين من ذي الحجة من تلك السنة استؤنف القتال .

قدوم ناصر الدين محتشم قهستان إلى معسكر

هولا گوخان في صحبة الملك شمس الدين كُرت

الذي كان قد توجه إليه برسالة من

قبل هولا گوخان

أرسل هولا گوخان الملك شمس الدين كُرت برسالة ، إلى ناصر الدين^(١)

المحتشم في قلعة « سرتخت » يدعو إلى الدخول في طاعته .

وكان حينذاك قد هرم وضعف ؛ فامتثل للأمر وقصد هولا گو في صحبة

ص
١٧٦

الملك شمس الدين في السابع عشر من جمادى الأولى ، وقدم له أنواعا كثيرة

من التحف والهدايا ، بعد أن قبل الأرض بين يديه . فتعطف هولا گو وقبل

تلك الهدايا وقال له : « إنك نزلت من القلعة ، وقبلت الخضوع لإيقاد حياة

زوجتك وأبنائك . فلماذا لم تنزل معك سكان القلعة وتحثهم على

التسليم ؟ ! . . . » فأجاب ناصر الدين : « إن لهم ملكا يدعى خورشاه

يأترون بأمره » .

(١) هو ناصر الدين أبو الفتح عبد الرحيم بن أبي منصور كان رجلا كريما فاضلا يقرب

إليه العلماء والأدباء ، ويميل إلى مجالستهم . عاش في بلاطه في قهستان فترة طويلة ، العالم

الكبير خواجه نصير الدين الطوسي ، وألف له كتاب « أخلاق ناصري » باللغة الفارسية

في حدود سنة ٦٣٣ وقدمه باسمه .

بعد ذلك أنعم عليه هولاغو خان بلوحة ذهبية (بايزه) ^(١) ومرسوما
 (يرليغ) ^(٢) ، ونصبه حاكما على مدينة « تون » ، إلى أن توفي في شهر صفر ^ص ٦٢٨
 سنة ٦٥٥ . وكان هولاغو خان ينتقل من مكان إلى آخر حتى إذا ما بلغ
 حدود « زاوه » ^(٣) و « خواف » ^(٤) اعتلت صحته قليلا . ثم عهد إلى ايلكا
 وكيوبوقا نويان وغيرهما من الأمراء بفتح باقى ولاية الإسماعيلية . فلما بلغوا
 حدود قهستان قاومهم الرعاع إلى حدما . ولكن المغول أسروهم جميعا فى مدة ^ص ١٨٠
 أسبوع ، وخرّبوا الأسوار ، وأعملوا القتل والغارة فى السكان وأخذوا الأسرى .
 وفى السابع من ربيع الآخر وصلوا إلى أبواب مدينة « تون » ، ونصبوا
 المجانيق ، واستأنفوا القتال .

وفى اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الآخر استولوا على المدينة ، وقتلوا
 جميع السكان ماعدا أرباب الحرف ، ثم قصدوا معسكر هولاغو خان
 مظفرين منصورين . ومن هناك توجه الجميع إلى طوس .

(١) البايزه كانت عبارة عن لوحة من الذهب أو الفضة ، وفى بعض الأحيان من الخشب
 وذلك على حسب رتب الأشخاص ، وينقش على وجهها اسم الله واسم السلطان وعلامة
 خاصة ، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول . كما أنها تتضمن أمر الملك لسفرائه ،
 ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من فى الدولة المغولية .

(٢) يرليغ كلمة مغولية بمعنى حكم أو قرار أو أمر ، ثم استعملت لأمر أو تفويض صادر
 من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين . يقول القلقشندي : « اليرالغ هى المراسيم »
 (انظر صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٣ ، ٤٢٨) .

(٣) كورة بخراسان (انظر القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٥٦) .

(٤) مدينة بخراسان بالقرب من نسا ، كبيرة أهلة ذات قرى وبساتين ومياه كثيرة
 (انظر القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٤٤) .

وصول هولاغو خان إلى طوس وحدود خبوشان
وتجديد العمارات هناك ، والتوجه إلى ناحية
دامغان وتخريب الموت ولنبه سر
وإخضاع خورشاه

حين بلغ هولاغو خان مدينة طوس ، نزل في حديقة كان قد أنشأها
« أرغون آقا » . وهناك أقيمت خيمة نسجت من نسيج كان قد أعد بناء
على أمر الخاقان من أجل هولاغو خان . وبعد مدة انتقل هولاغو إلى
حديقة المنصورية ، التي كان أرغون آقا قد أعاد تعمیرها بعد خرابها . وهناك
قدم نساء الأمير أرغون والخواجه عز الدين طاهر الماء كل والمشرّب .
وفي اليوم التالي انتقلوا إلى مراعي « رادكان » . ولما كان هذا المكان
جميلا للغاية فقد أقاموا فيه عدة أيام ، وجلبوا الشراب والعلف الكثير من
« مرو » و « باورد » ^(١) و « دهستان » ^(٢) والولايات الأخرى ، وبعد
ذلك جاءوا إلى مدينة خبوشان التي يسميها المغول « قوجان » ، وكانت قد
خربت وأهملت منذ بدء وصول جيوش المغول ، فأمر هولاغو خان بتجديد
عمارتها ، ودفع التكاليف اللازمة من الخزانة ، حتى لا يتحمل الرعايا عبء

(١) تسمى أيضا أيورد وهي مدينة بخراسان بالقرب من سرخس (انظر القزويني في
آثار البلاد ، ص ١٩٢) .
(٢) مدينة بظيرستان .

هذه النفقات . ثم حفرت الكظام (الكهاريز) وشيدت المصانع ، وأقيمت حديقة بجوار المسجد . وقد تبرع سيف الدين آقا ؛ الذي كان وزيرا ومدبرا بالمبالغ اللازمة لتعمير هذا المسجد . ثم دعا هولاء الأمراء والأعيان ليقم كل منهم منزلا هناك يتفق مع قدرته ومرتبته .

ثم أمر هولاء بالسير ، وكان قد أوفد « بكتيمور قورجي » وظهر الدين سبلاز البيتكجي (الكاتب) وشاه أمير برسالة إلى خورشاه سلطان الملاحدة ؛ فذهبوا إليه ، وأبلغوه ما أمر به هولاء خان ، ثم عادوا بعد أداء مهمتهم في التاسع من جمادى الآخرة . وفي اليوم نفسه وصل جيش المغول إلى قلاع الملاحدة وشرع في الهجوم .

وفي العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وستمائة ، قدم هولاء إلى ^ص ٦٨٤ خرقان وبسطام ، وأرسل ميركتاي شحنة هراة ، بصحبة منكلمش برسالة أخرى إلى ركن الدين خورشاه ، وأمرها بتخويله وتهديده ووعيده .

وفي ذلك الوقت كان مولانا السعيد الخواجه نصير الدين الطوسي ، الذي كان أكمل وأعقل عالم ، وجماعة آخرون من الأطباء - منهم رئيس الدولة وأبناؤه - يقيمون لدى ملك الإسماعيلية مكرهين ، وكانوا قد رأوا أفعاله السيئة ، ووجدوا الظلم والتعدي متأصلين فيه ، وشاهدوا مخايل الجور بادية على أحواله ، وكانوا قد ملوا ملازمة الملاحدة ونفروا منهم ، ومالوا إلى هولاء خان إلى أقصى حد . ومن قبل كانوا يرغبون في ذلك ؛ فصاروا يتشاورون سرا لكي

يجعلوا هذا الملك يخضع لهولاكو على الوجه الأحسن والطريق الأسهل ، وانضم إليهم كثير من الغرباء والمسلمين ، واتفقوا جميعا على تحقيق هذا الهدف . ولهذا السبب لم يدخروا وسعا في حث خورشاه على الخضوع والطاعة ، وصاروا يخوفونه مغبة المقاومة وعدم التسليم فاستجاب لنصحهم ، وأكرم وفادة الرسل ، وأوفد أخاه الأصغر « شاهنشاه » والحواجه أصيل الدين الزوزنى ؛ مع طائفة أخرى من أعيان مملكته إلى هولاكو إظهارا للخضوع والطاعة . فأمر هولاكو بإعزازهم وإكرامهم ، وعين الرسل مرة أخرى لكي يذهبوا مع صدر الدين وظهر الدين وتوكل بهادر وبخشي وما زوق ، برسالته إلى خورشاه ليخبروه أنه إذا كان قد قبل الخضوع والتسليم حقا ؛ فإن عليه أن يخرب القلاع ، ويمثل بنفسه أمام هولاكو . فأجاب خورشاه : « إذا كان أبي قد أظهر التمرد والعصيان فإنني أظهر الخضوع والطاعة » . وقد بر بوعده فخر بأجزاء من قلاع مثل « هامون دز » و « الموت » و « لبسر » ، وحطم أبراجها ، ورمى أبوابها ، واشتغل بتخريب أسوارها وحصونها . ولكنه طلب مهلة سنة يغادر بعدها القلعة . فعرف هولاكو خان أن وقت النكبة لهذا الأمير قد حل ، وأنه لا داعي لتردد الرسل عليه لأنه سوف لا يؤثر فيه ذلك .

ص
١٨٦

وفي العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وستائة من الهجرة ، غادر هولاكو بسطام وتوجه نحو قلاع الملاحدة . وأمر بأن تجتمع الجيوش الموجودة في العراق وغيرها من الأطراف ؛ فكان على الميمنة بوقاتيمور وكوكا ايلكا ،

ص
١٩٠

وقد أخذنا طريق مازندران ، وعلى الميسرة تَكُودَرُ أوغول و كيتوبوقا نويان ،
الليذان قدما من طريق « خوار » و « سمنان » . وأما هولاء كوخان فقد اتخذ
موضعه في القلب الذي يطلق عليه المغول كلمة « قول » على رأس عشرة آلاف
من الحاربين المشهورين .

ص
١٩٤

شعر :

« لقد ساروا فصار وجه الأرض مغبرا ،
وكان مثار النقع ليل تهاوى كواكب »

ومرة أخرى أرسل في المقدمة رسلا يندرون : « لقد عقدنا العزم أنه إذا
جاء خورشاه بنفسه لاستقبالنا ؛ فإننا سنقفو عنه رغم جرائمه العديدة » . ولما
جاوزت رايات الغازي المنتصرة مدينة « فيروز كوه » عاد الرسل بصحبة الوزير
كيقباد ، وتعهدوا لهؤلاء كوخ بتخريب القلاع ، والتمسوا إليه أن يرجى رحيل
خورشاه عن القلاع لمدة عام ، وأن تستثنى من التخريب قلعتا الموت ولبسر ،
اللذان تكونان المقر الأصلي القديم للملاحة ، على أن يسلم خورشاه بقية
القلاع ، ويطيع كل ما يصدر إليه من أوامر . وقد كتب خورشاه إلى حكام
گرده كوه وقهستان يأمرهم بالمسير طائعين إلى هولاء كوخ ، وظن أنه بتلك
الإجراءات يستطيع دفع المقدور الكائن . وعندما وصلت رايات الغازي
المنتصرة إلى ولاية لارود ماوند ، أرسل شمس الدين كيلكي إلى گرده كوه ليحضر
إليه مقدمها .

ص
٢٠٢

بعد ذلك توجه هولا گو إلى « فرّان » وحاصر « شاه دز » التي كانت
تقع في طريقها وفتحها في يومين . ثم أرسل الرسل مرة أخرى ، ليحثوا خورشاه
على التسليم ، فأعاد هذا الرسل ، وقبل أن يرسل ابنه مع ثلاثمائة من الجنود ، كما
قبل أن يخرب جميع القلاع . وفي مدينة « عباس آباد الرى » توقف
هولا گو خان وصار يترقب تنفيذ الوعود .

وفي السابع عشر من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة ، أرسل خورشاه
إلى هولا گو ، ابنه الذي كان في السابعة أو الثامنة من عمره ، وكان قد أنجبه من
محظية - بصحبة طائفة من الأكابر والأعيان ، فأكرم هولا گو خان الغلام
وأعزّه ، وأذن له بالعودة لأنه لا يزال صغيرا . ثم صرح هولا گو للرسل بأنه
« إذا لم يستطع ركن الدين أن يحضر سريعا ، فإن عليه أن يرسل أخاه الآخر
حتى يعود » شاهنشاه « الذي بقى ملازما لنا منذ عدة سنوات » . . فأطاع
ركن الدين الأمر ، وأوفد إلى هولا گو في الخامس من شوال ، أخاه الآخر
شروانشاه والخواجه أصيل الدين الزوزنى مع ثلاثمائة من كبار الشخصيات
المستولين ؛ فتشرفوا بمقابلته في ضواحي الرى . وفي التاسع من شوال عاد
شروانشاه يحمل معه منشورا من هولا گو يشتمل على العبارة الآتية : « نظرا
لما أظهره ركن الدين من طاعة وخضوع ، فقد عفوت عما ارتكبه أبوه وأتباعه
من جرائم وأخطاء . وحيث إنه لم يصدر أى جرم من ركن الدين نفسه
خلال المدة التي عمل فيها مكان أبيه ، فإنه إذا خرب القلاع فسوف يأمن بأمنه

من جميع الوجوه » . ثم أمر الجنود المنتشرين في مختلف الأطراف بأن يتجمعوا في معسكر واحد ، وفجأة أحيط بالملاحدة من جميع الجهات . وفي ذلك الوقت اقترب بوقاتيمور وكوكا ايلكا مع قواتهما من « أسپندان » ، فأرسل إليهم خورشاه رسالة مضمونها : « إننا إذ خضعنا وإذ نشتغل الآن بتخريب القلاع فما سبب قدومكم إلينا » . فأجابوه : « مادمننا وإياكم على وفاق ، فقد جئنا طلبا للعلف » .

وفي العاشر من شوال سنة أربع وخمسين وستائة ، رحل هولاء گوخان من بَسْكِله متخذاً طريق طالقان ، واستعد للهجوم على حدود ولاية الملاحدة . ولو أن المطر لم يسقط مدراراً في تلك الليلة ، لقبض على خورشاه في أسفل القلعة . وفي الثامن عشر من شوال بسطت الشمس ظلها على موضع مقابل لميمون^ص ٢٠٨ دز من ناحية الشمال ، وفي اليوم التالي كان هولاء گوخان يطوف حول القلعة على سبيل الرؤية وتفحص المواقع الصالحة لإدارة المعارك ، كما كان يشاهد بدقة مداخل القلعة ومخارجها . وفي اليوم التالي وصلت الجيوش بعظمة تامة تجل عن الوصف ، وأحاطت بالقلعة من جميع جوانبها . وقد امتد الحصار^ص ٢١٠ الذي ضربوه حولها إلى ما يقرب من ستة فراسخ . ولكن حينما تعذر فتح هذه القلعة لمناعتها ، استشار هولاء گوخان النبلاء والأمراء فيما يتعلق باستمرار الحصار أو العدول عنه ، والعودة أو التوقف والانتظار حتى السنة المقبلة . فردوا عليه : « إننا في وقت الشتاء ، وحيواناتنا نحيفة عجفاء ، والعلف معدوم ، ويجب المبادرة بنقل العلف من ناحية بلاد الأرمن أو حدود كرمان ، فمن

الأفضل أن نعود إلى قواعدنا » . ولكن بوقاتيمور وسيف الدين البيستكجي والأمير كيتوبوقا ، أصرّوا على الاستمرار في محاصرة القلعة . فبعث هولا گوخان رسولا مرة أخرى برسالة إلى خورشاه يخاطبه فيها بعبارات فيها الترغيب والترهيب ، ويعرض عليه فيها أنه إذا نزل من القلعة ، وترك المقاومة ، وتوجه إلى معسكر الخان ؛ فإن تصرفه هذا يكون سبباً في إنقاذ حياة طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين . وإذا لم يقدم نفسه خلال خمسة أيام ، فإن عليه أن يستحكم في قلاعهم ويستعد للقتال .

فلما استشار خورشاه الأمراء والأعيان في ولايته ، صار كل منهم يقول ما يميله عليه رأيه . وأخيراً استقر الرأي على أن يرسل إلى هولا گوخان نصير الدين الطوسي - نور الله قبره - مع طائفة من الوزراء والأعيان والكفّاء والأئمة - يحملون التحف والطرائف الكثيرة ؛ فوصلوا إلى معسكر الإيلخان في يوم الجمعة السابع والعشرين من شوال فأنزلهم المغول في أماكن متفرقة ، وتحدثوا إليهم الواحد بعد الآخر .

وفي يوم الأحد غرة ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة ، نزل خورشاه من القلعة بناء على مشورة أعيان الدولة ، وتوجه إلى هولا گوخان في صحبة الخواجه نصر الدين الطوسي ، والخواجه أصيل الدين الزورزني ، والوزير مؤيد الدين ، وأبناء رئيس الدولة . فودع بذلك هذا الحصن الذي ظلت أسرته تتخذة مقراً لها مدة قرنين . ثم جاء فقبل الأرض بين يدي السلطان الأعظم . وقد أنشد الخواجه نصير الدين الطوسي في تاريخ هذه الحادثة هذين البيتين :

شعر :

« عندما صارت السنة الهجرية أربعاً وخمسين وستائة ،
وفي صباح يوم الأحد الموافق غرة ذى القعدة ،
قام خورشاه ملك الإسماعيلية من على عرشه ،
ووقف بين يدي هولاء » .

وحينما وقع نظر هولاء گوخان على خورشاه ؛ عرف أنه غلام غير مجرب
يعوزه الرأي والتدبير ، فأعزّه وأكرمه وشجعه ووعد بمساعدته ، وأرسل من
قبله صدر الدين ، فتسلم من خورشاه جميع الحصون والقلاع التي كان يملكها
آباؤه وأجداده على التوالي في قهستان ورودبار وقومس ، والتي كانت مشحونة
بالآلات والذخائر . وقد بلغ عدد هذه القلاع نحو المائة . وبعد إخراج الحكام ،
خربت جميعها ماعداً گردكوه ولبسر . وفي هذه القلعة الأخيرة اعتصم أقارب
خورشاه وأتباعه وظلوا يقاومون مدة سنة . وبعد ذلك انتشر الوباء بين
المعتصمين فأهلك كثيرين منهم ، ونزل الباقون ولحقوا بالآخرين . وأخيراً
سقطت أيضاً گردكوه في يد المغول ، بعد أن استمرت تقاوم مدة
عشرين سنة .

وصفوة القول أن خورشاه قد أنزل جميع ما يتعلق به من قلعة ميمون دز ،
وأهدى إلى هولاء گوخان جميع الخزائن والدفائن الموروثة والمكتسبة ، مما لم يكن
ذائع الضيت ، فوزعها هولاء گوخان على قواد جيشه .

بعد ذلك انتقلت راية الغازي من هذا المكان إلى قاعدة ألموت^(١) ، وأرسل إليها ركن الدين خورشاه ليحث المدافعين على التسليم ، ولكن قائد القلعة تمرد وعصى ؛ فكلف هولاًكو خان « بلغاي » بمحاصرة تلك القلعة ، وقام المغول بالهجوم عليها يومين أو ثلاثة ، ثم أرسل هولاًكو إلى المحاصرين منشوراً يؤمنهم على حياتهم .

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى القعدة ، نزل قائد القلعة وسلمها لهولاًكو ، فصعد المغول إليها ، وكسروا الجانيق ، وخلعوا الأبواب . أما السكان فقد طلبوا مهلة ثلاثة أيام لنقل أمتعتهم . وفي اليوم الرابع اقتحم الجنود القلعة ، وأعملوا فيها الغارة والنهب . ثم صعد هولاًكو خان فوق قلعة ألموت لرؤيتها ، فدهش جدا لعظمة ذلك الجبل . ثم نزل وارتحل ، وأمضى عدة أيام حوالى لمبسر حيث كان يشتو ، وهناك ترك قائده « طاير بوقا » على رأس جيش لمحاصرة القلعة ، ثم قفل راجعا في السادس عشر من ذى الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور نزل في معسكره

(١) ذكر زكريا القزويني في كتابه آثار البلاد ، ص ٢٠٠ : أن ألموت قلعة حصينة من ناحية رودبار بين قزوین وبجر الخزر على قلة جبل ، وحولها وهاذ لا يمكن نصب المنجنیق عليها ولا الشباب يبلغها . وهي كرسى ملك الإسماعيلية . قيل إن بعض ملوك الديلم أرسل عقابا للصيد وتبعه فرآه وقع على هذا الموضع ؛ فوجده موضعا حصينا اتخذه قلعة وسماها « آله آموت » : (آله بمعنى عقاب وآموت مخفف من آموخت) أى تعليم العقاب بلسان الديلم . ومنهم من قال اسم القلعة بتاريخها ، لأنها بنيت في سنة ست وأربعين وأربعمائة : وهي م و ت .

الكبير على بعد سبعة فراسخ من قزوين ، للاحتفال بعيد رأس السنة . وقد استمرت الولائم سبعة أيام ، عطف فيها هولا گوخان على النبلاء والأمراء ، ومنحهم الخلع .

ولما تأكد هولا گو من صدق وإخلاص الخواجه نصير الدين الطوسي وأبناء رئيس الدولة وموفق الدولة ، الذين كانوا أطباء كبارا مشهورين أصلهم من همدان ؛ شملهم بعطفه وإنعامه ، وأعطاهم الخيول اللازمة لحمل أهلهم ومواليهم وأقاربهم مع أتباعهم وخدمهم وأشباعهم ، وإخراجهم من القلعة وألزمهم حضرته . وهم وأبنائهم حتى اليوم ملازمون للحضرة ، ومقربون من هولا گوخان وأفراد أسرته المشهورين .

والصورة المثبتة هنا تمثل بلاط الخان ، وما عومل به النبلاء والأمراء والجماعة المذکورون من عطف ورعاية .

وفي يوم الخميس العاشر من الحرم سنة خمس وخمسين وستمائة ، أنعم هولا گوخان على خورشاه ، مرسوما ولوحة ذهبية (يرليغ وپایزه) ، وخلع عليه ، ووهبه فتاة مغولية ليتزوج منها ، وأودع مدينة قزوين متاعه وحاشيته . ثم أرسل خورشاه رجلين أو ثلاثة من خاصته ، مع رسل هولا گوخان إلى قلاع الملاحدة بالشام ؛ لدعوة الناس هناك إلى التسليم عندما تصل إليهم الرايات الهمايونية .

وبعد أن انتهت حفلات الزفاف ، لم يشأ هولا گوخان أن ينكث بعهده (١٧ - جامع التواريخ)

٢١٨^ص لخورشاه، وأن يقضى عليه؛ ذلك لأنه كان قد أمنه على حياته، ولأنه يعرف أنه مازالت هناك قلاع كثيرة تخص الملاحدة، موجودة في هذه الديار وفي ديار الشام؛ يمكن استخلاصها بتوجيه خورشاه ونفوذه، وإلا فإن عليه أن يقضى سنوات عديدة حتى يتيسر فتحها. وعلى هذا صار هولاء كويغز خورشاه ويكرمه مدة من الزمن، ثم أرسله إلى بلاط «منگوقاآن». وفيما يتعلق بحادثة موته، ترد روايات مختلفة متعارضة، أرجحها وأوثقها أنه حينما وصل خبر قدومه إلى الخان، قال: «لماذا تحضرونه وتشقون بذلك عبثاً على الدابة التي يركبها!» ثم أرسل رسولا من قبله قضى على حياة خورشاه. ولما تخلصوا منه، قتلوا أقاربه وأفراد أسرته من النساء والرجال حتى الأطفال الذين في المهد، فيما بين أبهر وقزوين، فلم يبق منهم أثر. وقد استمر ملك الإسماعيلية سبعاً وسبعين ومائة سنة. وكان بدء حكمهم سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وهو العدد الذي يكنى عنه بلفظ «ألموت»، وانهاءه في غرة ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة. وكان عدد ملوكهم ثمانية^(١) تولوا الحكم على التوالي بالترتيب الآتي:

١ - حسن بن علي بن محمد الصباح الحميري.

٢ - كينا بزرگ أميد، وكان هو وحسن داعين.

(١) جاء في المتن الأصلي أن عددهم سبعة، وقد أحصاهم الكتاب على هذا النحو، بينما الصحيح أنهم ثمانية (انظر اليضاوى: نظام التواريخ، ص ٨٢، طهران ١٣١٣ هـ. ش). ولا بد أن هذا الخطأ قد وقع فيه الناسخ. ونحن تنبه إلى الاسم الناقص في موضعه..

٣ - محمد بن بزرگ أميد ، والذي اشتهر بلقب « علي ذكره السلام »^(١) .

٤ - حسن بن محمد بزرگ أميد .

٥ - محمد بن حسن .

٦ - [جلال الدين بن محمد بن حسن]^(٢) « نومسلان »^(٣) .

٧ - علاء الدين محمد بن جلال الدين بن محمد بن حسن^(٤) .

٨ - ركن الدين خورشاه بن علاء الدين ، الذي ختمت به دولة الإسماعيلية .

(١) هذا اللقب في الحقيقة خاص بابنه حسن (انظر كاترمير ، ص ٢١٨) .

(٢) هذا هو الاسم الذي أسقطه الناسخ .

(٣) أعطى هذا اللقب في المتن الأصلي لأبيه محمد ، بينما الصحيح أنه خاص بابنه جلال الدين . (انظر كاترمير ، ص ٢١٨) . ومعنى « نومسلان » المسلم الجديد ، وذلك لأن جلال الدين ترك طريقة الإلحاد ، وتبرأ من سلوك أبيه وجده ، وتمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية . (انظر اليبضاوى : نظام التواريخ ، ص ٨٤) .

(٤) انظر نفس المصدر ، ص ٨٢ .

قصة توجه هولاء كوخان إلى همدان^(١) بعد فتح قلاع

الملاحدة ، ووصول بايجو نويان من بلاد الروم ،

وشرع هولاء كوخان في التحقيق

معه ، ثم إيفاده مرة أخرى إلى

هذه البلاد لإتمام فتحها

حينما فرغ هولاء كوخان من فتح بلاد الملاحدة وقلاعهم ، توجه في شهر

٢٢٢ ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة من ضواحي قزوین إلى همدان .

وفي ذلك الوقت وصل « بايجو نويان » من حدود أذربيجان . وكان

هولاء كوخان متضايقاً منه ، فصاح به قائلاً : « لقد ذهبت في نفس الوقت

الذي ذهب فيه جرماغون . فماذا فعلت عندما ما حلت محله في إيران وم

من جيش قهرت ! وما العدد الذي أخضعته إنك لم تفعل شيئاً

٢٢٤ سوى أنك رحت تخوف القوات المغولية ، بالمبالغة فيما عليه الخليفة من قوة

وعظمة » . فجااب بايجو نويان على ركبتيه فأجاب : « إنتى لم أقصر ، وإنما

بذلت كل ما في مقدورى . فلقد أخضعت الأقاليم الممتدة ما بين باب الرى حتى

حدود الروم والشام ماعداً بغداد ؛ فإنها بسبب كثرة سكانها ووفرة جيوشها ،

(١) هذه الكلمة يقتضيها سياق الحوادث بدلاً من كلمة قهستان الموجودة في المتن الأصلي

(انظر كاترمير ، ص ٢٢٠) .

وبسبب كثرة ما فيها من الأسلحة ومزيد الأهبة ، وبسبب الطرق الضيقة الصعبة ، التي يجب سلوكها قبل الوصول إليها . بسبب كل هذه العوامل صار تقدم الجيوش إلى تلك النواحي ، وقيامها بعمليات الهجوم أمراً متعذراً . وما يبقى بعد ذلك أتركه لحكم الملك العادل ؛ فأنا بكل ما يأمر به عبد مطيع ومنفذ لأوامره . فسكنت تلك العبارة ثائرة غضب هولا گوخان ، وقال له : « يجب أن تعود لكي تستولي على تلك الولاية ، حتى شاطئ البحر من يد أبناء (الفرنج ومن الكفار^(١)) » . فرجع بايجو على الفور ، وقاد الجيش إلى ولاية الروم . وكان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين ، سلطان الروم في ذلك الوقت ؛ فالتحم مع بايجو نويان في معركة دارت رحاها في موضع يسمى « كوسه داغ » ، ولكنه هزم ، واستولى بايجو على جميع بلاد الروم ، بعد أن أعمل فيها القتل والغارة . وفي ذلك الوقت أيضاً نزل هولا گوخان ، بصحبة النبلاء قلى وبلغه وتومار ، والأمراء العظام بوقاتييمور وقد سون وقتار سونجاق وكوكا إيلكا في همدان بالقرب من « خانة آباد » ، التي هي عبارة عن مبرعى من كردستان ، وصار يشتغل بترتيب الجيش وتجهيزه .

(١) يقول كاترمير (ص ٩٦) : « نعرف أن الصليبيين في هذه الفترة كانوا لايزالون يسيطرون على سوريا ، وبوجه خاص على شواطئ البحر الأبيض . أما عن كلمة الكفرة ؛ فأعتقد أن المؤلف أراد أن يدل بها على الأرمن والإغريق ، الذين كانوا يحتلون أماكن عديدة من آسيا الصغرى . »

ظهور الفتنة ووقوع الخلاف بين الدواتدار

والوزير وابتداء نكبة الخليفة

ص ٢٢٦
في آخر صيف سنة أربع وخمسين وستمائة ، حدث سيل عظيم أغرق مدينة بغداد ؛ لدرجة أن الطبقة العليا من المنازل هناك غرقت في الماء واختفت تماما . وقد استمر انهمار السيل في تلك الديار خمسين يوما ، ثم بدأ في النقصان . وكان من نتيجة ذلك ، أن بقيت نصف أراضي العراق خرابا يبابا . ولا يزال أهالي بغداد حتى اليوم ، يذكرون الغرق المستعصمي .

وخلال تلك الواقعة ، امتدت أيدي جماعة من الزناطرة والمشاغبين والرعاع والسفلة بالاعتداء والسلب ، وكانوا في كل يوم يغتصبون بعض الأشخاص الأبرياء . وكان مجاهد الدين الدواتدار ، يحتضن بنفسه هؤلاء الرعاع والسفلة ، فصار في مدة وجيزة صاحب شوكة وبأس . ولما لمس في نفسه القوة ، ورأى الخليفة المستعصم شخصا جزا لا رأى له ولا تدبير وساذجا ، اتفق مع طائفة من الأعيان على خلعه وتولية خليفة آخر من العباسيين في مكانه . وعندما علم مؤيد الدين ابن العلقمي نبأ تلك المؤامرة ، أخبر الخليفة على انفراد قائلا : « يجب تدارك أمرهم » . فاستدعى الخليفة الدواتدار على الفور ، وأطلعه على ما قاله الوزير

في شأنه ، ثم قال له : « لما كنت أعتمد عليك وأثق بك ، فإني لم أصغ إلى كلام الوزير وهو يغمرك . وإني لأبلغك بأنه لا يجوز أن تخدع بأية حال ، ولا تحيد عن جادة الطاعة » . فلما أحسّ الدواتدار من الخليفة الشفقة والعطف ، أجاب : « إذا ثبت على جرم فهذا رأسي وهذا هو السيف . ومع هذا فأين يذهب عفو الخليفة وصفحته وغفرانه . . . أما هذا الوزير المزور الخادع ، فقد حمّله الشيطان بعيدا عن الطريق المستقيم ، واختمرت في ذهنه المظلم فكرة الولاء والميل إلى هولا گو خان وجيش المغول . وإن سعايته في حق ، لمن أجل دفع هذه التهمة عن نفسه ، وإنه عدو الخليفة ، فهو يتبادل مع هولا گو خان الجواسيس » . فاستماله الخليفة وقال له : « منذ هذه اللحظة كن يقظا وعاقلا » .

بعد ذلك خرج مجاهد الدين من حضرة الخليفة . وعلى سبيل المكابرة وعدم المبالاة ، أصر على مهاجمته ؛ فجمع حوله رُئُود بغداد وأوباشها ، وكانوا يلزمونهم ليل نهار ؛ فخشى الخليفة مغبة الحال ، وجمع جيشا لدفع هذا الخطر . ثم زادت الفتنة والاضطراب في بغداد . وكان الأهالي هناك قد ملوا العباسيين ، وكرهوا حكمهم . ولما عرفوا أن دولتهم قد آذنت بالمغيب ، ظهرت الأهواء المختلفة بينهم ، فخاف الخليفة مغبة الأمر ، وعهد إلى فخر الدامغانى صاحب الديوان بإخماد تلك الفتنة ، وكتب كتابا بخطه مؤاده : « إن ما قيل في حق

الدواتدار ، إنما هو محض افتراء وبهتان . ونحن نعتمد عليه اعتمادا كليا ، وهو في أماننا » . وعند ما أرسلت تلك الرسالة على يد ابن درنوش إلى الدواتدار ، حضر ومثل أمام الخليفة ، فاستماله هذا ، وعاد معززا مكرما . ثم نودي في المدينة بأن ما قيل في حق الدواتدار إنما هو كذب . وصار اسم الدواتدار يذكر في الخطبة بعد اسم الخليفة . وبهذا خمدت الفتنة في يسر .

القسم الثالث
من
تاريخ هولا گوخان

توجه هولا گوخان إلى بغداد، وتردد الرسل بينه

وبين الخليفة ، وعاقبة تلك الحال

بلغ هولا گوخان الدينور في التاسع من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين
وستمئة قاصدا بغداد، ثم قفل راجعا ومضى إلى همدان ، في الثاني عشر من شهر
رجب من تلك السنة . وفي العاشر من رمضان أرسل إلى الخليفة رسولا يتهدده
ويتوعده قائلا : « لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة ، وطلبنا
مددا من الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية
الطاعة والاتحاد، أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة ؛ فلم ترسل إلينا الجند،
والتمست العذر . ومهما تكن أسرتك عريقة ، وبيتك ذا مجد تليد . . .

شعر :

فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة ،

يمحى معها نور الشمس الساطعة .

ولا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ، ما حل بالعالم والعالمين
على يد الجيش المغولي ، منذ عهد چنگيزخان إلى اليوم ، والذل الذي حاق
بأسر الخوارزمية والسجوقية وملوك الديلمة والأتابكة وغيرهم ، ممن كانوا ذوى
عظمة وشوكة ، وذلك بحول الله القديم الدائم ، ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه
آية طائفة من تلك الطوائف ، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم . فكيف يغلق في

وجهنا رغم مالنا من قدرة وسطان؟ ولقد نصحناك من قبل . والآن نقول لك :
احذر الحقد والخصام ، ولا تضرب الخصف بقبضة يدك ، ولا تُلطخ الشمس
بالوحل فتتعب .

ومع هذا فقد مضى ما مضى ؛ فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون ، ويردم
الخنادق ، ويسلم البلاد لابنه ، ويحضر لمقابلتنا ، وإذا لم يرد الحضور ، فليُرسل
كلا من الوزير وسليمان شاه والدواتدار ؛ ليلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص . فإذا
استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد ، وسنبقى له على
دولته وجيشه ورعيته . أما إذا لم يصغ إلى النصيح ، وآثر الخلاف والجدال ،
فليعبى الجند ، وليعين ساحة القتال ؛ فإننا متأهبون لمحاربته ، وواقفون له على
استعداد . وحينما أقود الجيش إلى بغداد ، مندفعاً بسورة الغضب ، فإنك لو كنت
مختفياً في السماء أوفى الأرض ..

شعر :

- فسوف أنزلك من الفلك الدوار ،
وسألتيك من عليائك إلى أسفل كالأسد .
- ولن أدع حياً في مملكتك . . .
وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار .

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك ؛ فاستمع لنصحي بسمع العقل
والذكاء ، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله .

وبعدما بلغ الرسل بغداد وبلغوا الرسالة ، أوفد الخليفة شرف الدين
بن الجوزى، وكان رجلا فصيحاً ومعه بدر الدين محمود وزنكى النخبجوانى^(١)
بصحبة الرسل ، وأجاب قائلاً : « أيها الشاب الحدث ! ... أتمنى قصر العمر ،
ومن ظن نفسه محيطاً ومتغلباً على جميع العالم مغترا بيومين من الإقبال ، متوها
أن أمره قضاء مبهم وأمر محكم . لماذا تطلب منى شيئاً لمن تجده عندى .
شعر :

كيف يمكن أن تتحكم فى النجم وتقيده ،
بالرأى . والجيش . والسلاح .

ألا ليعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ،
ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين ، كلهم عبيد هذا
البلاط وجنود لى . إننى حينما أشير بجمع الشتات ، سأبدأ بحسم الأمور فى إيران ،
ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص فى موضعه . وعندئذ سيصير
وجه الأرض جميعه مملوءاً بالقلق والاضطراب . غير أنى لأريد الحقد والخصام ،
ولأن أشتري ضرر الناس وإيذاءهم ، كما أننى لأبغى من وراء تردد الجيوش ،
أن تلهج السنة الرعية بالمدح أو القبح ؛ خصوصاً وأننى مع الخاقان وهولا گوخان ،
قلب واحد ولسان واحد . وإذا كنت مثلى تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق

(١) فى كاترمير نخوانى : والتصحيح عن طبعة باكو ١٩٥٢ ص ٤٣ .

رعيتي وحصونهم . فاسلك طريق الود ، وعد إلى خراسان . وإن كنت تريد
الحرب والقتال . . .

شعر :

- فلاتتوان لحظة ولا تعتذر ،

إذا استقر رأيك على الحرب .

- إن لي ألوا مؤلفة من الفرسان والرجالة ،

وهم متأهبون للقتال .

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان .
وعلى هذا النحو بلغ الرسالة ، وصرف الرسل مع بعض التحف والهدايا .
وحينما خرج الرسل من المدينة ، وجدوا الصحراء كلها ممتلئة بالرعا ، فأطلقوا
ألسنتهم بسب هؤلاء الرسل ، وبأدروهم بالسفاهة ، وأخذوا يمزقون ثيابهم ،
ويبصقون في وجوههم ؛ لعلمهم يقولون شيئا يتخذونه ذريعة لإيذائهم والاعتداء
عليهم . فلما أخبروا الوزير بذلك ، أرسل على الفور بعض الغلمان فأبعدوهم .
وعند ما وصل الرسل إلى حضرة هولاكوخان ، وعرضوا عليه كل ما شاهدوه ،
غضب الملك وقال : « إن الخليفة ليست لديه كفاءة قط ؛ إذ أنه معنا كلقوس
الأعوج . فلو أمدني الله الأزلى بعونه ، فسوف أجعله مستقيما كالسهم » . ثم
دخل رسل الخليفة ، وهم ابن الجوزي وبدر الدين وزنگي ، وبلغوا الرسالة ؛

فغضب هولاء كوخان من عبارة الخليفة غير اللائقة وقال : « إن إرادة الله مع هؤلاء القوم أمر آخر ؛ إذ ألقى في روعهم مثل هذه الأوهام » .

وفي شهر^(١) من سنة التين « لويل » الواقعة لسنة ١٢٥٧/٦٥٥ ،

أذن هولاء كوخا لرسول الخليفة بالانصراف من موضع « پنج انگشت » على حدود همدان التي كانت معسكراته ، وأرسل يقول : إن الله الأزلي رفع جنكيز خان ، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب ؛ فكل من سار معنا ، وأطاعنا ، واستقام قلبه ولسانه ، تبقى له أمواله ونساؤه وأبنائه . ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك . ثم عاتب الخليفة بشدة قائلاً : لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية ، بحيث إنه لم يعد يؤثر فيك نصيح الناصحين بالخير ، وإن في أذنك وقرأ فلا تسمع نصيح المشفقين ، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك ، وإذن فعليك أن تكون مستعداً للحرب والقتال ، فإنني متوجه إلى بغداد بجيش كامل والجراد . ولو جرى سير القلك على شاكلة أخرى ، فتلك هي مشيئة الله العظيم .

وبعد أن وصل رسول بغداد ، بلغوا رسالة ذلك الملك الفاتح إلى الوزير ، فعرضها برمتها على الخليفة ، فقال : ماذا نرى لدفع هذا الخصم القاهر القادر فأجاب الوزير :

(١) هنا كلمة محذوفة من نسخة الأصل .

ينبغي أن ندفعه ببذل المال؛ لأن الخزائن والدفائن تجمع لوقاية عزة العرض وسلامة النفس ، فيجب إعداد ألف حمل من نفائس الأموال ، وألفا من نجائب الإبل ، وألفا من الجياد العربية المجهزة بالآلات والمعدات ، وينبغي إرسال التحف والهدايا في صحبة الرسل الكفاة الدهاة ، مع تقديم الاعتذار إلى هولاءكو ، وجعل الخطبة والسكة باسمه .

فأعجب الخليفة برأى الوزير ، وأشار بإنجاز ذلك . ولكن مجاهد الدين أيبك المعروف بالدواتدار الصغير - بسبب الوحشة التي كانت بينه وبين الوزير - أرسل إلى الخليفة رسالة بالاتفاق مع الأمراء الآخرين ، ورنود بغداد يقولون : « إن الوزير دبر هذه الحيلة لمصلحته الخاصة ، لكي يتقرب زلفى إلى هولاءكو ، ويلقى بنا نحن الجنود في البلاء والمحنة . ولكننا سنوف نرقب مفارق الطرق ، ونلقى القبض على الرسل ، ونأخذ ما معهم من أموال ، وندعهم في العذاب والعناء .

فعدل الخليفة - بسبب هذا الكلام - عن إرسال الأحمال ، وبدافع من التهور والغرور أرسل إلى الوزير من يقول :

« لا تخش القضاء المقبل ، ولا تقل خرافة ؛ فإن بينى وبين هولاءكو خان ، وأخيه منكوقا آن صداقة وألفة ، لاعداء وقطيعه . وحيث إننى صديق لهما ؛ فلا بد أنهما أيضاً يكونان صديقين ومواليين لى ، وإن رسالة الرسل غير صحيحة . أما إذا أضمر الأخوان لى خلافا وغدراً ، فلا ضير على الأسرة العباسية ؛ إذ أن

ملوك الأرض هم بمشابة الجنود لى ، وهم منقادون ومطيعون لأمرى ونهى ، فأدعواهم من كل قطر ، وأسير لدفعهما ، وأثير إيران وتوارن عليهما . فقو قلبك ولا تخافن تهديد المغول ووعيدهم ؛ فإنهم رغم كونهم أرباب دولة وأصحاب شوكة ، إلا أنهم لا يملكون سوى الهوس فى رؤوسهم ، والريح فى أكفهم .

فاضطرب الوزير لهذا الكلام ، وأيقن أن دولة العباسيين سوف تزول . وإذ كان إدار هذه الدولة سيكون فى عهده ، فإنه طفق يتلوى كالشعبان ، ويفكر فى كل تدبير . وقد اجتمع عند الوزير أمراء بغداد وعظماؤها ؛ مثل سليمان شاه بن برجم ، وفتح الدين بن كره ، ومجاهد الدين الدواتدار الصغير ، وأطلقوا ألسنتهم بقدرح الخليفة وطعنه قائلين إنه صديق المطربين والمساخرة ، وعدو الجيوش والجنود . وإننا أمراء الجيش ، بعنا كل ما ادخرناه فى عهد والده .

وقال سليمان شاه : « إذا لم يقدم الخليفة على دفع هذا الخصم القوى ، ولم يبادر إلى طلب العون والمساعدة ؛ فسيغلب جيش المغول — عن قريب — على بغداد ، وحينئذ لا يرحمون أى مخلوق كما فعلوا ذلك بسائر البلاد والعباد ، فلا يبقون على أى شخص ، من الحضركان أو من البدو ، قويا أم ضعيفا ، وسيخرجون ربات الحدود من ستر العصمة . ولو أن المغول

لم يحدقوا بجميع الجهات ، لكان من السهل حشد الجنود من الأطراف ،
وَحَمَلَتْ عَليهم بِجيش في غارة ليلية ، وشتت شملهم . ولو جرت الأمور على
خلاف ذلك ، فأولى بالفتى أن يقتل في حومة الوغى في عزة وشرف . وعند ما
بلغ الخليفة هذا الكلام ، أعجب به وقال للوزير : « إن كلام سليمان شاه له
الأثر في النفس المنهكة ، فاستعرض الجند حسب تقريره ، لأغنيهم بالدرهم
والدينار ، وسلم أمرهم إلى سليمان شاه ليحقق خطته » .

على أن الوزير عرف أن الخليفة لن يمنح مالا ، لكنه لم يبد - على
الفور - رأيا مخالفاً لأعدائه ، وأمر العارض بأن يعرض الجنود بالتدريج فوجاً
فوجاً ؛ ليصل نبأ تعبئة الجنود في حضرة الخليفة إلى البعيد والقريب ، والترك
والعرب ، فتفتقر غزيمة العدو . وبعد خمسة أشهر أبلغ العارض الوزير ، أن الجند
قد صاروا عدداً وفيراً وجيشاً جراراً ، وأن على الخليفة أن يمنح المال . فعرض
الوزير الأمر على المستعصم ، ولكنه اعتذر ، فيئس الوزير من مواعيده كلية ،
ورضى بالقضاء ، ووضع عين الانتظار على نافذة الاصطبار .

مصراع :

حتى يكشف الفلك نفسه عما وراء الستار .

ولما كان الدواتدار - في تلك الفترة - خصماً للوزير ، فإن أتباعه من سفلة
المدينة وأو باشها ، كانوا يذيعون بين الناس ، أن الوزير متفق مع هولاكو خان ،
وأنه يريد نصرته وخذلان الخليفة ، فتوى هذا الظن .

ثم أرسل الخليفة ثانية هدية صغيرة إلى هولانغو ، على يد بدر الدين دريكي ،
قاضي بندينجان ، وبعث يقول :

« لو غاب عن الملك ، فله أن يسأل المطاعين على الأحوال ؛ إذ أن كل
ملك - حتى هذا العهد - قصد أسرة بنى العباس ودار السلام بغداد ، كانت عاقبته
وخيمة . ومهما قصدهم ذرو السطوة من الملوك ، وأصحاب الشوكة من السلاطين ،
فإن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى إلى يوم القيامة . وفي الأيام السالفة ،
قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة ، وتوجه بجيش لجلب إلى بغداد ، فلم يبلغ
مأربه إذ مات بعلّة الزحار ، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ؛ إذ قبض عليه
إسماعيل بن أحمد الساماني ، وكبله وأرسله إلى بغداد ؛ لكي يجري عليه الخليفة
ما حكم به القضاء . وكذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد ،
وقبض على الخليفة ، وسجنه في الحديقة . وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة
عامين ، باسم المستنصر الذي كان خليفة الاسماعيلية في مصر . وفي النهاية علم
طغرل بك بذلك ، فأسرع من خراسان ، وقصد البساسيري في جيش جرار ،
وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن ، وأعادته إلى بغداد ، وأجلسه
على عرش الخلافة . وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد ، فعاد منهزماً
وهلك في الطريق . وجاء محمد خوارز مشاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه
الأسرة ، فابتلى في رواي « أسد آباد » بالثلج والعواصف بسبب غضب الله
عليه ، وهلك أكثر جنده ، وعاد خائباً خاسراً . ثم لاقى مالاقي من جدك

چنگيزخان في جزيرة آبكسون . فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصد
أسرة العباسيين . فاحذر حين السوء من الزمان الغادر .

فاشتد غضب هولا گو بسبب هذا الكلام ، وأعاد الرسل قائلاً :

شعر :

— اذهب واصنع من الحديد المدن والأسوار ،
وارفع من الفولاذ الأبراج والهيكل ،
— واجمع جيشاً من المردة والشیاطین ،
ثم تقدم نحوی للخصام والنزال .
— فسأُنزلک ولو كنت فی السماء ،
وسأدفع بک غضباً إلى أفواه السباع .

قصة اشتغال هولاءو خان بترتيب الجيش وتجهيزه

لفتح بغداد وما حولها

عندما أعاد هولاءو خان الرسل، كان يفكر في كثرة جند بغداد ، فاشتغل بإعداد الجيش وتجهيزه ، وأراد أن يرسل أغلب الجند إلى نواحي بغداد ، حيث الجبال الشاهقة المنيعة فيستولى عليها . ثم أرسل رسولا لاستدعاء « حسام الدين عكه » ، الذي كان حاكما على « درتنگ » وما حولها من قبل الخليفة ، وكان حائقا عليه ، فسلم حسام الدين « درتنگ » - دون تردد - إلى ابنه الأمير سعد ، وحضر بنفسه لتقديم الطاعة لهولاءو ، فشمه بكثير من العطف والرعاية ، وأذن له بالعودة ، ومنحه حصني « وروده » و « مرج » وعدة قلاع أخرى ، ثم قفل راجعا ، فأرسل إلى كل قلعة جيشا فخضع له أهلها جميعا ، وسلموا له القلاع .

ولما تحققت أمنية حسام الدين التي طالما تمنّاها ، وتجمعت عنده جنود سليمان شاه تعاضم وتكبر ، وأرسل ابن صلاية العلوى إلى حاكم إربل ، ليصلحه مع ديوان الخليفة وقال :

« لقد قدّرتُ هولاءو خان وما هو عليه من كفاءة وكياسة ، ومهما يكن له من العنف والتهديد ، فليس له عندى قدر ولا وزن . فلو طيب الخليفة خاطرى ، وطمأن قلبى ، وبعث إلىّ بجيش من الفرسان ؛ لجمعت أنا أيضا

ما يقرب من مائة ألف من فرق المشاة من كرد وتركمان ، ولسددت الطرق في وجه هولاء كوخان ، ولا أدعُ أى مخلوق من جنده يدخل بغداد .

فعرف ابن صلاحيا الوزير بذلك ، فعرضه هذا بدوره على الخليفة ، فلم يبد اهتماما كثيرا . ولما بلغ هولاء كوخان هذا الكلام ، ثارت سورة غضبه ، وأوفد كيتوبوقا مع ثلاثين ألفا من الفرسان لدفعهم . وعندما اقترب منهم استدعى حسام الدين قائلًا : « لقد صممنا على قصد بغداد ، ونحن في حاجة إلى مشاورتك » فحضر حسام الدين دون تفكير أو تدبير ، وأوكل به كيتوبوقا وقال : « إذا أردت النجاة والبقاء حاكمًا على هذه القلاع ، فأنزل نساءك وأبناءك وأتباعك وجنودك جميعًا من هذه القلاع لكي أحصيهم ، وأقرر لهم الأموال والمؤن » . فلم يجد حسام الدين بدا من الطاعة ، وأحضرهم جميعًا . فقال كيتوبوقا : « إذا كانت ميولك مخلصه للملك ، فمر بتخريب جميع القلاع ليتحقق هذا المعنى » . فأدرك أن كلماته التافهة بلغت مسامعهم ، فيئس من حياته الغالية ، وأرسل من يهدم كل القلاع . ثم قتله المغول مع كافة أتباعه ، وأشياعه ، ماعدا أهل القلعة التي كان فيها ابنه الأمير سعد ، فقد طلبوا إليه التسليم تخويفًا وإرهابًا ، فلم يجبههم وقال : « إن عهدكم غير صحيح ، ولا أثق به » . ثم ظل يتجول مدة خليع العذار في تلك الجبال ، وأخيرًا سار إلى بغداد ، ولقى من ديوان الخليفة حسن الاستقبال ، إلى أن قتل في حرب بغداد . وعاد كيتوبوقا مضطربًا منصورًا إلى حصرة هولاء كوخان ، وكان الخان يتشاور مع أركان الدولة وأعيان

الحضرة في أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد ، فكان كل منهم يبدى رأيه حسب ما يعتقد . ثم طلب حسام الدين المنجم الذي كان مصاحباً له بأمر القآن ، ليختار وقت النزول والركوب ، وقال له : « يتن كل ما يبدو لك في النجوم دون مداهنة » . ولما كانت له جرأة بسبب تقربه ؛ فقد قال للملك بصورة مطلقة إنه ليس ميمونا قصد أسرة الخلافة ، والزحف بالجيش إلى بغداد ؛ إذ أن كل ملك — حتى زماننا هذا — قصد بغداد والعباسيين ، لم يستمتع بالملك والعمر . وإذا لم يصغ الملك إلى كلامي ، وذهب إلى هناك ، فستظهر ستة أنواع من الفساد :
أولها : أن تنفق الخيول كلها ، ويمرض الجنود .

ثانيها : أن الشمس لا تطلع .

ثالثها : أن المطر لا ينزل .

رابعها : تهب ريح صرصر ، وينهار العالم بالزلازل .

خامسها . لا ينبت النبات في الأرض .

سادسها : أن الملك الأعظم يموت في تلك السنة .

فطلب منه هولاءكو خان شهادة بصحة هذا الكلام ، فكتبها المسكين .

وقال اللامات (بنخشان) والأمراء : إن الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة .

بعد ذلك استدعى هولاءكو خان الخواجه نصير الدين الطوسي واستشاره ،

فخاف الخواجه ، وظن أن الأمر على سبيل الاختبار ، فقال : « لن تقع أية واقعة

من هذه الأحداث » . فقال هولاءكو : « إذن ماذا يكون . . . » قال :

« إن هولاءو خان سيجل نحل الخليفة » . ثم أحضر هولاءو « حسام الدين » ليتباحث مع الخواجه الذى قال : « لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام ، ولم يحدث فساد قط . ولو قيل إن للعباسيين مكرمة خاصة بهم ، فإن طاهرا جاء من خراسان بأمر المأمون ، وقتل أخاه محمدا الأمين ، وقتل المتوكل ابنه بالاتفاق مع الأمراء . كذلك قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز ، وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص . فلم تختل الأمور .

شعر :

فأضاء قلب الملك من قول العالم ،

كأنه زهرة اللعل فى الربيع الباكر .

تصميم هولاء كوخان ، وتحركه بعد ذلك إلى بغداد ،
وزحف الجيوش من كل ناحية وصوب ، إلى مدينة السلام
والاستيلاء عليها ، وانهاء الدولة العباسية

بعد ذلك عقد هولاء كوخان النية على فتح بغداد ، فأمر بأن تتحرك
جيوش جرمانغون وبايجو نويان اللذين كانت معاقليهما في بلاد الروم ، وأن
تسير على الميمنة إلى الموصل عن طريق اربل ، ثم تعبر جسر الموصل ، وتعسكر
في الجانب الغربي من بغداد وذلك في وقت معين ، حتى إذا قدمت الرايات
من المشرق ، تخرج إليها من تلك الناحية .

ويسير الأمراء « بلغا بن شيبان بن جوجي » « وتوتار بن سكتقور بن
جوجي » « وقولي بن أورده بن جوجي » « وبوقا تيمور » « وسونجاق » من
الميمنة أيضا ، ويدخلون من مضيق سوتتاي نويان إلى ناحية هولاء كوخان .
أما قوات « كيتو پوقانو يان » « وقديسون » « ونرك ايلكا » على اليسرة ،
فكانت تزحف من حدود لرستان وبيات وتكريت وخوزستان حتى ساحل
عمان . ثم ترك هولاء كوخان المعسكرات والأفواج في مرج « زكي » من
ضواحي همدان ، وأمر عليهم « قياق نويان » .

وفي أوائل المحرم سنة ١٢٥٧/٦٥٥ - ٥٨ سار بالجيوش في القلب الذي
يسميه المغول « قول » عن طريق كرمانشاهان وحلوان . وكان في ركابه كبار

الأمراء : كوكا إيلكا وأرقتو وأرغون آقا ، ومن الكتاب : قراتاي وسيف الدين البيتكجي المبر لشؤون المملكة ، والخواجه نصير الدين الطوسي ، والصاحب السعيد علاء الدين عطا ملك الجويني ، مع كافة السلاطين والملوك وكتاب بلاد إيران .

وعند ما بلغ أسد آباد ، أوفد رسولا لدعوة الخليفة مرة أخرى للحضور ، فكان يماطل ويتعلل ، ووصل ابن الجوزي إلى دينور للمرة الثانية قادما من بغداد ، يحمل رسالة بالوعد والوعيد ، وملتصبا أن يعود هولا گوخان ويتراجع ، في مقابل أن يسلم الخليفة للخرانة ، كل ما يقرره هولا گوخان . فظن هذا أن الخليفة يريد من وراء عودة الجيوش ، أن يعد جنده ويهيئهم لمقاومة المغول ، فقال : « وكيف نترك زيارة الخليفة ، بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق . سوف نعود بإذنه بعد الحضور للقائه والتحدث معه » .

وقد تحرك جنود المغول من هناك إلى جبال الأكراد ، ونزلوا بكرمانشاه في السابع والعشرين من الشهر ، وقاموا بالقتل والسلب ، وأرسلوا رسولا ليحضر على الفور - الأمراء سونجاق وبايجونويان وسوتتاي ، فوصلوا إلى الحاضرة في طاق كسرى . ثم قبضوا على « ايبك الحلبي » . وسيف الدين قلیج ، اللذين كانا من طلائع جيش الخليفة ، وأحضروهما إلى الحاضرة ، فأعطى هولا گوخان الأمان لأيبك ، وفي نظير ذلك قبل أن يقول الصدق . ثم جاءهما هولا گوخان مرشدين لطلائع قوات المغول . بعد ذلك أعاد الأمراء مرموقين

بالعطف والرعاية ، ليعبروا نهر دجلة ، ويتوجهوا إلى غرب بغداد ، وأحرقوا
أكتاف الأغنام جريا على عادتهم ، ثم عادوا وعبروا نهر دجلة قاصدين غرب
بغداد .

وفي تلك الجهة كان قائد الطلائع لجند الخليفة ببغداد، هو قبچاق المعروف
بقراسنقر . أما سلطان جوق الذي كان من نسل الخوارزميين ، فقد كان مع
طلائع المغول ، فكتب هذا رسالة إلى قراسنقر يقول فيها :

« إننى وأنت من جنس واحد ، وبعد البحث والتدقيق ، التحقت بخدمة
هولاكو ، بسبب الفقر والاضطرار ، ودخلت فى طاعته . وهو الآن يعاملنى
معاملة طيبة . فأنت أنت أيضا حياتك وترفق بها ، وأشفق على أولادك ،
وقدم الطاعة ؛ حتى تأمن على دارك وأولادك ومالك وروحك من هؤلاء
القوم » .

فكتب قراسنقر مجيبا :

« من يكون هؤلاء المغول ، حتى يقصدوا أسرة العباسيين .. لقد شاهدت
هذه الأسرة ، الكثيرين من أمثال دولة چنگيزخان ، وإن أساسها لاكثر
إحكاما ورسوخا من أساس أسرة چنگيزخان ، التى تترنح من كل ريح عاصف .
ثم إن العباسيين قد استمروا حكاما أكثر من خمسمائة سنة ، وكل مخلوق
قصدهم بسوء قضى عليه الزمان . وإذن فإيس من العقل والكياسة ، أن تدعونى
لأنضم إلى جانب الغصن الغض لدولة چنگيزخان ، وكان الأولى بالود

والمسألة ، ألا يتجاوز هولا گوخان الرى بعد فراغه من فتح قلاع الملاحدة ،
وأن يعود إلى خراسان وترکستان ، لأن قلب الخليفة متأثر وساخط بسبب زحف
هولا گو بجيوشه . فإذا كان هولا گو نادما حقا على فعلته ، فعليه أن يعيد
الجيش إلى همدان ؛ لكي نجعل الدواتدار شقيعا ، فيتضرع بدوره إلى الخليفة ،
عنه يزول ألمه ، ويقبل الصلح ، فيغلق بذلك باب القتال والجدال .

فلما عرض سلطان جوق تلك الرسالة على هولا گو ، ضحك وقال « إن
اعتمادى على الله لا على الدرهم والدينار . فإذا كان الله الأزلى مساعدا لى ومعينا ،
فماذا أخشاه من الخليفة وجيشه . . »

شعر :

— تتساوى فى نظرى النملة والبعوضة والفيل ،

كما يتساوى ينبوع والنهر والبحر والنيل .

— ولو كان أمر الله على خلاف ذلك ،

فمن يدرى سواه كيف يكون ذلك الكلام . .

ثم أرسل من جديد رسولا يقول :

« إذا كان الخليفة قد أطاع فإيخرج ، وإلا فليأتأهب للقتال ، وليحضر

إلينا قبل كل شىء ، الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليسمعوا ما نقول . »

وفى اليوم التالى سار هولا گو وعسكر على شاطئ نهر حلوان ، فى التاسع

من ذى الحجة سنة ٦٥٥/١٢٥٧ ، حيث أقام إلى الثانى والعشرين من

ذلك الشهر . وفي هذه الأيام استولى كيتوبوقا على كثير من بلاد لرستان طوعا وكرها .

وفي الحادى عشر من شهر جقشباط ، من سنة موغا « موغاييل » ، الموافق التاسع من الحرم سنة ٦٥٦ - ١٢٥٨ ، عبر بايجونويان وبوقا تيمور وسونجاق فى الوقت المقرر - نهر دجلة ، عن طريق نهر دجيل ، ووصلوا إلى نواحى نهر عيسى . وقد التمس سونجاق نويان إلى بايجو ، أن يكون قائداً لجيش غرب بغداد ، ثم سار بعد الاستئذان وجاء إلى حربية .

وقبل ذلك كان مجاهد الدين أيبك الدواتدار، الذى كان قائداً لجيش الخليفة ومعه « ابن كر » ، قد أقاما معسكرهما بين بعقوبه وباجسرى .

وحينما سمعا بمجىء المغول إلى الضفة الغربية عبر نهر دجلة ، وحاربا سونجاق و بوقا تيمور فى حدود الأنبار ، على باب قصر المنصور فى أعلى المزرقة ، على تسعة فراسخ من بغداد ، فلولى جنود المغول العنان ، وجاءوا إلى بشرية من ناحية دجيل . فلما لحقوا ببايجو ، ووصل هؤلاء أعادوهم . وفى تلك النواحى ، كان يوجد نهر كبير ، ففتح المغول السد المقام عليه ، فغمرت المياه كل الصحراء الواقعة خلف جيش بغداد . وفى فجر يوم الخميس من نهار عاشوراء ، دهم بايجو وبوقا تيمور الدواتدار وابن كر ، وانتصرا عليهما ؛ فهزم جيش بغداد ، وقتل فتح الدين بن كر وقراسنقر ، اللذان كانا قائدى الجيش ، مع اثنى عشر ألف رجل فضلا عن غرق ، أو قضى نحبه فى الوحل .

أما الدواتدار فقد فر هارباً مع نفر ضئيل ، وعاد إلى بغداد ، كما هرب البعض إلى الحلة والكوفة . وفي يوم الثلاثاء منتصف الحرم ، قدم بوقاتييمور وبايجو وسونجاق إلى بغداد ، واستولوا على الجانب الغربي ، ونزلوا في أحياء المدينة على شاطئ نهر دجلة ، ووصل أيضاً بوقانويان والأمراء الآخرون من ناحية « نجاسية » وصرصر بجيش عظيم ، وترك هولاً غوخان معسكراته في خاتقين ، وواصل سيره إلى بغداد ، ونزل في الجهة الشرقية منها ، في السابع من شهر جقشباط من سنة موغاً ، الموافق الحادي عشر من الحرم سنة ٦٥٦-١٢٥٨ . ثم تدفق جيش المغول كالنمل والجراد من كل جهة وناحية ، فحاصروا أسوار بغداد ، واحتتموا بجدار أقاموه .

وفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من الحرم شرعوا في الحرب ، والتحم الجيشان . وكان هولاً غو في القلب من طريق خراسان ، على الجانب الأيسر من المدينة ، في مقابل البرج العجوى ، وكان ايلكا نويان وفربا على بوابة كلواذى . أما قولى وبولغا وتوتار وشيرامون وأرقيو ؛ فقد نزلوا في عرض المدينة في مواجهة بوابة سوق السلطان ، وكان بوقاتييمور يقف في جهة القلعة وجانب القبلة ، بموضع « دولاب بقل » ، وكان بايجو وسونجاق يرابطان في الجانب الغربي ، حيث مارستان العضدى . وكان الجميع يحاربون ، وقد صوبوا المجانيق مباشرة تجاه برج العجوى ، حتى أحدثوا فيه ثغرة .

وعندئذ أرسل الخليفة الوزير والجائليق إلى هولاً غو يقول :

« إن الملك قد أمر بأن أبعث إليه بالوزير ، وها أنا ذا قد لبيت طلبه ،
فينبغي أن يكون الملك عند كلمته » .

فرد الملك قائلاً :

« إن هذا الشرط طلبته وأنا على باب همدان . أما الآن فنحن على باب
بغداد ، وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة ؛ فكيف أقنع بواحد؟ ينبغي أن ترسل
هؤلاء الثلاثة يعنى الدواتدار وسليمان شاه والوزير »

ثم ذهب الرسل إلى المدينة . وفي اليوم التالى خرج إلى هولا گو، الوزير
وصاحب الديوان ، وجمع من المعارف والمشاهير ، ولكنه أعادهم . وقد دارت
حرب طاحنة مدة ستة أيام . ثم أمر الملك بأن يكتب ستة منشورات ؛ تفيد بأن
القضاة والعلماء والشيوخ والسادات والتجار ، وكل من لا يحاربنا ، لهم الأمان .
منا ، ووربطوا هذه المنشورات بالنبال ، وألقوها على المدينة من جوانبها الستة .
ولما لم تكن توجد حجارة للمجانيق فى أطراف بغداد ، فإنهم كانوا
يأتون بها من جبل الحمرين وجلولاء ، وكانوا يقطعون النخيل ، ويرمون
بقطعها بدلا من الحجارة .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من المحرم ، هدم المغول برج العجمى .
وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين ، وحيث كان يقف هولا گو ، تسلق
جنود المغول السور عنوة ، وطهروا أعالي الأسوار من الجند . لكنهم
لم يتسلقوا الأسوار من ناحية سوق السلطان ، حيث كان يحارب بولغا وتوتار .

فعاتبهم السلطان . كذلك لم يذهب أتباعهم . وفي المساء تسلم المغول جميع الأسوار الشرقية .

بعد ذلك أمر هولاكو خان بأن يقيموا جسرا في أعلى بغداد، وآخر في أسفلها وأن يعدوا السفن ، وينصبوا المجانيق ، ويعينوا المستحفظين ، وكان بوقا تيمور قد رابط مع عشرة آلاف جندي على طريق المدائن والبصرة ، ليصد كل من يحاول الهرب بالسفن . ولما جمى وطيس الحرب في بغداد ، وضاق الحال على الأهالي ، أراد الدواتدار أن يركب سفينة ، وأن يهرب إلى ناحية « سيب » . ولكنه بعد أن اجتاز قرية « العقاب » ، أطلق جند بوقا تيمور حجارة المنجنيق والسهام وقوارير النقط ، واستولوا على ثلاثة سفن ، وأهلكوا من فيها ، وعاد الدواتدار منهزما .

فلما وقف الخليفة على تلك الحال ، يئس نهائيا من الاحتفاظ ببغداد ، ولم ير أمامه مفرّا ولا مهربا قط ، فقال :

« سأسلم وسأطيع » . ثم أرسل فخر الدين الدامغانى وابن درنوش ، مع قليل من التحف إلى هولاكو ، زاعما أنه لو بعث بالكثير ، لكان ذلك دليلا على خوفه فيتجرا العدو ، فلم يلتفت هولاكو إلى هذه الهدايا ، وعادا محرومين . وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم خرج من بغداد (للقاء هولاكو) ، أبو الفضل عبد الرحمن بن الخليفة الثانى ، بينما ذهب الوزير إلى المدينة ، وكان صاحب الديوان وجماعة من العظماء مع أبى الفضل ، وقد حملوا أموالا كثيرة ، فلم تقبل منهم أيضا . وفي غد ذلك اليوم ، آخر المحرم خرج ابن الخليفة الأكبر

ومعه الوزير وجماعة من المقرين للشفاعة فلم يجدوا فائدة ، وعادوا إلى المدينة .
وقد بعث الملك الخواجه نصير الدين وايتيمور برسالة إلى الخليفة ، فخرج
في صحبة رسل بغداد في غرة صفر . وأرسل فخر الدين الدامغانى الذى كان صاحب
الديوان ، وابن الجوزى وابن درنوش إلى المدينة ليخرجوا منها سليمان شاه
والدواتدار ، ومنحهم فرمانا وپايزه تطميناً لهم وتقوية لموقفهم وقال : « إن
الرأى للخليفة ، فله أن يخرج أولاً يخرج ، وسيكون جيش المغول مقيماً على
الأسوار إلى أن يخرج سليمان شاه والدواتدار . وفي يوم الخميس غرة صفر خرج
الرجلان ، فأعادها مرة ثانية إلى المدينة ليخرجاً أتباعهما حتى ينضموا إلى
قوات مصر والشام ، وعزم جند بغداد على الخروج معهم ، وكانوا خلقاً
لا يحصى مؤمليين أن يجدوا الخلاص ، فقسموهم ألفاً ومئات وعشرات
وقتلهم جميعاً .

أما من بقى في بغداد فقد هربوا إلى الأنفاق ومواقد الحمامات . ثم خرج
جماعة من أعيان المدينة وطلبوا الأمان قائلين :

إن أناساً كثيرين طائعون خاضعون فليمهلوا ؛ لأن الخليفة سيرسل أبنائه ،
ويخرج بنفسه أيضاً . وفي تلك الأثناء أصاب سهم عين « هندو البيتكچى »
وكان من أكابر الأمراء ، فتملك هولا گوخان ، غضب عظيم وجد في
الاستيلاء على بغداد ، وأمر الخواجه نصير الدين بأن يقيم على بوابة الحلبة
أماناً للناس ، فشرع الأهالى يخرجون من المدينة .

وفي يوم الجمعة الثاني من صفر قتل الدواتدار ، وجيء بسليمان شاد مع سبعائة من أقاربه ، وكان مكبل اليدين ، فاستجوبه هولاء كوقائلا :

« لقد كنت منجماً ، ومطاماً على أحوال السعد والنحس للبلاد ، فكيف أنك لم تتنبأ بسوء مصيرك ، ولم تنصح مخدمك لكي يبادر إلينا عن طريق الصالح . . . » .

فأجاب سليمان شاه : « لقد كان الخليفة مستبدا برأيه ، منكود الطالع ، فلم يستمع لنصح الناصحين » .

ثم أمر بقتله مع كافة أتباعه وأشياعه كما قتل الأمير تاج الدين بن الدواتدار الكبير ، وأرسل رؤوس هؤلاء الثلاثة على يد الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ إلى الموصل . وكان بدر الدين صديقا لسليمان شاه فبكى ، ولكنه علق رؤوسهم خوفا على حياته .

وبعد أن رأى الخليفة المستعصم أن الأمر قد خرج من يده ، استدعى الوزير وسأله : « ماتدير أمرنا » . فأنشد الوزير هذا البيت في جوابه :

يظنون أن الأمر سهل وإنما هو السيف حدت للقاء مضاربه

وبعد خراب البصرة خرج ومعه أبنائه الثلاثة : أبو الفضل عبد الرحمن وأبو العباس أحمد وأبو المناقب مبارك وكان ذلك في يوم الأحد الرابع من صفر سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ وكان معه ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والقضاة

والأكابر وأعيان المدينة . ثم قابل هولا گوخان ، فلم يبد الملك غضبا قط ،
وكله بالحسنى ثم قال له بعد ذلك :

« مر حتى يضع سكان المدينة أسلحتهم ، ويخرجوا لكي نحصيهم » .
فأرسل الخليفة من ينادى في المدينة ليضع الناس أسلحتهم ، ويخرجوا . فألقى
الناس أسلحتهم زمرا زمرا ، وصاروا يخرجون ، فكان المغول يقتلونهم . ثم
أمر بأن تقام الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه ببوابة كلواذى في معسكر كيتوبوقا
نويان ، ونزلوا فيها ، وعهدوا بجراساتهم إلى عدد من المغول ، وكان الخليفة
ينظر بعين الحقيقة إلى هلاكه ، ويأسف على تركه الحزم ، وإيأائه قبول
النصح .

شعر :

قال في نفسه : لقد فاز عدوى إذ رآنى ،

قد وقعت في الشرك كالطائر الحذر .

وكان بدء القتل العام والنهب في يوم الأربعاء السابع من صفر ، فاندفع
الجنود مرة واحدة إلى بغداد ، وأخذوا يحرقون الأخضر واليابس ماعدا قليلا
من منازل الرعاة ، وبعض الغرباء .

وفي يوم الجمعة التاسع من صفر دخل هولا گوخان المدينة لمشاهدة قصر
الخليفة ، وجلس في الميمنية ، واحتفل بالأمراء . ثم أشار بإحضار الخليفة ،
وقال له :

« إنك مضيف ونحن البضيوف ! . . . فيها أحضرت ما يليق بنا » . فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، وكان يرتعد من الخوف ؛ وبلغ من دهشته أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزان . فأمر بكسر عدة أقفال ، وأحضر لهولا كو ألفي ثوب وعشرة آلاف دينار ونقائس ومرصعات وعددا من الجواهر ، فلم يلتفت هولا كوخان إليها ومنحها كلها للأمرء والحاضرين ثم قال للخليفة :

« إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة ، وهي ملك عبيدنا . لكن اذكر ما تملكه من الدفائن . ماهي وأين توجد » . فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر ، فحفروا الأرض حتى وجدوه . كان مليئا بالذهب الأحمر ، وكان كلة سبائك تزن الواحدة مائة مثقال .

بعد ذلك صدر الأمر بإحصاء نساء الخليفة ، فعدوا سبعائة زوجة وسرية وألف خادمة . فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه ، تضرع وقال : « من على أهل حرمة اللائي لم تطلع عليهن الشمس والقمر » . فقال له هولا كو : « اختر مائة من هذه النساء السبعائة ، وأترك الباقي » . فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه ، والمحبيات إليه . ثم رجع هولا كوخان إلى المعسكر ليلا . وفي الصباح أمر بأن يسير سونجاق إلى المدينة ، وأن يجرّد أموال الخليفة ، ويخرجها . وقصارى القول أن كل ما كان الخلفاء قد جمعوه خلال خمسة قرون ، وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل . وقد احترق أكثر

الأما كن المقدسة في المدينة مثل جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه
الرحمة وقبور الخلفاء .

وأخيرا أوفد سكان المدينة « شرف الدين الراغى » و « شهاب الدين
الزنجاني » و « الملك دل راست » إلى هولا گو وطلبوا الأمان ؛ فصدر الأمر
بالتوقف من بعد ذلك عن القتل والنهب ، لأن بغداد أصبحت ملكا لنا .
فليستقر الأهالي ، ولينصرف كل شخص إلى عمله . وبهذا وجد الأمان أولئك
الذين نجوا من السيف .

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر ، رحل هولا گو خان عن بغداد
بسبب عفونة الهواء ، ونزل بقريتي « وقف وجلابية » ، وأرسل الأمير عبد
الرحمن لفتح ولاية خوزستان ، ثم استدعى الخليفة ، فأدرك هذا أن أمارات
النحس تبدو على مصيره ، وخاف خوفا شديدا ، وقال للوزير : « ما حيلتنا » .
فأجاب الوزير : « لحيثنا طويلة » . وكان مراده من ذلك أنه عندما فكر
أول الأمر في أن ترسل أحمال وفيرة لدفع هذا البلاء ، قال الدواتدار : « لحيث
الوزير طويلة » ؛ وخال دون الأخذ بهذا الرأي ، واستمع الخليفة لكلامه ،
وأهمل تدبير الوزير .

ويئس الخليفة من إنقاذ حياته ، واستأذن في أن يذهب إلى الحمام ليجدد
اغتساله . فأمر هولا گو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول . ولكن الخليفة

قال : « أنا لا أريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية » ، وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

وأصبحنا لنا دار كجنت وفردوس وأمسينا بلا دار كأن لم نغن بالأمس

وفي مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ قضاوا على الخليفة وعلى ابنه الأكبر ، وخمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية « وقف » . وفي اليوم التالي قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذى . كذلك قضاوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلا أفرادا قلائل لم يأبهم . وقد سلم مبارك شاه الابن الأصغر للخليفة إلى « اوجاي خاتون » ، فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجه نصير الدين ، ثم زوجته من امرأة مغولية ، فأنجب منها ولدين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألحقوا الابن الثانى للخليفة ، بوالده وأخيه . وبذلك قضى على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بنى أمية . وكانت مدة خلافتهم خمسا وعشرين وخمسمائة سنة ، وعددهم سبعة وثلاثون خليفة حسب ما يأتى بالتفصيل .

السفاح ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون ، المعتصم ، الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدي ، المعتمد ، المعتضد ، المكتفي ، المقتدر ، القاهر ، الراضى ، المتقى ، المستكفي ، المطيع الطائع ، القادر ، القائم ، المقتدى ، المستظهر ، المسترشد ،

الراشد ، المقتضى ، المستنجد ، المستضىء ، الناصر ، الظاهر ، المستنصر ،
المستعصم الذى كان خليفة لفترة سبع عشرة سنة .

وفى نفس اليوم الذى قتلوا فيه الخليفة ، أرسلوا إلى المدينة مؤيد الدين بن
العلقى ليقوم بالوزارة ، وفخر الدين الدامغانى ليكون صاحب الديوان ، وجعلوا
على بهادر شحنة لها ، وعينوا المحتسبين لمراقبة المقاييس والأوزان ، ونصبوا عماد
الدين عمر القزوينى نائبا للأ مير « قراتاي » ، وهو الذى عمر مسجد الخليفة
ومشهد موسى الجواد . كذلك نُصِّب نجم الدين أبو جعفر أحمد بن عمران
الملقب براست دل (المخلص) واليا على أعمال شرقى بغداد ، مثل طريق
خراسان وخالص وبندنجين ، وأمر هولا گو بأن يكون نظام الدين عبد
المؤمن البندنجينى قاضيا للقضاة ، واختار ايلكا نويان وقرابوقا ومعهما ثلاثة
آلاف من فرسان المغول ، وبعث بهم إلى بغداد ليقوموا بالعمارة فى الحال ،
وليعملوا على استتباب الأمن .

ثم بادر كل شخص بدفن قتلاه ، وطهرت الطرق من جثث الحيوانات
النافقة ، وعمرت الأسواق . وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من صفر حضر
إلى الدرگاه شرف الدين ابن الوزير وصاحب الديوان ، لتلقى التعليمات ثم عاد .
وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين رحل هولا گو خان ، ونزل بقبة شيخ المكارم ،
ومن هناك كان يسير مرحلة بعد مرحلة إلى أن بلغ معسكراته فى خاقين .

وأثناء حصار بغداد كان قد قدم إليه بعض العلويين والفقهاء من الحلة ،

والتمسوا إليه أن يعين لهم شحنة ، فأرسل إليهم هولا گوخان بوكله والأمير
يجلى النخجوانى ، وأوفد فى أثرهما بوقاتيمور أخا اولجائى خاتون لجس نبض
أهالى الحلة والكوفة وواسط ، والوقوف على مدى إخلاصهم ، فاستقبل أهل
الحلة الجند ، وأقاموا جسرا على الفرات ، وأقاموا الأفراح ابتهاجا بقدمهم .
ولما شاهد بوقاتيمور إخلاصهم وثباتهم ، رحل فى العاشر من صفر ، وتوجه إلى
واسط فبلغها فى السابع عشر . ولكن أهلها لم يدخلوا فى الطاعة ، فأقام هناك ،
واستولى على المدينة ، وشرع فى القتل والنهب ، فقتل ما يقرب من أربعين
ألف شخص . ثم سار من هناك إلى خوزستان ، واصطحب معه شرف الدين
بن الجوزى حتى مدينة شستر . وقد فر بعض جنود الخليفة والأتراك من أتباعه ،
وقتل بعضهم . ودخلت البصرة وما حولها فى الطاعة ، والتمس الأمير سيف
الدين البيتنكچى إلى الحضرة أن يرسل مائة مغولى إلى النجف ليحافظوا على
مشهد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وعلى أهل تلك البلدة . وفى الثانى
عشر من ربيع الأول وصل بوقاتيمور إلى المعسكر .

وفى التاسع عشر من ربيع الأول أعاد هولا گوخان رسل حلب الذين
كانوا قد قدموا إلى بغداد ، وحمّلهم رسالة كتبها بالعربية الخواجه نصير الدين
الطوسى بأمر هولا گو ، وهذا نصها :

« أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فساء صباح المبذرين
فدعونا مالکها فأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلاً . وقد دعوناك إلى »

طاعتنا فإن أتيت فروح وريحان ، وإن أيت فحزى وخسران . فلا تكن كالباحث عن حشفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه فتكون من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فما ذلك على الله بعزيز والسلاام على من اتبع الهدى .

وفي يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر ربيع الآخر ، وصل هولاكو إلى « اغروق » من ضواحي همدان وسياه كوه . ثم توقف عن الرحيل ؛ إذ انحرقت صحته مدة أسبوع ، استعاد بعدها صحته . وفي السادس عشر من ربيع الآخر توفى كوكه بيتكچى ، وفي يوم الأربعاء العشرين من هذا الشهر حضر إلى الدرگاه ايلكا نويان وبعض الأمراء ، وفي يوم الخميس الثانى من جمادى الآخرة توفى مؤيد الدين وزير بغداد ، وعين ابنه شرف الدين فى مكانه .

سقوط مدينة إربل على يد أرقيو نويان

ومحاصرته قلعتها

في الوقت الذي عزم هولاكو خان على فتح بغداد ، عهد إلى أرقيو نويان بفتح قلعة « إربل » . وتلك قلعة حصينة شيدت على مرتفع ، وليس لها نظير في الربع المسكون . وعند ما شرع أرقيو نويان في محاصرتها ، بادر شجعان القلعة بالحرب . وقد قدم صاحب تاج الدين بن صلاحية الأربلي فروض الطاعة ، وقام بخدمات جليلة ، ولكن أرقيو نويان قال له : « إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة » . فذهب تاج الدين إلى باب القلعة ، فلم يسمح له حشود الأكراد بالدخول ، وعاد مضطرا بعد كثير من الضغط والإلحاح . ثم قدم إلى أرقيو ، فأرسله بدوره إلى حضرة هولاكو خان . وعند محاكمته ثبت جرمه ، واستشهد . وقد ظل أرقيو يحاصر القلعة مدة ، ولكن لم يخضع أهلها على هذا النحو المطلوب ، فطالب المدد من السلطان بدر الدين ، فأرسل عددا من الجنود . وذات ليلة نزل أهل القلعة ، وشنوا غارة ليلية على المغول ، وقتلوا كل من وجدوه ، وأشعلوا النار في المجانيق وأحرقوها ثم عادوا إلى القلعة .

فلما عجز أرقيو استدعى بدر الدين لؤلؤ وتشاور معه . فقال له بدر الدين لؤلؤ : « التدبير هو أن تدع هذا العمل حتى الصيف ؛ لأن الأكراد

يفرون من الحر ، ويلجأون إلى الجبال . أما الآن فالجو معتدل ، وعندهم ذخائر وافرة ، والقلعة غاية في الإحكام فلا يتيسر فتحها إلا بالحيلة والتدبير » . وأخيرا سلمها أرقيو إلى السلطان بدر الدين فهدم أسوارها . وبهذه الطريقة سقطت القلعة أيضا ، وسار أرقيو إلى الشام والسلام .

« نقل أموال بغداد وقلاع الملاحدة إلى ناحية آذربيجان ، وخبزها

في قلعة جبل على ساحل بحيرة سلماس ، وقدم بدر الدين لؤلؤ

وعز الدين سلطان الروم لتقديم الطاعة »

أرسل هولاكو خان الخزائن والأموال الوفرة التي أتت بها من بغداد إلى آذربيجان، على يد الملك ناصر الدين بن علاء الدين صاحب الري، وكذلك كل ما غنمه من قلاع الملاحدة والروم والكرج والأرمين واللور والأكراد . وقد كلف الملك مجد الدين التبريزي ببناء عمارة عالية شديدة الإحكام، على جبل يقع على ساحل بحيرة أورمى وسلماس . ثم صهر الكنوز جميعاً ، وجعلها سبائك ووضعها هناك ، وأرسل بعضاً من تلك التحف والأموال إلى حضرة القآن مع بشارات الفتح والظفر ، وأخبره بما كان من تسخير بلاد إيران ، وعزيمته على التوجه إلى ديار مصر والشام . وكان الأمير هولاكو قد ذهب لإبلاغ تلك الرسالة ، فسر القآن بهذه البشري سروراً شديداً .

وفي تلك السنة توجه بدر الدين لؤلؤ إلى الحضرة ببناء على أمر هولاكو خان ، فجاء على عجل ، ووصل إلى الدرگاه في ضواحي مراغه في التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ ، وكان قد جاوز التسعين ،

فشمله هولا گوخان بالإعزاز والتكريم الوافرين ، ثم أعاده في السادس من شعبان من تلك السنة . كذلك جاء إلى الحضرة الأتابك سعد بن أبي بكر أتابك فارس في السابع من شعبان المذكور للتهنئة بفتح بغداد ، فحظى بالعناية الخاصة ، وحضر أيضاً السلطان عز الدين صاحب الروم في الرابع من ذلك الشهر في مونيقي من ضواحي تبريز ، ثم جاء في إثره السلطان ركن الدين في يوم الأربعاء الثامن من ذلك الشهر . وكان هولا گوخان ممتعضاً من السلطان عز الدين بسبب عدم اعنائه ببايجو نويان وقتاله إياه . فلما فتحت بغداد ، خاف السلطان عز الدين خوفاً شديداً ، وأراد أن يبحث له عن مخرج من ورطة هذا الذنب معتمداً على دقائق الحيل لكي ينقذ نفسه ، فأمر بصنع حذاء ملكي في غاية الجودة ، ونقشت صورته على نعل ذلك الحذاء ، ثم قدمه للملك أثناء معاتبته إياه . وعندما وقع نظر هولا گو على تلك الصورة ، قبل عز الدين الأرض وقال : « إن أُملي هو أن يُشرفَ الملك رأس هذا العبد بوضع قدمه المباركة عليها » . فرّق له هولا گوخان ، ورفعت دوقوز خاتون من قدره ، وتشفعت له ، فعفا عنه .

وفي تلك الأثناء ذكر الخواجه نصير الدين الطوسي أن السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، وصل إلى تبريز على أثر هزيمة من المغول وظفرهم به ، وكان جنوده يعتدون على الرعايا . فلما عرضوا عليه ذلك الأمر قال : « إننا في هذا الوقت

غزاة فاتحون للبلاد ولسنا مدبرين لشئونها ، ولا يشترط عند الغزو مراعاة شئون
الرعية ؛ فإذا ماصرنا حكما فإننا سوف نغيث الملهوفين « . . . أما
هولا گو خان فقد قال : « إنا بحمد الله فاتحون للبلاد ومدبرون لشئونها . نغزو
الطغاة ، ونرعى شئون المطيعين ، ولسنا مثل جلال الدين – مبتلين بالعجز
والضعف » .

قصة مولانا السعيد سلطان الحكماء الخواجه

نصير الملة والدين ، و بناء المرصد في مدينة

مراغة بأمر هولا گون خان

وفي التاريخ المذكور صدر الأمر بأن ينشئ مولانا الأعظم السعيد أستاذ البشر ، سلطان الحكماء ، الخواجه نصير الدين الطوسي - تغمده الله بغفرانه - مرصدا للكواكب في الموضع الذي يراه مناسبا ، فاختار مدينة مراغة لهذا الغرض ، وشيد مرصدا مرتفعا . وكان السبب في إقامة هذا المرصد ، هو أن منگوقاآن كان من بين ملوك المغول يمتاز بكمال العقل والكياسة ، وذكاء الذهن والفراسة بحيث كان يستطيع أن يحل بعض أشكال إقليدس ، فاقضى رأيه السديد وهمته العالية أن يشيد مرصد في عهده المبارك ، وأمر بأن يقوم بهذه المهمة جمال الدين محمد بن طاهر بن محمد الزيدى البخارى . ولكن اشتبهت عليه بعض الأعمال المتعلقة بهذا المرصد ، وكان صيت الفضائل الخواجه نصير الدين ذائعا في كل مكان كأنه الريح الدائرة في العالم .

فلما أن كان منگويودع أخاه ، كلفه بأن يرسل إليه الخواجه نصير الدين بعد أن يستولى على قلاع الملاحدة . ولكن لما كان منگوقاآن مشغولا في ذلك الوقت بفتح ممالك « منزى » ، و بعيدا عن حاضرة ملكه ، فقد أمر

هولا گوخان بأن يشيد المرصد أيضا في هذا المكان (أى إيران) ؛ ذلك لأنه كان قد اطلع على حسن سيدة نصير الدين ، وصدق سريرته ، فكان يريد أن يظل ملازما له . وقد أنشئ المرصد الإيلخاني بعد مضي سبع سنوات من جلوس هولا گوخان على العرش الخاني ، وكان ذلك بمشاركة الحكماء الأربعة مؤيد الدين العرضي وفخر الدين المراغي وفخر الدين الأخلاطي ونجم الدين دزبان القزويني والسلام .

توجه هولاء كوخان إلى ديار الشام والاستيلاء

على حلب ومدن الشام الأخرى

كان سلطان حلب قد أرسل وزيره الصاحب زين الدين الحافظي بتحف وهدايا ملكية إلى حضرة القاآن ، فعرف في الدرگاه واشتهر ؛ وصدر له فرمان وبايزه . ولما حل هولاء كوخان ببلاد ايران ، كان سلطان حلب أحيانا - يظهر الطاعة والميل إليه في الخفاء ؛ فاتهم لهذا السبب عند سلاطين الشام ، وقصدوه فهرب ، والتجأ إلى حضرة هولاء كوخان ، فقوى ذلك من عزمه على فتح حلب . فأرسل في بادئ الأمر الرسل إلى بدر الدين لؤلؤ وقال له : « إن سنك قد جاوزت التسعين ولذلك أعفيناك من السير معنا . ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك صالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر » . فسير بدر الدين ابنه حسب الأوامر الصادرة إليه . ولما وصل الملك صالح إلى حضرة هولاء كوخان ، منحه ابنة السلطان جلال الدين خوارزمشاه ليتزوج منها .

ثم أوفد كيتوبوقا نويان في المقدمة مع جيش كامل ، وجعل سكتنقور وبايجو على الليمنة ، والأمراء الآخرين على الميسرة . وتوجه بنفسه في القلب إلى ديار الشام ، في يوم الجمعة الثاني والعشرين من رمضان سنة ٦٥٧ / ١٢٥٩

بطالع نجم العقرب . فلما وصل إلى « آلاتاغ » أعجبه مراعيها ، وسماها « لبنا ساغوت » . ثم دخل خلاط وجبال هكار (حكار) التي كانت مقرا ومفرا^١ للأكراد الضالين ، فقتل المغول كل شخص وجدوه منهم .

وعندما بلغ ديار بكر ، فتح أولا « الجزيرة » ، وعين ابنه يشموت بصحبة سوتاي نويان لمحاصرة حصن ميافارقين ، وأرسل الملك الصالح بجيش لفتح آمد ، وتوجه بنفسه إلى « روحه » واستولى عليها ، ومنها سار إلى دُنيسر ونصيبين وحران ، وفتحها عنوة . ولقد قتل المغول ونهبوا ، وعبروا الفرات ، وفجأة حاصروا حاب . ولكن أهلها أبوا الخضوع والتسليم معتمدين على متانة قلعتهن ، وأقدموا على القتال .

وكان أرقيو نويان على بوابة اليهود ، وكيثوبوقا نويان على باب الروم ، وسونجاق على باب دمشق ، ونزل هولاكوخان على باب الانطاكية . ثم شيدوا الأسوار حول المدينة ، وأقاموا المجانيق ، واشتبك الطرفان في قتال عنيف مدة أسبوع . وأخيرا فتحت المدينة من ناحية باب العراق في ذى الحجة سنة ٦٥٧ / ١٢٥٩ . وأباح المغول القتل والسلب سبعة أيام ، وقتل خلق كثير . ولكنهم استمروا يحاربون أهل القلعة مدة أربعين يوما ، فكانت المجانيق والسهم تتقاطر من الجانبين ، وجرح الأمير قورجيان واوجو سوكورجى . وصادق قورجى الذين كانوا من قواد الجيش - في عدة مواضع من أجسامهم وخاصة وجوههم فكان الملك يعطف عليهم ويشجعهم قائلا : « كما أن اللون

الأحمر يكون زينة النساء ، فكذلك للرجال تكون الدماء الحمراء على وجوههم ولحاهم زينة لهم . »

وقد سقطت القلعة آخر الأمر ، وأسر المغول كثيرا من أرباب الحرف ، واستولوا على غنائم لاحصر لها . ثم شغلوا مدة بمحاصرة قلعة حارم ، وأخيرا طلب أهلها الأمان لكنهم اشترطوا أن يقسم لهم فخر الدين المعروف بالساقى على الأمان لكي ينزلوا ، ثم سلموا بناء على عهده وأيمانه ، فكان أن غضب عليهم هولاء گوخان غضبا شديدا ، وأمر بأن يقتلوا دفعة واحدة مع نساءهم وأطفالهم . ولم ينج منهم إلا صائغ أرمنى . ولما استولى المغول على قلعة حلب ، سلمها هولاء گوخان إلى فخر الدين الساقى ، وأسند شحنتها إلى توكال بخشى . وبعد أن غادر حلب ، قدم أهلها إليه الشكاوى من فخر الدين ، فصدر الأمر بقتله ، وعهد بحكومة حلب إلى زين الحافظى .

ولما أحس أهالى دمشق بالأهوال التى ارتكبها جيش المغول ، وعرفوا أن جميع أطراف الشام ونواحيها قد دخلت فى حوزة هولاء گوخان ، قصد جمع من أكابرها وأعيانها إلى حضرة هولاء گو ، ومعهم أنواع التحف والمهدايا ومفاتيح بوابات المدينة ، وأظهروا الطاعة والخضوع ، وسلموا المدينة . فأمر هولاء گوخان بأن يذهب كيتوبوقا إلى دمشق لاختبار أهلها ، فاستقبله أهل المدينة وطلبوا الأمان . ثم أرسل كيتوبوقا أشرافهم وأعيانهم إلى حضرة هولاء گوخان ؛ فرق لهم ، وأشفق عليهم ، وأجاب ملتمساتهم . وهكذا دخل

المغول المدينة بلا حصار ولا قتال . وولى هولاكو خان عليها جماعة من المغول مع ثلاثة من معاونين العرب هم علاء الدين الجاشي وجمال الدين القرقاي القزويني والقاضي شمس الدين القوي فكانوا يصرفون الأمور في مملكة دمشق .

وقصارى القول أنه خلال مدة وجيزة تم الاستيلاء على بغداد وديار بكر وديار ربيعة والشام بأسرها ، ودخلت في حوزة نواب هولاكو ، وفتحت ممالك الروم .

وفي ذلك الوقت قدم الرسل من ناحية المشرق ، وكان في طليعتهم « سنكتور نويان » الذي كان قد أقبل على عجل ، وأبلغ نعي منكوقا آن ، فامتعض هولاكو خان وتألم كثيرا ، ولكنه لم يظهر ذلك ، وترك كيتوبوقا نويان للمحافظة على الشام وغادر حلب . وفي يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ بلغ أخلاط .

ولما كان الملك ناصر الدين سلطان حلب والشام قد فر إبان وصول هولاكو خان إلى حلب ، ولجأ إلى قلعة كرك ، فقد أراد كيتوبوقا أن يحاصره ، فطالب الأمان وسلم نفسه ، فأرسله كيتوبوقا إلى الحضرة ، فوعده الملك قائلًا : « عندما أستولى على مصر ، سأفوض إليك حكومة الشام » .

وفي سنة پيچين (القرد) الموافقة سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ قضى جماعة من
كبار الأمراء نجبهم كان من بينهم قورجى كوركاز ، بوقاتييمور ، قوماى
نويان ، أركاى نويان ، پياچيتاى نويان ، برونك باى نويان ، سالجنداي
نويان . وكان هولاء حولا حولا خان منغص العيش بسبب وفاة منغوقاآن وبسبب
المتاعب التى أثارها أريق بوكا .

توجه كيتوبوقا نويان إلى مصر ومحاربتة

جيشها ثم قتله

في الوقت الذي انصرف فيه هولا گو من الشام ، أرسل رسولا مغوليا
وبصحبتة أربعون من الأتباع إلى سلطان مصر يقول :

« إن الله تعالى قد رفع شأن چنگيز خان وأسرته ، ومنحنا ممالك
الأرض برمتها ، وكل من يتمرد علينا ، ويعصى أمرنا ، يقضى عليه مع نسائه
وأبنائه وأقاربه والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسماع الجميع .
أما صيت جيشنا الذي لا حصر له ؛ فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار .
فإذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا فأرسل إلينا الجزية ، وأقدم بنفسك ،
واطلب الشحنة ، وإلا فكن مستعدا للقتال » .

وفي ذلك الوقت لم يكن قد بقي من سلالة آل كامل (الأيوبيين)
أحد جدير بالملك . وكان الحاكم رجلا من التركمان . فلما توفي ترك بعده طفلا
صغيرا اسمه محمد ، فأجلسوه على العرش في مكان أبيه . وكان قطز أتابكا له .
وفجأة توفي محمد ، وصار قطز ساطانا لمصر ؛ فاجتذب قلوب الناس
بالعدل والإحسان .

وكان أكثر جيوش الشام ومصر من بقايا التركمان والمنهزمين من جيش

السلطان جلال الدين خوارزمشاه ممن هزموا على باب أخلاط فساروا نحو الشام . وكان في مقدمة أمرائهم بركت خان والملك اختيار الدين خان ابن مكريل والملك سيف الدين صادق خان بن نيكوبوقا والسلطان ناصر الدين كشلو خان بن ايل ارسلان وأطلس خان وناصر الدين قيمرى . وحينما عزم هولاء على السير إلى الشام تواروا في شتى الأطراف ، ولكنهم عادوا فتجمعوا بعد عودته ، واتجهوا إلى الحضرة في مصر والقاهرة ، وشرحوا لقطز قصة غصتهم ، فطيب خاطرهم ، وعطف عليهم ، ومنحهم أموالا طائلة ، فاتفق جملة على أحقيته في التملك والسيطرة .

ولما وصل رسل هولاء إلى خان ، أحضر قطز هؤلاء الأمراء ، واستشارهم في الأمر وقال :

« لقد توجه هولاء إلى إيران بجيش جرار ، ولم يكن لأى مخلوق من الخلفاء والسلطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء إلى دمشق . ولو لم يبلغه نعى أخيه ، لألحق مصر بالبلاد الأخرى ، ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي كيتوبوقا نويان الذى هو كالأسد المصور ، والتنين القوى فى الكمين . وإذا قصد مصر ، فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته . فيجب تدبير الأمر قبل فوات الفرصة » .

فقال ناصر الدين قيمرى :

« إن هولاء خان فضلا عن أنه حفيد چنگيزخان وابن تولوى وأخو

منكوكا آن ، فإن شهرته وهيبته في غنى عن الشرح والبيان ، وإن البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى باب مصر كلها في قبضته الآن . وقد اختص بالتأييد السماوى . فلو ذهبنا إليه لطلب الأمان فليس في ذلك عيب وعار . ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل . إنه ليس بالإنسان الذى يطمأن إليه ، فهو لا يتورع عن احتزاز الرؤوس ؛ وهو لا يفي بعهده وميثاقه ، فإنه قتل فجأة خورشاه والخليفة وحسام الدين عكه ، وصاحب إربل بعد أن أعطاهم العهد والميثاق . فإذا ماسرنا إليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل . »

فقال قطز : « والحالة هذه ، فإن كافة بلاد ديار بكر ووربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقضى على جميع ما فيها من حرث ونسل فحلت من الأزواج والأبقار والبذور . فلو أننا تقدمنا لقتالهم ، وقفنا بمقاومتهم ، فسوف تخرب مصر خراباً تاماً كغيرها من البلاد . وينبغى أن نختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا واحداً من ثلاثة : الصالح أو القتال أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفراً إلا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة . » فأجاب ناصر الدين قيمرى : « وليس هناك مصلحة أيضاً في مصالحتهم إذ أنه لا يوثق بعهودهم . » وقال أيضاً بقية الأمراء : « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رأيك . عندئذ قال قطز :

« إن رأى عندى هو أن نتوجه جميعاً إلى القتال . فإذا ظفرنا فهو المراد ، وإلا فلن نكون ملومين أمام الخلق » .

فاتفق الأمراء بعد ذلك ثم اختلى قطز بالبندقدار الذى كان أميراً للأمراء وشاوره فى الأمر ، فقال البندقدار :

« إني أرى أن نقتل الرسل ، ونقصد كيتو بوقا متضامنين . فإن انتصرنا أو هزمنا فسوف نكون فى كلتا الحالتين معذورين » .

فاستصوب قطز هذا الكلام ، وأمر بصلب رسل المغول بالليل . وفى الصباح وطدوا العزم على الحرب بحكم الضرورة ، وتأهبوا للقتال ، ثم مضوا فى طريقهم .

فأرسل الأمير بايدر الذى كان فى طليعة جيش المغول بغزة إلى كيتو بوقا بالقرب من بعلبك ، يخبره بتحريك جيش مصر . فرد عليه كيتو بوقا قائلاً :

« قف مكانك وانتظر » . ولكن قطز داهم بايدر قبل وصول كيتو بوقا وطارده حتى نهر العاصى .

فصار كيتو بوقا كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وأقبل معتمداً - إلى أقصى حد - على قوته وسطوته . وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، وأعدّه خير إعداد . ثم ركب هو بنفسه ، وثبت مع نفر قليل من الجند ، وقابل كيتو بوقا مع عدة آلاف من الفرسان كلهم من أهل الحرب والمراس - فى « عين جالوت » ، فقذف المغول سهامهم وحملوا على المصريين ، فتراجع قطز ، ولحقت بجنوده الهزيمة .

وهنا تشجع المغول وتعقبوه ، وقتلوا كثيراً من المصريين ، ولكن عند ما بلغوا الكمين ، انشق عليهم من ثلاث جهات ، وأغار المصريون على جنود المغول ، وقتلوه قتيلاً مستميتاً من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ، ولحقت به الهزيمة آخر الأمر .

وكان كيتو بوقا يضرب يميناً وشمالاً غيرة وحمية ، وكان يكر على أعدائه ، فرغبه جماعة من أتباعه في الهرب ، ولكنه لم يستمع لهم وقال :

« لا مفر من الموت هنا ، فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان . وسيصل رجل واحد ، صغيراً أو كبيراً ، من أفراد هذا الجيش إلى حضرة الملك ويعرض عليه كلامي قائلاً : إن كيتو بوقا لم يشأ أن يتراجع وقد كلفه الحبل فضحي بحياته الغالية في سبيل واجبه . ينبغي ألا يشق على الخاطر المبارك نبأ فناء جيش المغول ، وليتصور الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاماً واحداً ، وأن جياد قطعانه لم تلد المهور . فليدم إقبال الملك . ومادامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة ، فإنها تكون عوضاً لكل مفقود ، إذ أن وجودنا وعدمنا نحن العبيد والأتباع أمر سهل يسير » .

ورغم أن جنوده تركوه وحده . فقد ظل يكافح ألف رجل إلى أن كبابه جواده في نهاية الأمر فأسر . وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاخترق فيها فوج من فرسان المغول ، فأمر قطز جنوده بأن يضربوا فيها النار ، وأحرقوهم جميعاً .

بعد ذلك حمل كيتوبوقا مكبلا إلى قطز فقال له :

« أيها الرجل الناكث العهد . . هأنت - بعد أن سفكت كثيرا من
الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت
البيوتات العريقة - بالأقوال الزائفة المزورة - قد وقعت أخيرا في الشرك » :

شعر :

« - وعندما سمع كلامه وهو مكبل اليدين ،
انتفض كأنه الفيل الهائج الثمل .
فأجاب قائلا : « أيها الفخور المغتر ،
لا تنباه - كثيرا بيوم النصر هذا -

« فأنا إذا قتلت على يدك فإنني أعلم أن ذلك من الله لا منك . فلا تخدع
بهذه المصادفة العاجلة ، ولا بهذا الغرور العابر ، فإنه حين يبلغ حضرة
هولا گوخان نبأ وفاتي ؛ سوف يغلي بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول
البلاذ من آذربيجان حتى ديار مصر ، وستحمل رمال مصر في محال خيولهم
إلى هناك . إن لهولا گوخان ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا . فافرض أنه
نقص واحد منهم » .

فقال له قطز :

« لا تفخر إلى هذا الحد بفرسان توران ؛ فإنهم يزاولون أعمالهم بالمكر
والخداع لا بالرجولة والشهامة مثل رستم بن داستان » .

فرد عليه كيتوبوقا .

« إنتى كنت عبدا للملك ماحيت ، ولست مثلك ما كرا وغادرا
وقائلا لمولاد :

شعر :

— « فلا كان رأس ، ولا كان جسد للشرير ،

الذى يقتل مليكه » .

« بادر بالقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك » .

فأمر قطز بقتله ففصلوا رأسه عن جسده ، وطارد المصريون المغول فى جميع
أنحاء الشام حتى شاطئ النهر (الفرات) ، ثم نهبوا معسكر كيتوبوقا ، وأسروا
النساء والأطفال والأتباع ، وقتلوا العمال وحكام الولايات ماعدا عمال دمشق
الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالخبر فى تلك الليلة .

ولما باغ هولاء كوخان نبأ نعى كيتوبوقا ، وعلم بحديثه فى ذلك الموقف ،
أسف أسفا شديدا على وفاته ، واشتعلت نيران غضبه وقال :

« أين أجد خادما آخر مثله يبدى مثل هذه النوايا الطيبة ، ومثل هذه
العبودية ساعة هلاكه . . . » . وقد شمل بعطفه من بقى من عقبه ،
وأعزهم وأكرمهم .

وقبل ذلك بيوم واحد كان هولاء كوخان قد أحاط الملك الناصر برعايته ،
وفوض إليه حكومة دمشق ، وسيره فى ثلاثمائة فارس شامى . ولكن بعد

أن وصله نبأ وفاة كيتوبوقا ، قال له رجل شامى : « إن الملك ناصر الدين ليس مخلصا لك . وقد أراد أن يفر إلى الشام لإمداد قطز الذى هزم كيتوبوقا بتدبيره » . فسير هولاكو خان ثلثمائة فارس مغولى فى إثره ليتعقبوه . فلحقته به طلائعهم ، وأنزلوه من جواده قائلين : « إن لدينا أمرا يقضى بأن نحتفل بك كى تحظى بالعناية التامة » . ثم جعلوه ثملا ذاهلا جريا على عادة المغول . وفجأة وصل بقية الفرسان الثلثمائة ، وأهلكوا الملك الناصر مع ثلثمائة رجل شامى . وباستثناء مجد الدين المغربى الذى نجا بحجة اشتغاله بالتنجيم - لم يتركوا أى مخلوق آخر حيا . ولما سمع ايلكانويان بوصولهم ، اتجه إلى بلاد الروم مع المغول الذين كانوا قد بقوا فى بلاد الشام . وفى دمشق ضربت السكة وقرئت الخطبة باسم البندقدار .

وقد أراد هولاكو خان أن يرسل الجنود مرة ثانية إلى الشام ومصر ؛ لينتقم لمقتل كيتوبوقا ، ولكن لم تكن الظروف فى ذلك الوقت تسمح بذلك ؛ بسبب وفاة منكوقاآن ، وبسبب الخلاف الذى ظهر بينه وبين أقاربه . ولهذا عدل عن هذه الفكرة .

وفى ذلك التاريخ أيضا ، مات فجأة الأمير بلغا بن شيبان بن جوجى أثناء الاحتفال . ثم اتهم توتار اوغول بتهمة السحر وتغير النية ؛ فأرسله هولاكو بعد ثبوت جرمه فى صحبة سونجاق - إلى خدمة بركاى ، وعرض عليه جرمه ؛

فأعاده بركاى إلى هولاء عملا بأحكام قانون چنگيزخان ، ثم قضى عليه فى السابع عشر من صفر سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ ، كما قتل صدر الدين الساوجى بحجة أنه كان قد كتب تعويذة من أجل توتار . ثم مات قولى أيضا . وبعد أن هلك الأمراء المذكورون هرب أتباعهم ، وساروا إلى ولاية القبچاق عن طريق دربند وبحر جيلان .

توجه الأمراء يشموت وايلكا نويان وسونتاي
إلى ديار بكر ، وفتح ميفارقين ، وقتل الملك الكامل

كان الأمراء يشموت وايلكا نويان وسونتاي قد ساروا بأمر
هولاكو خان ، فلما بلغوا حدود ميفارقين أرسلوا رسولا إلى الملك الكامل ،
ودعوه إلى الطاعة والخضوع . فأجاب الملك الكامل :

« ينبغي ألا يضرب الأمير في حديد بارد ، ولا يتوقع الشيء المستحيل ،
إذ لا يوثق بوعدكم . وإنتي لن أنخدع بكلامكم المعسول ، ولن أخشى جيش
المغول ، وسأضرب بالسيف مادمت حيا . إذ كيف أثق بآبن رجل نكث
العهد والميثاق مع خورشاه والخليفة وحسام الدين عكه وتاج الدين أربل . وقد
جاء الملك الناصر الدين خصيصا بأمانكم فرأى في نهاية الأمر مارأى .
وسوف أرى أنا أيضا ماسبق أن رأوه » .

فلما بلغ الرسل الرسالة ، اتفق الأمراء على القتال . وقد طيب الملك الكامل
قلوب سكان المدينة وقال :

« سوف لا أبخل عليكم بالذهب والفضة والغلال الموجودة في المخازن ،
وسأؤثر بها كلها المحتاجين . فإني بحمد الله لست كالمستعصم - عبداً للدينار

والدرهم ، الذى طوح برأسه وبملك بغداد بسبب بخله وشحه » . فأتحد معه سكان المدينة كلهم .

وفى اليوم التالى خرج الملك الكامل مع كوكبة من الفرسان ، وكر وفر على العدو ، فقتل عدد من الجانبين .. وكان مع الملك الكامل فارسان مغواران : أحدهما سيف الدين لوكبلى والآخر عنبر الحبشى ، فقتلا عدة أشخاص . ثم ذهبوا بعد مدة إلى المدينة ، وبدأوا القتال من الأبراج . وفى اليوم التالى خرج هذان الفارسان ، وقتلا ما يقرب من عشرة فرسان شجعان ، وكذلك فعلا هذا فى اليوم الثالث .

وفى اليوم الرابع تصدى لهما من بجانب المغول « ناورى الكرجى » الذى كان يهزم جيشا بمفرده فخار بهما برهة ثم قتل . ولقته :

« هاج فرسان الأتراك ،

وكانوا يضربون كفا على كف بدافع الانتقام »

ثم دخل الفارسان المدينة مرة أخرى ، وكان هناك منجنيق فى غاية الإحكام ودقة الرمى فأقاماه ، فكان يهلك بجارته أناسا كثيرين . وهكذا عجز الأمراء عن إخضاعهما .

وكان لبدر الدين لؤلؤ منجنيق^١ ماهر جدا فأحضره ، وأقام منجنيقا مرتفعا فى مواجهة منجنيق المدينة . وأخذ كلاهما يطلق الحجارة من كفته فى وقت واحد ، فكان الحجران يصطدمان ببعضهما فى الهواء فيتفتتان . وقد

أعجب خلق كثير من الجانبين لمهارة المنجنيقين . وفي النهاية أحرق المنجنيق الخارجي ، وكان سكان المدينة يقاتلون بعنف .

فلما اطلع هولاء على تلك الحالة ، أرسل أرقطو على رأس جيش لمساعدة إيلكانويان . وكانت رسالته تقضى بأن يثبتوا في مكانهم حتى لا يبقى في المدينة علف . وما كاد أرقطو يبلغ الرسالة ، حتى خرج الفارسان كلاهما أثناء الحديث ، وشتتا جنود المغول ، فتناول أرقطو الشراب حتى ثمل ، وتوجه إلى القتال ، والتحم الطرفان معا . وفجأة وصل الفارسان إلى إيلكا ، وألقياه عن صهوة جواده . فأقبل فرسان المغول من كل جانب ، وأركبوا إيلكا جواده . وسرة أخرى أهلك الفارسان خلقا كثيرا ثم عادا .

« فتعجب الأتراك من البطلين ،

وعض كل شجاع شفته حقداً وغيظا » .

بعد ذلك ظل الفارسان يخرجان كل يوم كالمعتاد ، ويقتلان عدة أشخاص ، ويخرجان آخرين حتى مضى عام بأكمله ، ولم يبق في المدينة قوت ولا غذاء ، وهلك الدواب كذلك ؛ فبدأ الناس يأكلون الميتة ، وأكلوا حتى الكلاب والقطط والفيران . ثم صاروا يأكلون الأدميين ، فكان كل منهم يأكل الآخر كالأسماك .

ولما لم يبق لدى الفارسين تبين وشعير قتلا جواذيهما وأكلاهما ، وأرادا أن يخرجوا مشاة ويقاتلا حتى يقتلا . ولكن الملك الكامل لم يسمح لهما بذلك .
(٢١ - جامع التواريخ)

وقد كتب الأفراد الباقيون رسالة إلى الأمير يقولون فيها : « إنه لم يبق في المدينة أحد له طاقة وقدرة ؛ ما عدا عدة أفراد هم أحياء بأرواحهم أموات بأجسادهم ، وصار الأب يأكل ابنه ، والأم تأكل ولدها . فلو أقبل الآن جيش فايس ، هناك مخلوق يستطيع مواجهته » .

ثم أرسل الأمير « يشموت أركتو » . فلما دخل المدينة مع جنوده ، وجدوا جميع سكانها موتى ، وسقطت جثثهم بعضها فوق بعض ما عدا سبعين شخصاً نصف أحياء كانوا قد اختفوا في المنازل ؛ فقبضوا على الملك الكامل وأخيه ، وجاءوا به إلى يشموت ، وشغل الجيش بالسلب والنهب . أما الفارسان المغواران ، فقد صعدا فوق سطح منزل ، وكانا يقتلان بسهامهما كل تركي يمر أمامهما ، فوصل أركتو إلى هناك ، وكلف نفراً من الأتراك الشجعان بأن يقضوا عليهم . عندئذ نزل الفارسان من السطح ، وتقنعا بالدروع ، وكانا يقتلان بعنف ولكنهما قتلا في نهاية الأمر .

ثم حمل الملك إلى الحضرة في تل باشر على الضفة الأخرى من الفرات . . وكان قد رحل قبل ذلك إلى حضرة القآن ، ونال الرعاية ، وعاد بالفرمان والپايزه : وعند ما قصد هولا گوخان بغداد بعد ذلك ، ذهب الكامل إلى الشام لمقابلة الملك الناصروقال له : « إن المصاحبة تقضى بأن نذهب بجيش جرار لمدد الخليفة » . ولكن الناصر تغافل . فخاف الكامل بعد فتح بغداد ، وتمرد على هولا گوخان مدة عامين على النحو المذكور .

وعندما أسر واقتيد إلى الحضرة ، أخذ هولا گوخان يعد عليه جرائمه ،
وقال له : « ألم يعطف عليك أنخى ، ويشملك برعايته ، ومنحك فرماًنا أنت
وأهلك وأتباعك فهل يكون جزاؤه العصيان » ثم أمر بتقطيعه إرباً
إرباً ، كانوا يضعونها في فمه حتى هلك في سنة ٦٥٧/١٢٥٩ . وكان رجلاً
زاهداً عابداً ، يعيش من أجر الحياكة .

توجه الأمير يشموت إلى ماردین

والاستيلاء على قلعتها

بعد أن فرغ الأمير يشموت والأمراء الآخرون من إنهاء الأمر في
ميفارقين ، أشار عليهم هولا گوخان بأن يسيروا متفقين لفتح ماردین حسب
ما استقر عليه الرأي . وعند محاصرتها تعجبوا من ارتفاع قلعتها واستحكامها .
فأرسل أرقطو نويان إلى الملك السعيد صاحب قلعة ماردین يقول له : « اهبط
من القلعة ، وقدم الطاعة والولاء لملك العالم ، ليبقى لك رأسك ومالك ونساؤك
وأبناؤك .

« مهما تكن قلعتك محكمة مرتفعة ،

فلا تغتر بأبراجها وارتفاعها »

ولو بلغت رأسك السماء ، فإنها ستصير تراباً تحت أقدام جيش المغول ،
فإن كان الإقبال والسعادة حليفين لك ؛ فعليك أن تستمع لنصحي وتعمل
بموجبه . أما إذا لم تستمع وخالفت أوامري ، فالله المتعال أعلم بما يحدث .

فأرسل الملك السعيد يقول : « كنت قد عزمت على الطاعة والحضور
إلى الملك ، ولكن حيث إنكم قد عاهدتم الآخرين ، ثم قتلتموهم بعد أن

اطمأنوا إلى عهدكم وأمانكم ، فإنى الآن لا أثق بكم . وإن القلعة — بحمد الله تعالى مشحونة بالذخائر والأسلحة ، ومائة رجال الترك وشجعان الكرد .

فأمر أركتو بنصب المجانيق ، وواصلوا القتال بضرب الحجارة ورمى السهام ، واستمرت الحرب على أشدها بين الجانبين مدة ثمانية أشهر . وكان الملك السعيد مغروراً بمناعة القلعة . ولما عجز المغول عن الاستيلاء عليها ؛ أغاروا على مدن ماردين ودينيسر وأرزن القريبة منها .

وأخيراً ظهر العلاء والقحط والوباء في القلعة . فكان يموت في كل يوم خلق كثير ، ومرض الملك السعيد ، وكان له ولدان : أكبرهما مظفر الدين ، وهو شاب عاقل كان يقول لوالده : « من المصلحة النزول من القلعة ، إذ ليس في الإمكان مقاومة هذا الجيش » . فلم يصغ إليه والده ، فسقى الابن أباه دواء ساماً أثناء الحديث فمات .

ثم أرسل الابن إلى أركتو يقول : « لقد مات من كان يخالفكم . فلو صدر الأمر بتوقف الجيش عن القتال ، فإنى أنزل وأسلم القلعة . فأمر أركتو بالكف عن القتال ، ونزل مظفر الدين مع أخيه وأتباعه . فطالبه الملك بدم أبيه قائلاً : « هل يجيز أحد قط أن ابناً يقتل أباه ... » فأجاب : « إنما فعلت ذلك ، لأنى كلما تضرعت إليه ، وبكيت أمامه لكيلا يفرط في القلعة وفي دماء الناس لم يستجب لى ، فأقدمت على هذا العمل الخاص من أجل المصلحة

العامة ، لأننى عرفت أن القلعة ستفتح بإقبال الملك ، وأنه سوف يُقتل عدة آلاف من الأبرياء . فالحقيقة أن التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف ، خصوصاً وأنه كان ظالماً معتدياً . وقد قتل ابنه والناس غير راضين عنه ، وأنا العبد معترف بذنبى . فلو منحنى الملك مقام أبى ، فإن له ما يشاء .

فعفا عنه هولا گوخان ، وسلمه مملكة ماردين ، فظل سلطاناً عليها حتى سنة ٦٩٥/١٢٩٥-٩٦ ، ولم يسلك طريق البغى والعصيان أبداً ضد ملوك المغول . وبعد وفاته قام مقامه ابنه شمس الدين داوود ، ولما مات هذا حل محله نجله نجم الدين الملقب بالملك المنصور ، وهو ملك كامل عاقل وذو كياسة . كان مخلصاً لغازان خان إلى حد كبير فمنحه التاج والمظلة الملكية ، وجعله من خواص أقرانه ، وفوض إليه الملك فى كل ديار بكر وديار ريعة .

وفاة السلطان بدر الدين لؤلؤ ، وحال

ابنه الملك الصالح من حصوله على التكریم ،

ثم تمرده وتخریب الموصل

حكم السلطان بدر الدين لؤلؤ مدة خمسين عاما ، وقال من الدنيا نصيبا
موفورا . وقد توفي في الموصل في سنة ٦٥٩ / ١٢٦٠-٦١ على أثر عودته من
حضرة هولاءكو خان . وكانت سنة قد بلغت السادسة والتسعين ، فقوض
هولاءكو خان ملكه وسلطنته إلى نجله الملك الصالح . ولكنه ترك الموصل
بعد مدة ، وسار إلى ديار الشام ومصر ؛ حتى سقط من أوج النجاح والتوفيق
إلى حضيض الذل والهوان .

وقد عطف عليه ركن الدين بيبرس وأعاده مع ألف فارس ليأخذ الخزائن
والدفائن القديمة والجديدة ، ويأثى بها . ولكن زوجته تركان خاتون بنت
السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، أرسلت رسالة إلى هولاءكو خان تنبئه بمسير
زوجها إلى بلاد الشام ، فأوفد في إثره الملك صدر الدين التبريزي مع عشرة
آلاف من الجند العرب .

ولما وصل الصالح إلى مدينة الموصل ، سد المغول كل الطرق في وجهه ،
فنزّل في الجوسق ، وعمد إلى اللهو . وعندما ثمل بلغه قرع الطبول ونفخ

الأبواق الذهبية . وقد استولى الخوف والفزع على أهل الموصل بحيث إن الملك الصالح ذهب إلى المدينة ، وأغلق أبوابها . وكان فيها جيش كثيف من الأكراد والتركمان والشول ، فوزع عليهم الدراهم والدنانير ، وحرصهم على القتال وقال : « إن البندقدار سيمدنا بالجيش من مصر حينما يعلم بالأمر » .

ثم نزل جنود المغول حول المدينة ، وأقاموا المتاريس ونصبوا المجانيق على الجوانب . فبادر أهل المدينة بالقتال عملاً بقول الصالح ، وأطلقوا حجارة المنجنيق من كل جانب ، وخرجت جماعة الأكراد للقتال . فدامت الحرب الحامية قرابة شهر . وذات يوم تساق الأسوار ثمانون من شجعان المغول ، فقفى أهل الموصل عليهم جميعاً ، ورموا برؤوسهم إلى جيش المغول من أعلى الأبراج ، وتشجعوا بهذا الانتصار .

وفي أثناء القتال كان الملك صدر الدين قد خلع خوذته ، فمرسهم العجلة بمفرقه ، وأصابه بحيث سال الدم منه ، فقصده تبريز بإذن من سنداغو نويان . وفي « ألاتاغ » قدم إلى هولاكو خان ، وأبلغه صمود أهل الموصل ، فأرسل جيشاً آخر لإمداد سنداغو نويان .

وعندما علم البندقدار بموقف الملك الصالح ، أرسل « أغوش ازبرلو » على رأس جيش لإمداده . وعندما بلغ سنجار كتب « أغوش » رسالة إلى الملك الصالح بنخبه ووصوله ، وربطها في جناح حمامة . ثم انطلقت الحمامة ولكن اتفق أن جاءت وحطت على منجنيق المغول ، فأمسكها المنجنيقى ، وحمل

الرسالة إلى سنداغو نويان . فلما قرأها عد ذلك من أمارات إقباله ، وسير على القور عشرة آلاف جندي خص كل فرد منهم ثلاثة من الجياد . وبالقرب من سنجار انقسموا إلى ثلاث فرق ، وأعدوا كميناً ، وطاردوا الشاميين ، لكنهم ثبتوا وقاوموا المغول . وفجأة هبت ريح عاصف كانت تلقى الرمال والحصى في عيون الشاميين فعجزوا عن مواصلة القتال ، فدهمهم المغول ، وقتلوا أكثرهم وفر الباقون . كما قتلوا كثيراً من أهل سنجار ، وأسروا النساء والأطفال . ومن ثم ارتدوا الملابس الشامية ، وأطلقوا شعورهم جريا على عادة الأكراد ، ثم توجهوا إلى الموصل ، وأخبروا سنداغو قائلين : « لقد انتصرنا في الصباح ، وسنصل بالغنائم الكاملة ونحن على هذه الهيئة . »

فلما اقترب المغول من الموصل في اليوم التالي ، خرج سكان المدينة لاستقبالهم طائنين أنهم شاميون جاءوا لإمدادهم ، وأقاموا الأفراح بهذه المناسبة . فأحرق بهم جنود المغول من كل جانب ، ولم يتركوا واحدا منهم حيا . وبعد أن ظلوا يحاربون مدة ستة أشهر ، بلغت الشمس برج السرطان ، فأصبح الجو حارا جدا بحيث عجز الفريقان عن مواصلة الحرب . وعندما بلغت الشمس برج الأسد ، حدث بالمدينة قحط ووباء ، فتوجه الناس إلى الصحراء بسبب الجوع ، فصاروا طعمة لسيوف المغول . وأخيرا أرسل الملك الصالح إلى سنداغو نويان يقول : « إني نادم على ما فعلت ، وسأخرج إليك لأتلافى ما فات ولكن بشرطين :

أحدهما : ألا تؤاخذنى بأخطائى السالفة .

وثانيهما : أن تبعث بى إلى هولا گو خان ، وتشفع لى عنده حتى لا يهدردى » .

فأمنه سنداغو على حياته ، وخرج يحمل الطيبات والهدايا . ثم تناول سنداغو هذه الطيبات ، ولم يسمح للصالح بالمثل أمامه ، وعهد إلى بعض المغول بحراسته .

وقد فتح المغول مدينة الموصل فى رمضان سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ ، وقتلوا بقية سكان المدينة بحد السيوف ، وأسروا بعضا من أرباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق أحد فى الموصل . فلما رحل المغول عن المدينة ، خرج ما يقرب من ألف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا .

ولما وصل سنداغو إلى الحضرة ، كان هولا گو خان غاضبا جدا على الصالح؛ فأمر بأن يدخلوا جسمه فى الدهن (الليّة) ، ويربطوا عليه باللبد والجبال بإحكام ، ويلقوا به فى شمس الصيف القانظ ، فاستحالت الليّة بعد أسبوع إلى ديدان أخذت تلتهم جسم ذلك التعس؛ حتى فاضت روحه الغالية بعد شهر من ذلك البلاء . ثم بعثوا بابنه الذى كان فى الثالثة من عمره - إلى الموصل؛ ليقدوه نصفين على ساحل دجلة . وعلى سبيل الاعتبار علقوا جثته على الجانين حتى تعفنت وتناثرت .

« لقد تعفن وتلاشى وسقط من هناك إلى أسفل ،
فيأيها الفلك !... ألم تشبع من مثل هذا العمل ...
- لقد رَبَّيْتُ هذا العزيز بلطف ودلال ،
ولكنك سلمته في النهاية إلى أضراس الديدان .



وقوع الخلاف بين هولا گوخان وبركاي ، وقدم

بوقاي لحرب هولا گو ، وهزيمة في دربند

بعد أن استولى هولا گوخان على أكثر ممالك إيران ، وفرغ من أمر خصومه الذين كانوا قد بقوا في بعض الأماكن ، انصرف إلى تنظيم الأمور وترتيب المملكة . لكنه استاء من تحكم بركاي .

ولما كان باتوق قد بعث به في صحبة منگوقاآن إلى قاعدة الملك في قراقورم ليجلسوه على العرش بين كبار أسرته ، وظل ملازما للقاآن مدة ، فإنه قد اعترض بذلك ، وكان يرسل الرسل على التوالي إلى كل جانب . كما أخذ يتحكم في كل أمر . فكان هولا گو يتجمل ذلك على اعتبار أنه أخوه الأكبر ، ولكن بعد موت اثنين من أقارب بركاي هما توتار وبلغا قبلي ، ظهر الحقد والشقاق بينهما وكان يتزايد يوما فيوما . وفي نهاية الأمر قال هولا گو « ولو أنه كبير الأسرة وسيدها إلا أنه لا يرعى الحياء والتجمل ، ويخاطبني بتهديد وعنف ، وإني لن أحياه بعد هذا » .

فلما علم بركاي بغضب هولا گو قال : « إنه قد دمر جميع مدن المسلمين ، وقضى على أسر ملوك الإسلام جميعهم ، ولم يميز بين الصديق والعدو ، وأعدم الخليفة دون مشورة كبار الأسرة . فلو أمدني الله تعالى لطالبت بدماء الأبرياء » .

ثم أرسل في الطليعة بوقا الذي كان قائدا لجيشه ، ومن أقارب توتار ليطلب دمه ، وكان مع بوقا ثلاثون ألف فارس ، فعبر دربند ، ونزل بظاهر شروان . وعند ما علم هولاء بذلك أمر باستدعاء القوات من كل ممالك إيران . وفي شهر سكسنبج الموافق اليوم الثاني من شوال سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ تحرك من ألاتاغ ، وسير شيرامون نويان إلى منقلاى ومعه سماغو نويان ، فوصلا في ذى الحجة إلى شماخي . وقد داهم جند بركاى شيرامون ، وأفرطوا في القتل ، وأغرقوا سلطان جوق في الماء . وفي يوم الأربعاء سلخ ذى الحجة سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ وصل اباتاي نويان ، وهاجم جنود بركاى على مسيرة فرسخ بالقرب من شميران ، فقتل كثير منهم ، وهرب بوقاى .

وعند ما علم هولاء غو خان بفرار هذا المتمرّد، تحرك في يوم السبت السادس من المحرم سنة ٦٦١ / ١٢٦٢ من حدود شماخي قاصدا حرب بركاى . وفي ذلك الوقت شنكا جمع من المقرنين إلى هولاء - سيف الدين البيتكچى - الذى كان الوزير الخاص - والخواجه عزيز من ولاية گرجستان ، ومجد الدين الكرمانى ، فقبض عليهم وجيء بهم إلى المعسكر . ويعد محاکمتهم قتل ثلاثتهم . وفي ليلة الخميس الثامن من المحرم ، شكوا أيضا حسام الدين المنجم ، وقتل بعد ثبوت جرمه . أما الملك صدر الدين التبريزى « وعلى ملك » حاكم العراق العجمى وبعض أجزاء من خراسان فقد نجّا كل منهما بعد ضربهما مرات بالعصا .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة ٦٦٠ صدر الأمر بأن

يحمل جميع الجنود السلاح، ويتحركوا، فوصلوا عند طوع الشمس إلى موضع « دربند خزر ». وكانت جماعة العصاة على برج دربند، فدفعوهم بالسهم من جانبهم. ولما خلا البرج من الطغاة، فتحوا دربند، وحاربوا من الناحية الأخرى منه، ف وقعت الهزيمة بالعصاة. ولكن استمر القتال إلى آخر النهار. وفي غرة صفر انهزم بوقاي مع الجيش برمته، وانتصر جنود هولاء كوخان، وكان آباخان قد أرسل في جيش كثيف لمدهم.

وبعد هزيمة بوقاي قال شيرامون وأباتاي لآباخان: « الأولى بالأمير أن يعود لخدمة أبيه، لأننا سنسارع إلى تعقب الطغاة ». ولكنه لم يجبههم إلى طلبهم غيرة ورجولة. وقد صدر أمر من هولاء كوخان بأن يسير إيلكا نويان وتودان بهادر وباتو وسالجيдай وجغان وبلارغو ودوغور لتعقب المتمردين، والاستيلاء على منازل جنود بركاي.

وتنفيذا لهذا الأمر عبروا نهر ترك، وكانت جميع بيوت الأمراء والأعيان وجنود بركاي تلمع في تلك الليلة كالنجوم، وكانت صحراء القبچاق مليئة بخيامهم وسراقاتهم. كذلك كانت تلك البقعة محتشدة بالخيول والبغال والإبل والأبقار والأغنام، بينما لم يكن أحد من جنود جيشهم مقيما في منزله، فقد هربوا جميعا تاركين أطفالهم وعيالهم؛ فنزلت جنودنا في مساكنهم، وقضوا ثلاثة أيام في الدعة والراحة والأنس والمتعة، وكانوا يسمرون مع ذوات الوجوه الوضاعة كالقمر، والشعور المعطرة كالعنبر.

وعندما اطلع بركاى وجنوده على أحوال منازلهم وعيالهم وحاشيتهم وأموالهم ومواشيهم احتشدوا كالنمل والجراد ، وظهروا فى تلك الصحراء الفسيحة ، وداهموا الأمراء والجنود . وفى غرة ربيع الأول من السنة المذكورة استمروا يحاربون على ضفة نهر ترك من طلوع الصبح إلى صلاة الظهر . ولما كانت الإمدادات تصل إلى الطغاة ، فقد تراجع جيشنا . . وكان الماء قد تجمد من شدة البرد ، فكانوا يمرون عليه . ولكن فجأة تحطم الجليد ، ففرق جنود كثيرون ، بينما وصل آباقاخان سالما إلى شبران ، ونزل هنالك . كذلك مر بركاى بجيشه من دربند ثم عاد بعد ذلك .

وفى الحادى عشر من جمادى الثانية ، وصل هولاء گوخان إلى حدود تبريز ، وكان منكسر الخاطر موزع الضمير لعين السوء التى أصابته ، وشغل بتلافى مافات . فأمر بأن يعدوا الأسلحة فى كل الممالك ، وأن يجهزوا الجنود مرة ثانية بالأسلحة والأموال . وقد أعلن فى السنة التالية أن بوقا قد عزم على الخروج من دربند . فأرسل هولاء گوخان إلى هناك الشيخ شريف التبريزى للتجسس عن طريق جبال لگزستان ، فلما باع مرابط بوقاى قبضوا عليه ، وحملوه إليه ؛ فسأله أسئلة مختلفة من كل نوع . ثم فاجأه خلال الحديث فألقى عليه هذا السؤال : « ماذا تعلم عن هولاء گوخان . . . هل لازال يقتل أشرافنا وأعياننا وزهادنا وعُبادنا وتجارنا غيظا وغضباً . . . » فأجاب الشيخ : « إن الملك كان غاضبا قبل هذا ، فكان يحرق الأخضر واليابس بسبب خلاف الإخوة » . أما الآن :

« - فلا تحرق النار الحرير لعدله ،
والغزالة أيضاً ترضع اللبن من اللبؤة .
- والناس في راحة وطمأنينة لإنصافه وعدله ،
والظالمون أذلاء مرهقون من قدرته وبطشه » .

وفي تلك الآونة وصل الرسل من ناحية الخطا معلنين أن قوبيلاي
قآن قد جلس على العرش ، وأن أريق بوكا دخل في طاعته ، وأن آلغو
قدمت ، وصدر فرمان في حق هولاء كو خان ، يقضى بإقراره ملكا للبلاد
من ضفاف جيحون حتى ديار مصر والشام . وقد أرسل إليه ثلاثون ألفا من
شباب المغول النابهين لمدده ؛ فخاف بوقاي وانزعج لتلك الأخبار ، واصفرت
وجنتاه . فلزم الصمت ولم ينبس ببنت شفة . وأخيراً وصل الشيخ شريف
إلى حضرة هولاء كو خان ، وعرض عليه حقيقة الأحوال ؛ فشملت الحضرة
العلية الشيخ بالعطف والرعاية ، وزينت وجه البسيطة بالعدل والإنصاف .

أحوال هولاء كوخان فى آخر عهد من إيفاد

آبافا إلى خراسان ، وتفويض الولايات

إلى الأمراء والولاة ، وأحوال

مرضه ووفاته

كان هولاء كوخان محبا للعمارة للغاية . وقد بقى كثير من الأبنية التى أمر ببنائها . فأقام قصرا فى ألاتاغ ، وبنى معابد للأصنام فى مدينة « خوى » . وكان يشغل نفسه فى تلك السنة بالأبنية والعمارة ، ويأمر بشددير مصالح البلاد والجنود والرعية . ولما حل الخريف قصد مشقى « زرينه رود » ، الذى يطلق عليه المغول « جغاتو نغاتو » ، ثم رحل إلى سراغه حيث اهتم بإنجاز المرصد .

كان هولاء كوخا قافا إلى الحكمة ، يُرغب الحكماء فى بحث علوم الأوائل . وقد عيّن لهم المهايا والمراسيم . وكانت يزين بلاطه بالعلماء والحكماء . كما كان يميل إلى تعلم الكيمياء ، وكان رجال هذا العلم يحظون دائما برعايته . وقد أشعلوا نيرانا مدفوعين بتسويلاتهم وتخيلاتهم ، وأحرقوا أدوية لا حصر لها ، ونفخوا فى الصغير والكبير بالمنافع العديمة المنافع ، وعملوا من طين الحكمة قدورا ؛ غير أن فائدة طبخهم لم تبلغ إلى أكثر من عشايتهم وفطورهم .

ولم تكن لهم خبرة بالتقليب . لكن كانت لهم اليد الطولى فى الخداع والتمويه ؛ فهم لم يستطيعوا نقش دينار ولا سبك درهم . وقد ألقوا بمدخرات المصانع لاقتدار الربوبية إلى هاوية التلف والفناء ، وصُرفت أموال كثيرة فى وجوه ما يحتاجون إليه تلبية لمطالبهم ، وللاِتفاق على علف دوابهم مما لم يحصل على مثله قارون البائس طوال عمره وهو يشتغل بالأ كسير .

وقد فوض الحكم فى ممالك العراق وخراسان وما زندران حتى فرضة جيحون ، إلى الأمير آباقا خان الذى كان نبه الأ كبر والأفضل . كذلك أسند أران وآذربيجان حتى شاطىء الرس إلى يشموت ، وسلم الأمير « تودان » ديار بكر وديار ربيعة حتى شاطىء الفرات ، وأعطى معين الدين پروانه ممالك الروم ، كما ولى الملك صدر الدين على تبريز ، وترك خاتون على كرمان ، والأمير انكيانو على فارس .

ولما كان هولاء قد قتل الأمير سيف الدين البيتكجى ، فقد رفع صاحب شمس الدين محمد الجوينى ، وفوض إليه منصب صاحب ديوان البلاد كلها ، وأطلق يده وقواها فى حل الأمور وعقدها ، وترتيبها وضبطها ، وفوض ملك بغداد إلى أخيه صاحب علاء الدين عطا ملك .

وهكذا رتب هولاء الأمور المذكورة ، وكان يبدى أسفه بسبب غبن أقاربه الحاسدين ، ويدبر الأسباب لتلافى كل مافات ، وينظم الجيوش .
١٢١ . الدين ابن الدواتدار الصغير ، وأعلى شأنه ؛ لأنه كان قد

وقد رفع قدر جهره

بدا للملك أنه لا يوجد شخص أكثر منه شفقة عليه بين جميع رعاياه وأتباعه .
وذات يوم قال لهولا گو : « حيث أن النية معقودة على السير
إلى صحراء القبيحاق ، فإنه لا يزال يوجد في ولايات الخليفة عدة آلاف
من أتراك هذه الجهة ممن لهم معرفة تامة بطرق أهل القبيحاق ورسومهم . فإذا
أذن الملك لي فسوف أسير وأجمعهم حتى يكونوا طلائع في الحرب ضد
بركاي » . فأعجب هولا گو خان بقوله ، وأمر له بالفرمان واليايزه ، وبمقتضاها
يكون على حكام بغداد ، أن يعطوا جلال الدين كل ما يطلبه من الأموال
والأسلحة والآلات . وليس لأي مخلوق أن يتدخل في عمله حتى يعد المهمة
التي كلف بها .

وفي شهور سنة ٦٦٢/١٢٦٣-١٢٦٤ سار جلال الدين إلى بغداد تنفيذاً
للأمر ، وجمع كل من رآه لائقاً للجندية . وكان يقول لهم أحياناً على سبيل
الكناية والتعريض : « إن الملك يذهب بكم ليجعلكم دروعاً أمام الحصوم .
فإذا أنتموتوا هناك ، وإما أن تظفروا بالشرف وحسن السمعة . وإذا قتلتكم في
الحرب فيها ، وإلا فسيكون لكم ميدان آخر . وأنتم تعرفون كيفية حسبي
ونسبي ، وما هي النسبة التي تربطني بكم ، ومهما كان لي من هولا گو من
عطف بالغ ، فإنني لا أريد أن أجعلكم طعمة للسيوف . وإني أفكر في أن
أرفض ولاء المغول وإقبالهم ، وأخلصكم وأخلص نفسي من حكم المغول .
فيجب عليكم أن توافقوني على رأيي » . فخدع هؤلاء القوم بقوله .

وبعد أن جمع شتات الجنود ، سار بالطبول والأعلام ، وعبر جسر بغداد
وهاجم عرب خفاجة ، ونهب قدراً من الجواميس والإبل ، وأخذ من خزانة
بغداد أجور الجنود ونفقاتهم من الخيل والسلاح ، ثم سار مع الجنود والنساء
والأطفال والأتباع والأشياء والأقمشة والأمتعة ضارباً طبل الرحيل ، وجاوز
جسر بغداد وقال : « إننا نضطرب معنا الأهل والعيال كي يفوزوا بزيارة
المشاهد ، إذ أن مقامنا بعد هذا سيكون في دربند وشروان وشماخى ، ونسير
مع الجنود والجيوش ونحصل على مئونة الطريق من عرب خفاجة المتمردين »
وبعد أن عبر الفرات قال للجنود : « إننى عازم على السير إلى الشام ومصر ،
فكل من يأتى معى فيها ، وإلا فليعد من هنالك » . فلم يستطيعوا أن يقولوا
شيئاً اتقاء شره ، وذهبوا بحملتهم إلى الشام ومصر عن طريق عانة وحديثه .

فلما بلغ هذا الخبر مسامع الملك تميز غيظاً ، وكان خلال تلك المدة يفكر
بدقة في شأن مقاومة الأعداء ، فزادت تلك القضية الطين بلة .

وعندما حلت سنة البقرة (گاو) الموافقة شهر ربيع الأول سنة ٦٦٣ /
١٢٦٤-١٢٦٥ شغل عدة أيام باللهو والصيد . وبعد الاستحمام عاوده المرض ،
وأخذ يشعر بثقل في جسمه ، فلزم الفراش . وفي يوم الثلاثاء السابع من ربيع
الآخر تناول مسهلاً بمشورة الأطباء الخطائين ، فاعتريه غشية على أثره ، أدت
إلى حالة السكتة .

ولكن لما كانت درجات الحياة قد بلغت نقطة الزوال ، فقد عجز الأطباء

الحاذقون عن دفع هذه العلة، رغم ما بذلوه من المساعي والجهود في سبيل استفراغ مافي بطنه . وهكذا لم ينفع أى تدبير مع التقدير ، ولا أى دواء مع القضاء . وفي ذلك الوقت ظهر نجم « ذو الذؤابة » كالأسطوانة المخروطة ، وكان يظهر كل ليلة . فلما اختفى ذلك النجم ، وقعت الطامة الكبرى في ليلة الأحد التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ١٢٦٣ / ١٢٦٥ . وكان عمره ثمان وأربعين سنة شمسية تامة ، إذ وصل من مرحلة الفناء إلى مستقر البقاء على ساحل جفاتو . وقد أقيم له ضريح كبير على جبل « شاهو » المواجه « لدهخوارگان » . وتمت مراسم العزاء في معسكراته ، ودفن تابوته في تلك المقبرة . يقول سيد العالم نصير الدين الطوسي في رثائه :

— عندما دخل هولاً گو مراغة شتاء ،

جعل تقدير الأزل آخر نوبة من عمره .

— وكانت السنة ٦٦٣ وفي ليلة الأحد ،

التي كانت ليلة التاسعة عشرة من ربيع الآخر .

وفي غرة شهر « ايكندى » الموافق الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، توفيت ايگان خاتون والدة الخان . وفي تلك الأيام مات كذلك الأمير الغوالييتكجي . وفي يوم الخميس الخامس من جمادى الآخرة والثاني من شهر « شون » من عام « هوکار » الموافق غرة رمضان سنة ١٢٦٥ / ٦٦٣

ماتت « دوقوز خاتون » التي كانت قد آلت إلى هولاغو خان من أبيه
تولوي . وكانت وفاتها بعد مضي أربعة أشهر وخمسة عشر يوما على وفاة
هولاغو خان ، وقبل جلوس أباقا بثلاثة أيام .

انتهى تاريخ هولاغو خان الذي نشره
كاترمير

وهو الجزء الأول من تاريخ الإيلخانيين



موضوعات الكتاب

صفحة

(١)

مقدمة بقلم : يحيى الخشاب

القسم الأول

تقديم للمستشرق الفرنسي ايتين مارك كاترمير Etienne - Marc Quatremère

١٧٩-٣

عن حياة رشيد الدين وأعماله

٧٣-٥

الجزء الأول - حياة رشيد الدين السياسية

٥

مولده

٨

عقيدته

١١

التحاقه بخدمة المغول

١٢

وزارته لغازان وما اقترن بها من أحداث

١٨

وزارته لأولجايتو وما اقترن بها من أحداث

٤٥

وزارته لأبي سعيد وما اقترن بها من أحداث

٥٥

مقتله

٦٠

حياة أولاده : ابنه الخواجه غياث الدين محمد

٦٩

بقية أبنائه

٧٢

منشأته : الربع الرشيدى

صفحة

١٧٩-٧٤

الجزء الثانى - حياة رشيد الدين الأديبة

ثقافته

٧٥

تأليفه كتاب جامع التواريخ و بيان قيمته

٨١

مؤلفاته الأخرى :

١٤٣

١ - كتاب الأحياء والآثار

١٤٥

٢ - رسالة فى أمية محمد (صلعم)

١٤٦

٣ - كتاب التوضيحات

١٤٩

٤ - كتاب مفتاح التفاسير

١٥٠

٥ - كتاب السلطانية

١٥١

٦ - كتاب لطائف الحقائق

١٥١

المجموعة الرشيدية

ماوجه إليه من اتهامات بسبب هذه المؤلفات ودفاعه

١٥٦

عن نفسه

١٦٣

٤ - كتاب بيان الحقائق

١٦٥

الاحتياطات التى اتخذها للمحافظة على مؤلفاته

١٧١

جامع التصانيف الرشيدى

القسم الثانى

٢٦٤-١٨٣

التاريخ الغازانى

٢١٧-١٨٣

مقدمة كتاب جامع التواريخ

صفحة

القسم الأول من تاريخ هولا گو خان ٢١٨-٢٣١

٢١٩ ذكر نسبه

٢٢٠ شرح وتفصيل أحوال نسائه

القسم الثاني من تاريخ هولا گو خان ٢٣٢-٢٦٤

٢٣٢ مقدمة جلوسه على العرش

ذهاب كيتوبوقا في طليعة جيش هولا گو إلى

٢٤٣ قلاع الملاحدة

قدوم ناصر الدين محتشم قهستان إلى معسكر

٢٤٦ هولا گو خان

توجه هولا گو خان إلى دامغان وتخریب ألموت

٢٤٨ ولنبه سر، وإخضاع خورشاه

٢٦٠ توجه هولا گو إلى همدان، ووصول بايجو من بلاد الروم

ظهور الخلاف بين الدواتدار والوزير، وابتداء

٢٦٢ نكبة الخليفة

القسم الثالث من تاريخ هولا گو خان ٢٦٧-٣٤٢

٢٦٧ توجه هولا گو خان وتردد الرسل بينه وبين الخليفة

٢٧٧ قصة اشتغال هولا گو خان بترتيب الجيش لفتح بغداد

صفحة

- زحف جيوش هولاغو خان إلى مدينة السلام
والاستيلاء عليها ٢٨١
- سقوط مدينة إربل على يد أرقيو نويان ٢٩٨
- نقل أموال بغداد وقلاع الملاحدة إلى آذربيجان ٣٠٠
- قصة الخواجه نصير الدين الطوسي ، وبناء المرصد
بأمر هولاغو ٣٠٣
- توجه هولاغو خان إلى ديار الشام ، والاستيلاء
على حلب ٣٠٥
- توجه كيتوبوقا نويان إلى مصر ، وهزيمته على
يد المصريين ٣١٠
- توجه أمراء المغول إلى ديار بكر وفتح ميافارقين ،
وقتل الملك الكامل ٣١٩
- توجه الأمير شمسوت إلى ماردين والاستيلاء على قلعتها ٣٢٤
- وفاة السلطان بدر الدين لؤلؤ وحال ابنه الملك الصالح ٣٢٧
- وقوع الخلاف بين هولاغو خان وبركاي ، وقدم
بيوقاي لحرب هولاغو ٣٣٢
- أحوال هولاغو خان في آخر عهده ، ثم
مرضه ووفاته ٣٣٧

کشاف

۱ - أسماء الأشخاص

آباتای (ابتای) نویان : ۳۳۴، ۳۳۳	أبو بیچه خان (یافت بن نوح علیه
آباقا خان بن هولاً گو خان بن تولوی	السلام) : ۲۰۴
خان بن چنگیز خان : ۲۴۱، ۴۴	أبو بکر آغا : ۵۷، ۵۳، ۴۸
إبراهیم بن رشید الدین : ۵۳	أبو حنیفه : ۲۳
إبراهیم بن مختار (تاج الدین) : ۳۳	أبو سعید (السلطان أبو سعید بهادر خان)
أبنه بیگی (اینه جا کبوی) : ۲۱۹	۴۰، ۴۱، ۴۵، ۵۱، ۵۸، ۵۹
ابن الجوزی (انظر شرف الدین بن	۶۲، ۶۵، ۱۰۳، ۱۰۸
الجوزی) .	أبو العباس أحمد بن المستعصم : ۲۹۰
ابن درنوش : ۲۸۹، ۲۸۸، ۲۶۴	أبو الفضل عبد الرحمن بن المستعصم :
ابن صلایه العلوی (حاکم اربیل) :	۲۸۸، ۲۹۰
۲۷۷، ۲۷۸	أبو المناقب مبارك بن المستعصم : ۲۹۰
ابن کر (فتح الدین) : ۲۸۵	أبو المحاسن بن تغری بردی : ۸
ابن مسعود : ۱۲۸، ۱۰۲	أوجای بن هولاً گو خان : ۲۲۶
ابن مکمل (اختیار الدین خان) :	أجوجه ایکاجی : ۲۲۷
۳۱۱	أحمد البیتکچی : ۲۴۲
أبو إسحاق (الأمیر الشیخ) : ۶۷،	أحمد تکودار (ابن هولاً گو خان) :
۶۸، ۶۹، ۷۰	۲۲۶، ۲۲۴، ۲۰۶

أطلس خان : ٣١١	آدم : ١٠٦ ، ١٨٩
أغوش أذربلو : ٣٢٨	أرپا قاوون (أرپافان) : ٦٥ ، ٦٦
أفريدون : ١٨٤	أردوان : ١٨٤
أفلاطون : ٢٦	أرسطو : ٢٥
إقليدس : ٣٠٣	أرغون آقا : ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
ألا نقوا : ٢٥	٢٨٢ ، ٢٤٨
ألجایتو (السلطان) : انظر أولجایتو	أرغون خان : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣٩
ألجای قتلغ : ٤٥	أرقتو (أرقتوی، أورغتوبن أولسکای
الداي (ايلدر ، ايلدار) : ٢٢٦ ،	نويان) : ٢٨٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٢٢٧	٣٢٤ ، ٣٢٥
ألدزمش (زوجة اولجایتو المفضلة) :	أركای نويان : ٣٠٩
٢١ ، ٢٠	أریقاق إيكاجی : ٢٢٦
ألغ بيگ : ١٣٠	أریق بوكا (أریغ بوكا) أخو
ألغوالبيتكچی (الأمير) : ٢٢٤ ،	هولا گوخان : ٢٢٣ ، ٢٢٤
٣٤١ ، ٣٣٦	٢٣٦ ، ٣٠٩ ، ٣٣٦
ألوج نويان : (امير بزرگ) :	إسفنديار : ٣١٠
١٣٦	الإسكندر : ٢٥ ، ٢٦
الأمين (الخليفة) : ٢٩٤	إسماعيل بن أحمد الساماني : ٢٧٥
أنبارجی : ٢٢٨	إشيغ تيمور (إشق تيمور) : ٢٢٧
أندريه ملر : ٧	أصيل الدين الزوزني : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،
أنكيانو (الأمير) : ٣٣٨	٢٥٤

ایبک (انظر مجاهد الدين أيبك الدواتدار)	انکیتل دی پرون : ۱۵۲
ایبک الحلبي : ۲۸۲	أنو شیروان : ۱۸۴
ایتمور : ۲۸۹	أورغنه خاتون : ۲۹۳
ایرنجین (الأمير) : ۴۴	أورغوتاق (أوقوتاق) : ۲۲۴ ، ۲۲۵
ایسا تیمور (إیش تیمور) : ۲۲۷ ، ۲۲۸	أوگوتای : ۲۰۶ ، ۲۰۵ ، ۸۴
ایسن قتلغ : ۵۷	أولجایتو (السلطان) بن أرغون خان :
ایسو بوقا کورکان : ۲۳۱ ، ۲۲۷	، ۲۸ ، ۲۵ ، ۲۰ ، ۱۹ ، ۱۸
ایش خاتون (بنت الأتابک سعد ابن أبي بکر) : ۲۲۸	، ۴۳ ، ۴۰ ، ۳۲ ، ۳۱ ، ۲۹
ایقو بن أونک خان : ۲۲۰	، ۹۰ ، ۷۹ ، ۵۳ ، ۴۵ ، ۴۴
اینگان خاتون (والدة هولاهو) :	، ۱۰۸ ، ۱۰۳ ، ۹۹ ، ۹۲ ، ۹۱
۳۴۱	، ۱۵۴ ، ۱۵۰ ، ۱۴۶ ، ۱۴۰
ایلقتلغ : ۲۲۴	، ۲۰۳ ، ۱۸۶ ، ۱۶۳ ، ۱۵۹
ایل ایکاجی : ۲۲۹	۲۲۴ ، ۲۰۸ ، ۲۰۷
ایلکانویان : ۲۹۵ ، ۲۸۶ ، ۲۴۷	أولجای خاتون : ۲۲۸ ، ۲۲۲ ، ۲۳۰
۳۳۴ ، ۳۲۱ ، ۳۱۹ ، ۳۱۷ ، ۲۹۷	، ۲۹۴ ، ۲۳۹ ، ۲۳۱ ، ۲۳۰
(ب)	۲۹۶
بابا (بنت هولاهو خان) : ۲۳۱	أونجی نویان (أخو چنگیز خان) :
باتو : ۲۳۴ ، ۲۳۲	۲۳۰
	أونک خان (ملك قبيلة کرايت) :
	۲۱۹ ، ۱۳۲

بلغا (بلغه) ابن شيبان بن جوجى :

۳۱۷ ، ۲۸۷ ، ۲۸۶ ، ۲۸۱

بلغا قبلى : ۳۳۲

بلغا يى : ۲۵۶

البناكى : (فخر الدين أبو سليمان

عبدالله البناكى) : ۱۲۶ ، ۱۲۷

البندقدار (ركن الدين) : ۳۱۳ ،

۳۱۷ ، ۳۲۸ .

بهاء الدين محمد بن رشيد الدين : ۶۹

بوذنجر (ابن الأتقوا) : ۲۰۵

بورالجي كوركان : ۲۲۲

بورقجين : ۲۲۵

بورى (الأمير) : ۲۴۳ ، ۲۴۴

بوقاتيمور (بوقاى تيمور) : ۲۲۴ ،

۲۵۰ ، ۲۵۳ ، ۲۵۴ ، ۲۶۱ ،

۲۸۱ ، ۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۹۶ ،

۳۳۲ ، ۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ،

۳۳۶

بوقاجين ايكجى : ۲۲۵ ، ۲۲۶

بوقدان خاتون والدة گيخاتوخان :

۲۲۹ .

بادوتشى پيجولوتى : ۱۳۷

بايدر : ۳۱۳

بايدو : ۱۳۸ ، ۲۲۶

بجلى النخبجوانى : ۲۹۶

بخشى : ۲۵۰

بدر الدين دريكى (قاضى بندينجان) :

۲۷۵

بدر الدين لؤلؤ (ملك الموصل) :

۲۹۰ ، ۲۹۸ ، ۲۹۹ ، ۳۰۰ ،

۳۰۵ ، ۳۲۰ ، ۳۲۷

بدر الدين محمود : ۲۶۹ ، ۲۷۰

برقان بهادر : ۲۰۵

بركت خان (بركاى ، بركا ، بركه) :

۳۱۱ ، ۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۳۲ ،

۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۳۹ .

برونك باى نويان : ۳۰۹

البساسيرى : ۲۷۵

بسكاليس (الراهب الفرنشكانى) :

۱۳۷

بغان ايكاجى : ۲۳۰

بلارغو : ۳۳۴

تاج الدين بن صلايه الإربلي : ۲۹۸	بولغان خاتون (زوجة آباقاخان
۳۱۹	العظمى) : ۲۲۱ ، ۲۲۴
تاج الدين مؤمنی : ۱۵۴ ، ۱۵۵	بولوغان (زوجة غازان خان) : ۱۶
تاسيت (الإمبراطور) : ۵۸	بولوقان آقا : ۲۲۹ ، ۲۳۰
تاكودار (تكودار) انظر أحمد بن	بيان آغا : ۲۲۸
هولاگوخان	ميسوكا بهادر بن برتان بهادر : ۲۰۵
تركان خاتون (بنت السلطان جلال	بيكسوتمش (زوجة جوجي) : ۲۱۹
الدين خوارزمشاه) : ۳۲۷ ، ۳۳۸	بيكين : ۲۲۵
تقي الدين الفاسي : ۵۸	(پ)
تگودر أوغول : ۲۵۱	پروانه (انظر معين الدين)
توتار أوغول (الأمير) ابن سکنقور	پولادچينگسانگ (پولاد آغا : النويان
بن جوجي : ۲۸۱ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷	الأكبر) : ۲۱ ، ۲۱۴
۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳	پيتي دي لا کروا : ۱۴۲
توداج : ۲۳۰	پير سلطان بن رشيد الدين : ۶۶ ، ۷۰
تودان بهادر : ۳۳۴ ، ۳۳۸	پيلچيتاي نويان : ۳۰۹
توسين : ۲۲۶	(ت)
توقاتيمور : ۲۳۰	تاج الدين أبو الفضل محمد : ۳۱ ، ۳۲
توقيتيمور (ابن عبدالله آقا) : ۲۲۶	۳۳ ، ۳۶ ، ۳۷ ، ۳۹ ، ۴۰ ،
توقوز خاتون (انظر دوقوز	۵۵
خاتون)	تاج الدين ابن الدواتدار الكبير :
توقيتتي خاتون : ۲۲۱ ، ۲۲۵	۲۹۰

جلال الدين منكبرتي (: ۸۳ ،	توکل بنخشی : ۳۰۷
۸۵ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲ ، ۳۰۵ ،	توکل : ۲۳۱ ، ۲۵۰
۳۱۱ ، ۳۲۷	تولون خاتون : ۲۲۴ ، ۲۲۵
جلال الدين بن رشيد الدين : ۴۰ ،	تولوی خان (تولی) ابن چنگیزخان .
۴۵ ، ۴۶ ، ۶۹ ، ۷۰	۶۵ ، ۲۰۶ ، ۲۲۰ ، ۳۱۱
جلال الدين الرومی : ۱۲۹	تنگر کورکان : ۲۳۰
جلال الدين العربي : ۱۲۹	تیمورتاش بن چوبان : ۴۶ ، ۵۷ ،
جلال الدين بن محمد بن حسن	۶۹ ، ۷۰
(نومسلمان) : ۲۵۹	تیمور (لنگ) : ۵۶ ، ۸۴ .
جمال الدين العاقولي : ۲۲	(ج)
جمال الدين (ابن الدواتدار الصغير) :	جاکو کورکان : ۲۳۰
۳۳۸ ، ۳۳۹	جا کببو (که بدای) : ۲۱۹
جمال الدين القرقای القزوينی :	جانی بك : ۷۳
۳۰۸	جاوزجی خاتون : ۲۲۴
جمال الدين محمد بن طاهر : ۳۰۳	جرماغون : ۲۳۴ ، ۲۳۵ ، ۲۶۰ ،
جوجی خان بن چنگیزخان : ۲۰۵	۲۸۱
جوشکاب : ۲۲۴	جریکتیمور : ۲۲۷
جومقور : ۲۲۳ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵	جغان : ۳۳۴
جومه کورکان بن جوجی : ۲۲۹ ،	جلال الدين البخاری : ۱۶۱
۲۳۰	جلال الدين بن حران : ۵۴
جیجاک کورکان : ۲۳۰	جلال الدين خوارزمشاه (السلطان

جیحکان (بنت چنگیز خان) : حاجی (ابن طغای تیمور

۲۳۰ ، ۲۲۲

ابن هولاً گوخان) : ۲۲۹

جیش : ۲۲۷ ، ۲۲۴

حافظ آبرو : ۱۳۱ ، ۱۳۲

(چ)

حزقیال (النبی) : ۳۲

حسام الدین عکه (حاکم درمنگ) :

چغتای خان بن چنگیز خان : ۲۰۵

۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۳۱۹

چوبان : ۴۳ ، ۴۴ ، ۴۶ ، ۴۷ ،

حسام الدین المنجم : ۲۷۹ ، ۲۸۰ ،

۴۸ ، ۵۲ ، ۵۴ ، ۵۷ ، ۶۹

۳۳۳

چنگیز خان : ۸۴ ، ۸۵ ، ۸۶ ،

حسان بن ثابت : ۱۹۱

۸۷ ، ۸۹ ، ۹۲ ، ۹۳ ، ۱۰۰ ،

حسن (الأمير الشیخ حسن بزرگ) :

۱۰۲ ، ۱۱۵ ، ۱۲۸ ، ۱۳۱ ،

۷۱

۱۳۲ ، ۱۳۳ ، ۱۳۵ ، ۱۳۶ ،

حسن بن الصباح : ۲۵۸

۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۲ ، ۱۸۳ ،

حسن المازندرانی : ۲۴۵

۱۸۶ ، ۲۰۱ ، ۲۰۴ ، ۲۰۵ ،

حسن بن محمد بن بزرگ امید : ۲۵۸

۲۰۶ ، ۲۱۲ ، ۲۱۶ ، ۲۱۹ ،

حمد الله المستوفی القزوينی : ۶۹

۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳ ،

حمی (بنت هولاً گوخان) : ۲۳۰

۲۳۵ ، ۲۳۶ ، ۲۶۷ ، ۲۷۱ ،

حیدر الرازی : ۹۶ ، ۱۰۶ ، ۱۲۵ ،

۲۷۶ ، ۲۸۳ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ،

۳۱۸

۱۳۵

(ح)

(خ)

حاجی خلیفه : ۱۰۵ ، ۱۰۱ ، ۵

خدا بنده (انظر أو لجایتو) :

حاجی دلقندی : ۵۳ ، ۵۵

(۲۳ - جامع التواریخ)

دوقوز خاتون (توقوز) : ۲۲۰ ،	خر بنده (ایسا تیمور ، ایش تیمور)
۲۲۲ ، ۲۲۸ ، ۲۳۰ ، ۲۳۷ ،	ابن قونقرتای بن هولاً گوخان :
۲۳۹ ، ۲۴۲ ، ۳۰۱ ،	۲۲۷
(ر)	خر بنده (انظر أو لجایتو)
رئیس الدولة : ۲۴۹	خورشاه (رکن الدین بن علاء الدین) -
الراشد (الخلیفة) : ۲۹۵	ملك الملاحدة : ۲۴۳ ، ۲۴۵ ،
الراضی (الخلیفة) : ۲۹۴	۲۴۶ ، ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۲۵۱ ،
رتش (المستر) : ۱۰۸ ، ۱۲۷ ،	۲۵۲ ، ۲۵۳ ، ۲۵۴ ، ۲۵۵ ،
۱۴۳	۲۵۶ ، ۲۵۷ ، ۲۵۸ ، ۲۵۹ ،
رستم : ۳۱۰ ، ۳۱۵	۳۱۲ ، ۳۱۹ .
الرشد (الخلیفة) : ۲۹۴	خوند میر : ۱۰۵ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ ،
رشد الدین : ۳ ، ۴ ، ۵ ، ۶ ، ۷ ،	۱۳۱ .
۸ ، ۹ ، ۱۲ ، ۱۳ ، ۱۴ ، ۱۵ ،	(د)
۱۷ ، ۱۸ ، ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۱ ،	دارا : ۱۸۴
۲۳ ، ۲۴ ، ۲۵ ، ۲۶ ، ۲۷ ،	دایر نویان : ۲۳۴
۲۸ ، ۲۹ ، ۳۰ ، ۳۱ ، ۳۲ ،	الدواتدار (انظر مجاهد الدین أییک)
۳۴ ، ۳۵ ، ۳۷ ، ۴۰ ، ۴۱ ،	دوتومنن (ابن بوذنجر) : ۲۰۵
۴۲ ، ۴۳ ، ۴۵ ، ۴۷ ، ۴۸ ،	دولت شاه : ۵ ، ۲۳ ، ۲۶ ، ۹۰ ،
۵۰ ، ۵۱ ، ۵۲ ، ۵۳ ، ۵۶ ،	۱۲۷
۵۷ ، ۵۹ ، ۷۰ ، ۷۲ ، ۷۴ ،	دوغور : ۳۳۴
۷۵ ، ۷۶ ، ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۰ ،	

زين الدين الحافظى (وزير سلطان حلب)	، ۹۴ ، ۹۱ ، ۹۰ ، ۸۹ ، ۸۱
۳۰۷ ، ۳۰۵	، ۱۰۰ ، ۹۹ ، ۹۸ ، ۹۷ ، ۹۶
(س)	، ۱۰۷ ، ۱۰۵ ، ۱۰۲ ، ۱۰۱
ساتالميش : ۲۲۸	، ۱۲۴ ، ۱۲۲ ، ۱۱۵ ، ۱۱۱
ساتى : ۲۲۶ ، ۲۲۵	، ۱۳۷ ، ۱۳۵ ، ۱۲۹ ، ۱۲۷
سالى نويان : ۲۳۵ ، ۲۳۴	، ۱۴۵ ، ۱۴۳ ، ۱۴۱ ، ۱۳۹
سالجنداي نويان (سالجيداي) :	، ۱۵۴ ، ۱۵۲ ، ۱۴۹ ، ۱۴۷
۳۳۴ ، ۳۰۹	، ۱۷۲ ، ۱۶۵ ، ۱۶۳ ، ۱۶۱
سعد بن أبى بكر (أتابك فارس) :	۳۱۳ ، ۲۰۷ ، ۱۷۹ ، ۱۷۵
۳۰۱ ، ۲۲۸	ركن الدين (سلطان الروم) : ۲۴۰
سعد بن الأتابك مظفر الدين : ۲۴۰	۳۰۱
سعد بن حسام الدين عكه : ۲۷۷ ،	ركن الدين البندقدار (انظر البندقدار)
۲۷۸	رميثة بن أبى ثمن : ۵۸
سعد الدين الساوجى : ۱۸ ، ۱۵ «	روسو : ۱۴۲
۴۵ ، ۲۹ ، ۲۸	رينو : ۲۲۵
السعيد (صاحب قلعة ماردین) :	(ز)
۳۲۵ ، ۳۲۴	زنورى : ۵۷ ، ۵۳
السفاح (الخليفة) : ۲۹۴	الزنجاني (الوزير صدر الدين) : ۱۲ ،
سكنقور : ۳۰۵	۱۵ ، ۱۴ ، ۱۳
سلفستردى سامى : ۱۲۸	زنكى النخبوانى : ۲۷۰ ، ۲۶۹
سلمان الساوجى (الشاعر) : ۶۸	

سیاوجی (شیبادجی) : ۲۲۹	سلیمان بن هولاجو بن هولاجوخان :
سید علی الهمدانی : ۱۵۲	۲۲۹
سیف الدین آقا (الوزیر) : ۲۴۹	سلیمان شاه بن پرچم : ۲۷۳ ، ۲۶۸ ،
سیف الدین البیتکچی : ۲۸۲ ، ۲۵۴	، ۲۷۴ ، ۲۷۷ ، ۲۸۴ ، ۲۸۷ ،
۳۳۸ ، ۳۳۳ ، ۲۹۶	۲۸۹ ، ۲۹۰
سیف الدین صادق خان : ۳۱۱	سماغو نویان : ۳۳۳
سیف الدین قلیج : ۲۸۲	سنتای اوغول : ۲۳۸
سیف الدین لوبلی : ۳۲۰	سنداغونویان : ۳۳۰ ، ۳۲۹ ، ۳۲۸
سیور قوقیتی بیکی (زوجه تولوی خان)	سنگتورنویان : ۳۰۸
۲۱۹	سنتج سترن : ۱۳۲
(ش)	السهروردی (شهاب الدین)
شادی کورکان : ۲۲۵ ، ۲۲۴	السهروردی : ۲۲
شاه امیر : ۲۴۹	سوتای (الأمیر موسوتای الاختاجی)
شاهرخ بن تیمور لنگ : ۱۰۲ ، ۹	۲۳۹ ، ۲۲۸
۱۴۱ ، ۱۰۶	سوکای : ۲۲۵
شاهنشاه : ۲۵۲ ، ۲۵۰	سوتنای : ۳۱۹ ، ۳۰۶ ، ۲۸۲
شجاع الدین حسین السرابانی : ۲۴۴	سونج (الأمیر) : ۵۱ ، ۴۶
شرف الدین بن الجوزی : ۲۶۹ ،	سونجاق : ۲۸۵ ، ۲۸۲ ، ۲۸۱ ،
۲۹۶ ، ۲۸۹ ، ۲۸۲ ، ۲۷۰	۲۸۶ ، ۲۹۲ ، ۳۰۶ ، ۳۱۷
شرف الدین الزنجانی : ۲۹۳	سونجین خاتون : ۲۲۳ ، ۲۲۲
	سولامش : ۲۳۰

شمیدت : ۱۳۲	شرف الدین بن مؤید الدین بن
شیخون : ۱۰۰	العلقمی : ۲۹۷ ، ۲۹۵
شیرامون نویان : ۲۸۶ ، ۳۳۳ ،	شرف الدین علی (ابن تاج الدین)
۳۳۴	۳۳
(ص)	شروانشاه : ۲۵۲
الصالح بن بدر الدین لؤلؤ (الملك) :	شریف التبریزی : ۳۳۵ ، ۳۳۶
۳۰۶ ، ۳۰۵	شریف الدین أحمد (ابن رشید الدین)
صدر الدین التبریزی (الملك) :	۷۰ ، ۶۲
۳۲۷ ، ۳۲۸ ، ۳۳۳ ، ۳۳۸	شمس الدین بن تاج الدین : ۳۲
صدر الدین (رسول هولاهو)	شمس الدین حسین : ۳۳
خورشاه) : ۲۵۰ ، ۲۵۵	شمس الدین داود بن مظفر الدین :
صدر الدین الساوجی : ۳۱۸	۳۲۶
صدر الدین (الوزير الملقب بصدر جهان)	شمس الدین القزوينی (قاضی القضاة) :
انظر الزنجانی	۲۳۳
الصقاعی (فضل الله بن أبي الفخر) :	شمس الدین القوی : ۳۰۸
۵۳ ، ۸ ، ۷	شمس الدین کرت (الملك) : ۲۳۹ ،
(ض)	۲۴۶
ضیاء الملك : ۴۷	شمس الدین کیلکی : ۲۵۱
(ط)	شمس الدین محمد الجوینی : ۳۳۸
الطائع (الخلیفة العباسی) : ۲۹۴	شمس الدین محمد زکریا : ۷۱
طاشتمور : ۲۲۷	شهاب الدین الزنجانی : ۲۹۳

عبد الرحمن (الأمير) : ۲۹۳
 عبد الرزاق السمرقندی : ۵
 عبد الله البيضاوی : ۱۲۵ ، ۸۶ ، ۱۲۶ ، ۱۲۸
 عبد اللطيف (ابن رشيد الدين) :
 ۶۹ ، ۴۰
 عبد الله بن فضل الله (الوصاف) :
 ۸۷ ، ۴۰ ، ۱۷
 عرب (الأمير) : ۲۲۵
 عز الدين (سلطان الروم) : ۲۴۰ ،
 ۳۰۱ ، ۳۰۰
 عز الدين طاهر : ۲۴۸
 عز الدين قوهدي : ۴۳ ، ۴۷
 عزيز (الخواجه) : ۳۳۳
 عضد الدين (القاضي) : ۶۷ ، ۶۸ ،
 ۷۰
 علاء الدين الجاشي : ۳۰۸
 علاء الدين عطا ملك الجويني :
 ۸۶ ، ۸۷ ، ۲۴۲ ، ۲۸۲ ، ۳۳۸
 علاء الدين محمد (ملك الملاحدة) :
 ۲۴۳ ، ۲۴۴ ، ۲۴۵ ، ۲۵۹

طانبجو (ابن منگوتيمور بن
 هولا گوخان) : ۲۲۸
 طاهر جلال الدين : ۳۳
 طاير بوقا : ۲۵۶
 الطبري : ۱۰۷
 طرقای (بنت هولا گوخان) : ۲۳۰
 طرقای کورکان : ۲۲۸
 طغای : ۲۲۸
 طغای تيمور : ۲۲۹
 طغرلبك : ۲۷۵
 طورغای : ۲۲۵ ، ۲۲۶
 طوقوجاق : ۲۲۴
 طوق : ۲۳۰
 طولادای ايداجی : ۲۲۸
 ظير بهادر : ۲۳۴
 طيفور (ابن اولجايتو) : ۲۱
 (ظ)
 ظهير الدين سبلاّر البيتكچی :
 ۲۴۹ ، ۲۵۰
 (ع)
 العباس : ۲۷۵
 عباس الكبير (الشاه) : ۷۳

غیاث الدین محمد (ابن رشید الدین):

670 671 672 673 674

74, 75, 77

غياث الدين كيخسرو من علاء الدين

(سلطان الروم) : ٢٦١

(ف)

فتح الدین بن کرہ : ۲۷۳

فخر الدين أبو سلمان عبد الله البناكتي

(انظر البناکتی)

فخر الدين أحمد : ٤٣

فخر الدين الأخلاطى : ٣٠٤

فخر الدين البامغانی (صاحب دیوان)

Y90, Y99, YAA, Y77

فخر الدین الرازی : ۱۵۹

فخر الدين الساقى : ٣٠٧

فخر الدين الراغی : ۳۰۴

قربا : ۲۸۶

فنجیو: ۱۰۰

فومی : ۱۲۵

فوهين : ۹۹

علاء الدين محمد (الوزير) : ٤٣ ، ٦٠

علی بہادر : ۲۹۵

علی بادشاہ (الأمیر) : ۶۵

على (الشيخ ابن السلطان أويس) :

VI

علی شاہ الجیلانی : ۲۸ ، ۲۹ ، ۳۰ ،

28, 29, 30, 31, 32

01, 02, 03, 04

على ملك : ۳۳۳

علی الیزدی : ۱۳۰ ، ۱۳۱

عماد الدين عمر القزويني : ٢٩٥.

عماد الدین الفلکی : ۴۳

عمر بن الليث الصفار : ٢٧٥

(غ)

غازان خان (السلطان) : ۱۲، ۱۳

6 18 6 14 6 17 6 10 6 12

6 AY 6 AO 6 AI 6 YΛ 6 Y6 6 Y7

6 13A 6 140 6 91 6 90 6 11

6 2-V 6 1A3 6 10Y 6 13A

٢٢٨ ٦ ٢٢٧ ٦ ٢٢٦ ٦ ٢٢١

الغزالي : ١٤٧ ، ١٥٩

(ق)

القائم (الخليفة) : ۲۹۴

القادر (الخليفة) : ۲۹۴

القاهر (الخليفة) : ۲۹۴

قايدو خان بن دوتومنن : ۲۰۵

قبيچاق (المعروف بقراسنقر) : ۲۲۶

۲۸۵ ، ۲۸۳

قتار سونجاق (الأمير) : ۲۶۱

قتلغبا (الأمير) : ۳۱

قتلغشاه (الأمير) : ۱۳ ، ۱۴ ، ۱۸

قتلغ شاه خاتون : ۲۲۱

قتلوق (بنت منگو تیمور بن

هولا گو خان) : ۲۲۸

قدسون (الأمير) : ۲۶۱ ، ۲۸۱

قرا بوقا : ۲۲۵ ، ۲۹۵

قرا تاي : ۲۸۲ ، ۲۹۵

قراجين (والده بايدو) : ۲۲۶

قرجيان (الأمير) : ۳۰۶

قرجي كوركان : ۳۰۹

قطب الدين : ۱۶

قطز : ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲ ، ۳۱۳

۳۱۴ ، ۳۱۵ ، ۳۱۶

قلى : ۲۶۱

قويلاي قاآن : ۲۰۶ ، ۲۲۳ ، ۲۲۴

۲۳۴ ، ۲۳۶

قوتلقان أو قوتلوقان : ۲۳۱

قوتوى خاتون : ۲۲۲ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵

۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۹

قورش : ۱۳

قورمش : ۲۲۹

قولى بن آورده بن جوجى : ۲۸۱

۲۸۶

قوماي نويان : ۳۰۹

قونقرتاي : ۲۲۶

قويجي : ۲۲۸

قياق نويان : ۲۸۱

(ك)

الكامل (الملك) : ۳۱۹ ، ۳۲۰

۳۲۱ ، ۳۲۲

كرامون خاتون (كرمون خاتون)

۲۲۱

كهتي نويان : ۲۱۹

كوچك : ۲۲۹

۲۲۹ ، ۲۲۸ ، ۲۲۶ ، ۲۰۷

(ل)

لنتچی : ۹۹

لکزی کورکان : ۲۳۱

لنجلیس : ۱۲۹

لؤلؤ (الأمیر) : ۳۰

(م)

المأمون (الخلیفة) : ۲۸۰ ، ۲۹۴

مازوق (آقا) : ۲۵۰

مالکولم (الماجور) : ۱۰۸

مبارز الدین علی توران : ۲۴۴

مبارکشاه بن المستعصم : ۲۹۴

المتقی (الخلیفة) : ۲۹۴

المتوکل (الخلیفة) : ۲۸۰ ، ۲۹۴

مجاهد الدین أییک (الدواتدار

الصغیر) : ۲۶۲ ، ۲۶۳ ، ۲۶۴

۱۶۸ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، ۲۷۴

۲۸۴ ، ۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷

۲۸۸ ، ۲۸۹ ، ۲۹۰ ، ۲۹۳

مجد الدین التبریزی (الملك) : ۳۰۰

مجد الدین الكرمانی : ۳۳۳

کورد جین (کردون جین) : ۲۲۸

کوکا ایلکا : ۲۵۰ ، ۲۵۳ ، ۲۶۱

۲۸۲

کوکاجی خاتون : ۲۲۱

کیا یزرگ امید : ۲۵۸

کیتوبوقا نویان : ۲۳۵ ، ۲۴۳

۲۴۴ ، ۲۴۷ ، ۲۵۱ ، ۲۵۴

۲۷۸ ، ۲۸۱ ، ۲۸۵ ، ۲۹۱

۳۰۵ ، ۳۰۶ ، ۳۰۷ ، ۳۰۸

۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴

۳۱۵ ، ۳۱۶

کویک خاتون : ۲۲۲ ، ۲۲۳

۲۲۴ ، ۲۲۹ ، ۲۳۰

کیقباد (الوزير) : ۲۵۱

کینک شو : ۲۲۴

کیوک خان : ۲۰۶

(گ)

گرای : ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۲۴۲

گیخاتونخان بن آباخان : ۲۰۶

- | | |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| المستضيء (الخليفة) : ٢٩٥ | محمد الدين المغربي : ٣١٧ |
| المستظهر (الخليفة) : ٢٩٤ | محمد (السلطان السلجوقي) : ٢٧٥ |
| المستعصم (الخليفة) : ٢٦٢ ، ٢٩٠ | محمد الأمين : ٢٨٠ |
| المستعين (الخليفة) : ٢٩٤ | محمد بن بزرگ أمید : ٢٥٩ |
| المستكفي (الخليفة) : ٢٩٤ | محمد بن حسن : ٢٥٩ |
| المستنجد (الخليفة) : ٢٩٥ | محمد خان : ٧١ |
| المستنصر (الخليفة) : ٢٩٥ | محمد خوارزمشاه : ٢٧٥ |
| مسعود بك (ابن محمود يلاوج) : ٢٣٩ | محمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) : |
| مسعود بن عبد الله : ١٤١ | ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٠٦ ، ٨٠ ، ٧٩ |
| المسعودي : ٩٥ | ١٧٤ ، ١٥٥ ، ١٥١ |
| المطيع (الخليفة) : ٢٩٤ | محمد بن قلاوون : ٥٨ ، ٤٧ |
| مظفر الدين (ابن الملك السعيد) : | محمد بن محمد (المعوف بزود نويس) : |
| ٣٢٥ | ١٥٢ |
| مظفر الدين سرغل : ٦٩ | محمد النسوي : ٨٥ |
| مظفر الدين سعيد : ٢٢ | محمود الإصفهاني : ٢٤ |
| المعتز (الخليفة) : ٢٩٤ | محمود (الأمير) : ٣١ |
| المعتصم (الخليفة) : ٢٩٤ | محمود (شيخ المشايخ) : ١٦ |
| المعتضد (الخليفة) : ٢٩٤ | محمود الغزنوي (السلطان) : ٢١١ |
| المعتمد (الخليفة) : ٢٩٤ | مرتقي خاتون (مرتاي خاتون) : ٢٣١ |
| معين الدين پروانه : ٣٣٨ | مير كتاي (شحنة هراة) : ٢٤٩ |
| المقتدر : ٢٩٤ | مسافر ايناق : ٦٣ |
| | المسترشد (الخليفة) : ٢٩٤ |

مؤید الدین بن العلقمی (وزیر خلیفہ
بغداد) : ۲۶۲ ، ۲۸۷ ، ۲۸۸ ،
۲۹۰ ، ۲۹۳ ، ۲۹۵ ، ۲۹۷

مؤید الدین العرضی : ۳۰۴
موفق الدولة الحمدانی (الطیب) :
۲۵۷ ، ۹

المہتدی (الخلیفہ) : ۲۹۴
المہدی (الخلیفہ) : ۲۹۴
میرانشاہ بن تیمور لنگ : ۵۶
میرخوند : ۹ ، ۱۵ ، ۱۰۵ ، ۱۲۸ ،
۱۳۱ ، ۱۳۲

(ن)

نارین طغای : ۶۱
الناصر (الخلیفہ) : ۲۹۵
ناصر الدین (سلطان حلب والشام) :
۳۰۸ ، ۳۱۶ ، ۳۱۷ ، ۳۱۹ ،
۳۲۲

ناصر الدین بن علاء الدین (صاحب
الری) : ۳۰۰
ناصر الدین کشلوخان (السلطان) :
۳۱۱

المقتدی (الخلیفہ) : ۲۹۴

المکتفی : ۲۹۴

الملك دل راست : ۲۹۳

المنصور (الخلیفہ) : ۲۹۴

منکلمش : ۲۴۹

منگلیکاج ایکاجی : ۲۳۱

منگلی : ۲۳۰

منگوتیمور : ۲۲۸

منگوقا آن (منکوقا آن) ،

منکوخان ، منگوخان) :

۲۰۶ ، ۲۲۳ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳ ،

۲۳۴ ، ۲۳۵ ، ۲۳۶ ، ۲۳۷ ،

۲۳۸ ، ۲۴۳ ، ۲۵۸ ، ۲۷۲ ،

۳۰۳ ، ۳۰۸ ، ۳۰۹ ، ۳۱۲ ،

۳۱۷ ، ۳۳۲

منگوکان (بنت هولاً گوخان) :

۲۳۰

مورادجا دوسون : ۱۴۰

موسی خان : ۶۵

موسی کورکان (صہر هولاً گوخان) :

۲۳۱

هولاجو بن هولاجوخان : ۲۲۸ ،
۳۰۰ ، ۲۲۹

هولاجوخان : ۱۳۷ ، ۱۸۸ ، ۲۰۶

، ۲۱۹ ، ۲۲۰ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ،

، ۲۲۳ ، ۲۲۵ ، ۲۳۵ ، ۲۳۶ ،

، ۲۳۷ ، ۲۳۸ ، ۲۳۹ ، ۲۴۰ ،

، ۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۴۳ ، ۲۴۶ ،

، ۲۴۷ ، ۲۴۸ ، ۲۴۹ ، ۲۵۰ ،

، ۲۵۱ ، ۲۵۲ ، ۲۵۳ ، ۲۵۴ ،

، ۲۵۵ ، ۲۵۶ ، ۲۵۷ ، ۲۶۰ ،

، ۲۶۱ ، ۲۶۳ ، ۲۶۹ ، ۲۷۱ ،

، ۲۷۲ ، ۲۷۴ ، ۲۷۵ ، ۲۷۶ ،

، ۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲۷۹ ، ۲۸۰ ،

، ۲۸۱ ، ۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۲۸۴ ،

، ۲۸۶ ، ۲۸۷ ، ۲۸۸ ، ۲۸۹ ،

، ۲۹۰ ، ۲۹۱ ، ۲۹۲ ، ۲۹۵ ،

، ۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۳۰۰ ، ۳۰۱ ،

، ۳۰۲ ، ۳۰۳ ، ۳۰۴ ، ۳۰۵ ،

، ۳۰۶ ، ۳۰۷ ، ۳۰۸ ، ۳۰۹ ،

، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۵ ، ۳۱۶ ،

، ۳۱۸ ، ۳۱۹ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲ ،

ناصر الدين قمرى : ۳۱۱ ، ۳۱۲

ناصر الدين (محتشم قهستان) :

۲۴۶

ناورى الكرجى : ۳۲۰

نجم الدين (الملقب بالملك المنصور) :

۳۲۶

نرك ايلكا : ۳۸۱

نصير الدين الطوسى (الخواجه) :

، ۲۴۹ ، ۲۵۴ ، ۲۵۷ ، ۲۷۹ ،

، ۲۸۲ ، ۲۸۹ ، ۲۹۴ ، ۲۹۶ ،

۳۰۱ ، ۳۰۳ ، ۳۴۱

نظام الدين عبد المؤمن البندنجينى

(قاضى القضاة) : ۲۹۵

نوروز (الأمير) ابن أرغون آقا :

۱۳۷

(هـ)

الهادى (الخليفة) : ۲۹۴

هر قداق (الأمير) : ۲۷

هر كيتاي : ۲۴۳

هسيجين : ۲۲۷

هندو البيتكىچى : ۲۸۹

(ى)	٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
يشموت بن هولاء كوخان : ٢٢٤ ،	٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ،
٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٠٦ ، ٣١٩ ،	٣٤١ ، ٣٤٢
٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٨	(و)
يعقوب بن الليث الصفار : ٢٧٥	الوائق : (الخليفة) : ٢٩٤
يسودار بن هولاء كوخان :	وجيه الدين إسماعيل (الأمير) : ٧١ ،
٢٢٧	٧٢



كشاف

٢ - البلدان والأمكنة

الأتاغ (الأطاغ) : ٣٣٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧	(١)
الماليق : ٢٣٩ ، ٢٢٣	آيسكون (جزيرة) : ٢٧٦
الموت : ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨	أبهر : ٢٥٨
٢٥٨ ، ٢٥٦	أبيورد : (انظر باورد) .
آله بشين : ٢٤٤	أخلاط (خلاط) : ٣١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦
آمد : ٣٠٦	آذر بيجان : ٢٤٠ ، ١٨٧ ، ٥٦ ، ٢٤٠
أوجان : ١٨٨	٣٣٨ ، ٣١٥ ، ٣٠٠ ، ٢٦٠
أنون (نهر) : ١٣٥	أران : ٣٣٨ ، ٢٤٠ ، ٤٢ .
إيران : ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢١٤	إربيل : ٣١٢ ، ٢٩٨ ، ٢٨١ ، ٢٧٧
٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٦	أرزن : ٣٢٥
٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤	أسيدان : ٢٥٣
٢٦٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩	أسد آباد : ٢٨٢ ، ٢٧٥
٣١١ ، ٢٨٢ ، ٢٧٣ ، ٢٦٩	آسيا الصغرى : ٤٢
٣٣٣ ، ٣٣٢	إصفهان : ٤٠
	إكباتان (همدان) : ٥

۳۰۱ ، ۳۰۸ ، ۳۱۲ ، ۳۲۲

۳۳۸ ، ۳۳۹ ، ۳۴۰

بناکت (فناکت) : ۱۲۶

پنج انگشت : ۲۷۱

بندنجین : ۲۹۵

بوابه سوق السلطان : ۲۸۶

بوابه کلواذی : ۲۸۶ ، ۲۹۱ ، ۲۹۴

بوابه اليهود : ۳۰۶

بیات : ۲۸۱

(ت)

تای جان چیو (مدینه) : ۱۰۰

تبت : ۱۱۹ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۹۵

۲۳۴

تبریز : ۶ ، ۵ ، ۱۸ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۴

۵۱ ، ۵۵ ، ۵۶ ، ۵۹ ، ۷۳

۷۴ ، ۹۰ ، ۱۰۳ ، ۱۵۵ ، ۱۶۰

۱۶۶ ، ۱۷۵ ، ۳۰۱ ، ۳۲۸

۳۳۵

ترشیز : ۲۴۴

ترك (نهر) : ۳۳۴ ، ۳۳۵

تركستان : ۲۱۲ ، ۲۲۳ ، ۲۸۴

(ب)

باب الأنطاكية : ۳۰۶

باب دمشق : ۳۰۶

باب الروم : ۳۰۶

باب العراق : ۳۰۶

باجسری : ۲۸۵

باب قصر المنصور : ۲۸۵

باورد (أبيورد) : ۲۴۸

البرج العجمی : ۲۸۶ ، ۲۸۷

بسطام : ۲۴۹ ، ۲۵۰

بِسْكِلَه : ۲۵۳

بشریه : ۲۸۵

البصرة : ۲۸۸ ، ۲۹۶

بعلبك : ۳۱۳

بعقوبه : ۲۸۵

بغداد : ۲۲ ، ۲۸ ، ۳۱ ، ۳۳ ، ۵۱

۷۱ ، ۷۹ ، ۹۷ ، ۲۶۰ ، ۲۶۲

۲۶۳ ، ۲۶۷ ، ۲۶۸ ، ۲۶۹

۲۷۱ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، ۲۷۵ ، ۲۷۷

۲۷۸ ، ۲۷۹ ، ۲۸۱ ، ۲۸۲

۲۸۳ ، ۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷

۲۹۵ ، ۲۹۶ ، ۲۹۸ ، ۳۰۰

گیلان (گیلان) : ۲۲ ، ۲۰	تما : ۲۳۴
(چ)	تنگقوت : ۲۳۴ ، ۲۱۹
چنج سای (مدینه) : ۱۱۹	توران : ۲۶۹ ، ۲۳۵ ، ۲۱۴
(ح)	۲۷۳
حارم (قلعة) : ۳۰۷	توف (مدینه) : ۲۴۴
حدیثه : ۳۴۰	۲۴۷
حران : ۳۰۶	(ج)
حزبیه : ۲۸۵	جامع الخلیفه : ۲۹۳
حلب : ۲۹۶ ، ۳۰۵ ، ۳۰۶ ، ۳۰۷	جبل الحمرین : ۲۸۷
۳۰۸	جرجستان (جورجیا) : ۱۴ ، ۱۳
الحله : ۲۹۶ ، ۲۹۵ ، ۲۸۶ ، ۳۲	۲۴۰ ، ۲۱۲
حلوان : ۲۸۴ ، ۲۸۱	الجزیره : ۳۰۶
(خ)	جغاتو (نهر) : ۳۴۱ ، ۲۲۵
خالص : ۲۹۵	جغاتو نغاتو : ۳۳۷
خان بالیغ (خان بالیق) : ۹۷	جلاییه (قریه) : ۲۹۳
۱۱۹	جلولاء : ۲۸۷
خاقین : ۲۹۵ ، ۲۸۶	جورجه : ۲۳۴
خانه آباد : ۲۶۱	جورجیا (انظر جرجستان)
خبرشان : ۲۴۸	جیحون : ۲۱۲ ، ۲۲۰ ، ۲۳۵
	۳۳۸ ، ۳۳۵ ، ۲۴۳ ، ۲۴۰

(د)	خراسان : ۳۲ ، ۴۰ ، ۵۷ ، ۶۰ ، ۶۹
دارالسلام (انظر بغداد)	۱۸۷ ، ۲۳۶ ، ۲۳۷ ، ۲۳۹ ،
دامغان : ۲۴۸	۲۴۰ ، ۲۷۰ ، ۲۷۵ ، ۲۸۴ ،
دجلة : ۳۳ ، ۳۷ ، ۲۸۳ ، ۲۸۵ ،	۲۸۶ ، ۲۹۵ ، ۳۳۳ ، ۳۳۷ ،
۲۸۶ ، ۳۳۰	۳۳۸
دجيل : ۲۸۵	خرقان : ۲۴۹
در بند : ۳۳۲ ، ۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۴۰	الخرز : ۸۴ ، ۹۷
در بند خزر : ۳۳۴	خطای (الخطا) : ۹۹ ، ۱۱۰ ،
در تنگ : ۲۷۷	۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ۱۱۷ ، ۱۱۹ ،
دلان ناؤز : ۱۳	۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۵ ، ۱۲۷ ،
دهلی : ۷۰	۱۳۷ ، ۱۹۵ ، ۲۱۲ ، ۲۳۴ ،
دمشق : ۱۶ ، ۳۰۷ ، ۳۰۸ ، ۳۱۱ ،	۲۳۵ ، ۳۳۶ .
۳۱۶ ، ۳۱۷	خلاط (انظر أخلاط)
دنیسر : ۳۰۶ ، ۳۲۵	خنسای : ۱۱۳ ، ۱۲۴
دولاب بقل : ۲۸۶	خوار : ۲۵۱
دهخوارگان : ۳۴۱	خوارزم : ۸۵ ، ۱۰۶
دیار بکر : ۴۲ ، ۳۰۶ ، ۳۰۸ ،	خواف : ۲۴۷
۳۱۲ ، ۳۳۸	خوزستان : ۴۲ ، ۲۸۱ ، ۲۹۳ ،
دیار ربیعة : ۳۰۸ ، ۳۲۶ ، ۳۳۸	۲۹۶
دینور : ۲۶۷ ، ۲۸۲	خوی : ۳۳۷
(۲۴ — جامع التواریخ)	

السلطانية : ۲۸	(ر)
سلماس : ۳۰۰	وادکان : ۲۴۸
سلنجاه (نهر) : ۱۳۵	الربع الرشیدی : ۲۳ ، ۶۶،۵۶،۵۵
سمرقند : ۲۳۹ ، ۲۲۴ ، ۵	۷۲ ، ۷۳ ، ۷۴ ، ۱۶۶ ، ۱۷۲ ،
سمنان : ۲۵۱	۱۷۷ ، ۱۷۶
سنجار : ۳۲۹ ، ۳۲۸	الرس (نهر) : ۳۳۸
سوق السلطان : ۲۸۷	روحه : ۳۰۶
سیاه کوه : ۲۹۶	رودبار : ۲۵۵ ، ۲۴۴
سیب : ۲۸۸	روسیا : ۱۴۲
سیحون : ۲۱۲	الری : ۲۸۴ ، ۲۶۰ ، ۲۵۲ ، ۳۲
(ش)	(ز)
الشام : ۲۵۸ ، ۲۳۴ ، ۱۵۵ ، ۱۰۵	زاوه : ۲۴۷
۳۰۷ ، ۳۰۵ ، ۲۹۹ ، ۲۸۹ ، ۲۶۰	زرینه رود (مشتی) : ۳۳۷
۳۰۸ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲	زکی (من ضواحي همدان) : ۲۸۱
۳۱۷ ، ۳۲۷ ، ۳۳۶ ، ۳۴۰	زیرکوه : ۲۴۴
شاه دز : ۲۵۲	(س)
شبران : ۳۳۵	ساوه : ۲۸
شبورقان (شبرقان ، شفرقان) :	سرای حومه : ۲۲۱
۲۴۱	سرتخت : ۲۴۶
شروان : ۳۴۰ ، ۳۳۳ ، ۲۴۰	سرخاب : ۲۴
شستر : ۲۹۶	سرکوه : ۲۴۵

العقاب (قرية) : ٢٨٨

عمان : ٢٨١

عیسی (نہر) : ۲۸۵

عين جالوت : ۳۱۳

(ف)

فارس : ۶ ، ۲۱ ، ۴۲ ، ۶۳ ، ۷۴ .

410A61069V6906AA

33A C 22 + C 13A C 13V C 127

الفرات: ١٧، ٣٢، ٢٩٦، ٣٠٦.

٣٤٠٠٠٣٣٨

فران: ۲۵۲

فیروز کوه : ۲۵۱

فينا : ١٤٢

(ق)

القاهرة : ٣١١

قبة شيخ الكارم : ٢٩٥

القبجاق (ولاية) : ٣١٨ ، ٣٣٤ ،

۷۷۹

قراچانگ : ۲۳۴

قراقورم : ۲۳۲ ، ۲۳۵ ، ۳۳۲

شماخی : ۳۳۳ ، ۳۳۹

شماران : ۳۳۳

شیراز : ۶۷

(ص)

ص ۲۸۶ :

الصين : ٩٤، ٩٧، ١٠٠، ١١٠، ١١٩

6 127 6 120 6 122 6 122

312, 333, 328, 325

(b)

طارم : ۲۴۴

طاق کسری : ۲۸۲

طالبان : ۲۵۳

ظنحوۃ : ۱۲۱

طوس : ۲۴۸،۲۴۷

(ع)

العاصی (نہر) : ۳۱۲

۳۲. : ۴۱۷

عباس آباد الہی : ۲۵۲

العراق : ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٣٤

۳۳۸۶۲۵۰۰۶۲۴۰۰۶۲۳۷۶۷۱

کوسه داغ : ۲۶۱	قره موران (نهر) : ۱۱۹
کوفه : ۲۹۶ ، ۲۸۶	قزوین : ۲۵۸ ، ۲۵۷ ، ۱۸۴ ، ۷
کولی : ۲۳۴	۲۶۰
(گ)	القسطنطينية : ۱۰۵
گرده کوه (گرد کوه) : ۲۳۷	قطر ننجیاس : ۱۲۲
۲۵۵ ، ۲۵۱ ، ۲۴۵ ، ۲۴۴ ، ۲۴۳	قهرستان : ۲۴۳ ، ۲۳۶ ، ۲۳۵
(ل)	۲۵۵ ، ۲۴۷ ، ۲۴۴
لار دماوند : ۲۵۱	قوجان : ۲۴۸
لاؤوکین (مدینه) : ۱۰۰	قونقور اولانگ : ۲۰
لرستان : ۲۸۵ ، ۲۸۱	(ک)
لگرستان (جبال) : ۳۳۵	کان گل : ۲۳۹
لنبه سر (لبسر) : ۲۴۸ ، ۲۳۷	گرجستان : ۳۳۳
۲۵۶ ، ۲۵۵ ، ۲۵۱ ، ۲۵۰	کردستان : ۲۶۱
لوچک (مدینه) : ۱۲۲	کرمان : ۳۳۸ ، ۲۵۳ ، ۴۲
(م)	کرمانشاهان : ۲۸۲ ، ۲۸۱
الماچین : ۲۳۴ ، ۱۹۵	کش : ۲۳۹
ماردین : ۳۲۶ ، ۳۲۵ ، ۳۲۴	کشمیر : ۲۳۴ ، ۱۹۵ ، ۱۱۹
مارستان العضدی : ۲۸۶	کفچه کوه (قطر) : ۱۲۲
مازندران : ۳۳۸ ، ۲۵۱	کلوران : ۲۳۲
المدائن : ۲۸۸	کالی (قلعه) : ۲۴۴
مراغه : ۳۳۷ ، ۳۰۳ ، ۳۰۰ ، ۲۹۴	کن چيو (مدینه) : ۱۰۰
۳۴۱	

میمون دز : ۲۵۳ ، ۲۵۵	مرج (حصن) : ۲۷۷
(ن)	مرو : ۲۴۸
الأنبار : ۲۸۵	مسجد الخليفة : ۲۹۵
نجاسیه : ۲۸۶	مشهد أمير المؤمنين علی : ۲۹۶
النجف : ۲۹۶	مشهد موسى الجواد : ۲۹۳ ، ۲۹۵
نصيبين : ۳۰۶	مصر : ۱۰۵ ، ۱۵۵ ، ۲۳۴ ، ۲۷۵ ،
(هـ)	۲۸۹ ، ۳۰۰ ، ۳۰۸ ، ۳۱۰ ،
هامون دز (قلعة) : ۲۵۰	۳۱۱ ، ۳۱۲ ، ۳۱۳ ، ۳۱۵ ،
هراة : ۱۰۷	۳۱۷ ، ۳۲۷ ، ۳۲۸ ، ۳۳۶ ، ۳۴۰
همدان (إكباتان) : ۶۰۵ ، ۲۵۷ ، ۲۶۰ ،	المغرب : ۳۱۲
۲۶۱ ، ۲۶۷ ، ۲۷۱ ، ۲۸۴ ، ۲۸۷	مکران : ۸۳
هکار (حکار) : ۳۰۶	منزی : ۳۰۳
الهند : ۹۱ ، ۹۴ ، ۱۲۷ ، ۱۹۵ ،	المنصورية : ۲۴۴ ، ۲۴۸
۲۱۲ ، ۲۱۴ ، ۲۳۴	منغولیا : ۲۲۲ ، ۲۲۳ ، ۲۲۵ ، ۳۱۰
هولان موران : ۲۲۱	منقلای : ۳۳۳
(و)	مهرین (قلعة) : ۲۴۳ ، ۲۴۴
واسط : ۲۹۶	الموصل : ۲۸۱ ، ۳۲۶ ، ۳۲۷ ،
وروده (حصن) : ۲۷۷	۳۲۸ ، ۳۲۹ ، ۳۳۰
وقف (قرية) : ۲۹۳ ، ۲۹۴	مونيق (من ضواحي تبريز) : ۳۰۱
ولیان کوه : ۲۳	ميافارقين : ۳۰۶ ، ۳۱۹ ، ۳۲۴
(ی)	میزد (جبل) : ۷۳
یاچی (إقليم) : ۱۲۱	الميمنية : ۲۹۱

كشاف

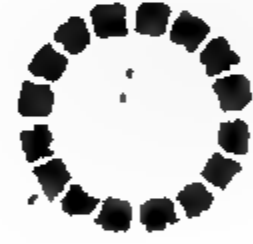
٣ - القبائل والأمم

(ج)	الأتابكة : ٢٦٧
الجر كس : ٢١٢	الأتراك : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ،
(خ)	٢٣٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
الخطائيون : ٢٢٥ ، ٣٤٠	٣٢٥
خفاجه : ٣٤٠	الأرمن : ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ٣٠٠
(د)	الأكراد : ٢٣٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ،
دوربان : ٢٣١	٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٢٨
الديالة : ٢٦٧	الأوغور : ٢٠٣
(ر)	أويرات : ٢٢٢ ، ٢٣٠
الروس : ٢١٢	الأوينغور : ١٩٥ ، ٢١٤
الروم : ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩	(ت)
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ،	التتار : ١٣٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ،
٣١٢ ، ٣١٧	الترك : ٢٧٤
الرومان : ٨٣ ، ١٢٧	التركيان : ٢٧٨ ، ٣١٠

گرد : ٢٧٨
 الكلار : ٢١٢
 كورلاوت : ٢٢٧
 (ل)
 اللور : ٢٣٧ ، ٣٠٠
 (م)
 المسلمون : ٢٥٠ ، ٣٣٢
 المصريون : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦
 المغول : ١٦ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦١
 ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
 ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧
 ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،
 ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
 ٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

(س)
 السلجوقية : ٢٦٧
 سلدوس (قبيلة) : ٢٢٢
 (ش)
 الشول : ٣٢٨
 (ع)
 العباسيون : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ،
 ٢٩٤
 العرب : ١٣٣ ، ٢٧٤ ، ٣٠٨ ،
 ٣٢٧
 (ف)
 الفرس : ٤٤ ، ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ،
 ١٤٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
 الفرج : ٢٦١
 (ق)
 القيقاق (شعب) : ٢١٤
 قنقرات (قبيلة) : ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣١
 (ك)
 كرايت : ٢١٩ ، ٢٢٠

مغول نيرون : ٣٠٤	٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
الملاحدة : ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،	٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ،	٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،
٢٦٠ ، ٢٦٧ ،	٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،
(ن)	٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
نايمان : ٢٣٥	٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ،
(ى)	٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ،
اليهود : ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٣ ،	مغول درلكين : ٢٠٤
١٢٧	



الإيلخانيون

مغول إيران

- ١ - هولاكو خان بن تولوي بن چنگيز ٦٥١-٦٦٣ (١٢٥٣-١٢٦٤)
(ويشغل الجزء الأول من المجلد الثاني)

- ٢ - آباقا خان بن هولاكو ٦٦٣-٦٨٠ (١٢٦٤-١٢٨١)
٣ - أحمد تغودار بن هولاكو ٦٨٠-٦٨٣ (١٢٨١-١٢٨٤)
٤ - أرغون خان بن آباقا ٦٨٣-٦٩٠ (١٢٨٤-١٢٩١)
٥ - كيخاتو خان بن آباقا ٦٩٠-٦٩٤ (١٢٩١-١٢٩٤)
٦ - بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو (جمادى) ٦٩٤-٦٩٤ (ذى القعدة) ١٢٩٤
(ويشغل تاريخهم الجزء الثاني من المجلد الثاني)

- ٧ - غازان خان بن أرغون ٦٩٤-٧٠٣ (١٢٩٤-١٣٠٣)
(ويشغل الجزء الثالث من المجلد الثاني)

- ٨ - أولجايتو خدا بنده بن أرغون ٧٠٣-٧١٦ (١٣٠٣-١٣١٦)

- ۹ - أبو سعيد بهادر خان بن أولجايتو ۷۱۶-۷۳۶ (۱۳۱۶-۱۳۳۵)
- ۱۰ - أربا خان بن أرتو بوكا بن تولوی
- ۱۱ - موسى خان بن علي بن بايدو
- ۱۲ - محمد خان بن منگو تیمور بن هولا گو
- ۱۳ - ساتی بيك بنت أولجايتو ۷۲۹-۷۴۱ (۱۳۳۸-۱۳۴۰)
- ۱۴ - شاه جهان تیمور بن آلا فرنگ بن گيخاتو ۷۳۹-۷۴۰ (۱۳۳۸-۱۳۳۹)
- ۱۵ - سليمان خان... بن يشموت بن هولا گو ۷۴۱-۷۴۵ (۱۳۴۰-۱۳۴۴)
- ۱۶ - طغا تیمور خان ۷۳۶-۷۵۳ (۱۳۳۵-۱۳۵۲)
- ۱۷ - أنوشيروان العادل ۷۴۴-۷۵۶ (۱۳۴۳-۱۳۵۵)
- (ويشغل تاريخهم الملحق وهو ذيل جامع التواريخ لحافظ آبرو).



تصويب (١)

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٥	٢	على	على
٦	١٧٤٥	قازان	غازان
٧	٧	Anpré	André
٩	١٣	ناصر الدين	نصير الدين
١٠	٢	ناصر الدين	نصير الدين
١١	٢	النظيرة	النظير
١٣	١	خان آباقا	الخان آباقا
١٣٠	٦	عند	عن
١٤٠١٣		كتلكشاه	قتلغشاه
١٦	١٦	بولوجان	بولغان
١٧٠	١	قازان	غازان
١٧٠	١٥	كتلكشاه	قتلغشاه
٢٧٠	١١	هر كوداك	هر قداق
٣٣	١٣	يذبحهم	بذبحهم

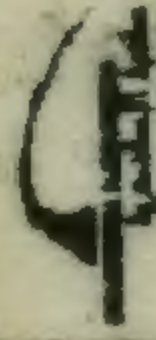
(١) وقعت بعض أخطاء أثبتنا هنا تصويبها معترفين للقارئ الكريم عما فاتنا .

الصفحة	السطر	خطاً	صواب
۳۴	۱۶	یوکل کل	یوکل
۴۳	۱۳	ظاهر الدین	ظہیر
۴۸	۲۲	بنمودہ	نمودہ
۴۹	۴	آقاوانرا	آقاوانرا
۴۹	۵	گزیده	گزیده
۴۹	۱۸	کندم	کشیدم
۴۹	۱۹	میرطوتد	میرخوند
۴۹	۲۲	اختبار	اختیار
۵۰	۲۵	آغابان	آغایان
۵۱	۱۲	جوهر ساد	جوهر شاد
۵۱	۱۴	السعادتین	السعدین
۵۱	۱۹، ۱۷	آقابان	آقایان
۵۱	۲۱	شاهزدگان	شاهزادگان
۶۳	۱۶	آتریت	تریت
۶۳	۱۶	سید	رسید
۶۳	۲۰	یبکی	یبکی
۶۳	۲۰	سیرد	سپرد
۶۳	۲۴	أحدا	أحد

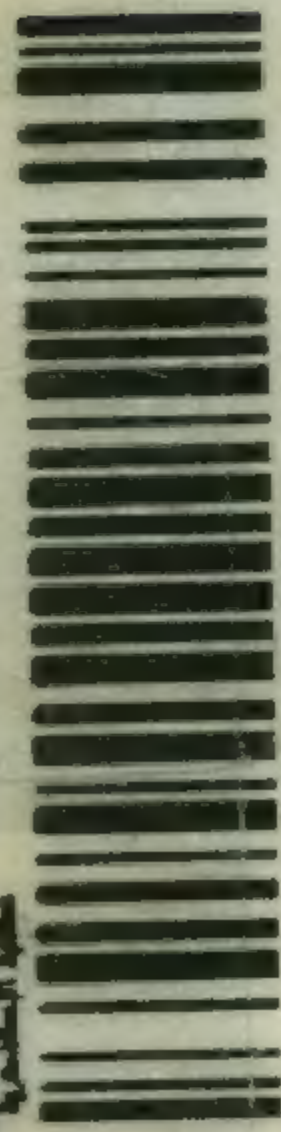
الصفحة	السطر	خطاً	صواب
٦٤	٣	رعاية الدين	غياث الدين
٦٤	٦	مشكورت	مشورت
٦٤	٨	يا	با
٦٤	٩	كيخاتوا	گيخاتو
٦٤	١٥	رشيد	رسيد
٦٤	٢١	خيوا	خيوه
٦٤	٢٤	ليق	ليق في
٦٥	١٠	پاديشاه	پادشاه
٦٩	١٢	تيمور شاه	تيمور تاش
٧٠	٥٠١	» »	» »
٧٠	١٠	يظهر	يظهر تقديره
٧١		عويس	أويس
٧٣	٨	كايتشاك	قيچاق
٧٨	١٦	استوحذ	استحوذ
٧٩	٤	ألجانيو	ألجايتو
٨١	١٥	أبني	بني
٨٤	١٨	ومعارفه	ومعارفه
٨٥	١١	محمد بن النسوي	محمد النسوي

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٨٦	٨	عطاء الملك	عطا ملك
٨٧	١٤٤١	» »	» »
٩٠	١	بمهام	بالمهام
٩٥	١٥	له	لها
٩٦	٨	لأخبار	الأخبار
٩٨	١٥	الوازي	الرازي
٩٩	١٢	مكسوام	(يكسون)
١٠١	١٢	أبو الهادي	أبو الغازي
١٠٣	١٤	الأعيانت	الأعيان
١٠٦	٦	المغمول	المغول
١١٤	٢٠	خوبيلاخان	قوبيلاي خان
١١٥	٣	أقطاي	أوكتاي
١١٩	٤	قره سران	قره موران
١١٩	١٨	متجهتين	متجهتان
١٢٥	١١	بيضاوي	البيضاوي
١٢٦	١٨	خوند	خوند مير
١٢٧	١٨	ظافر نامه	ظفر نامه
١٢٨	٥	لمزعومة	المزعومة

الصفحة	السطر	خطاً	صواب
١٣١	٢	أولوسى	أولوس
١٣٢	٧٠٦	أنج خان	أونك خان
١٣٦		كايتشاك	قپچاق
١٣٧	٥	»	»
١٤٨	١٤	القمل	العقل
١٥٠	٧	بلمدة	بمقدمة
١٥٧	١٠	لصحيح	الصحيح
١٦٥	١٧	شاه ولايت	شاه أوليا
١٦٩	٢٣	قاپيتشاق	قپچاق
١٦٩	٢٩	النائى	الثائى
١٧٤	١٥	بن عال	بن على
٢٠٥	١١	بينهما	بينما
٢٢٨	٢١	كاترمين	كاترمير
٢٥٤	١٠	الوزاء	الوزراء
٢٦١	١٥	(ص ٦٩)	(ص ٢٢٤)
٢٧٦	١	آبكسون	آبسكون
٣٠٣	٩	الفضائل	فضائل
٣٠٤	٢	سيدة	سيرة
٣١٦	٣	قائلا	قاتلا



Bibliotheca Alexandrina



0407745